



جمهورية تركيا
جامعة جانكري كارا تكين
معهد العلوم الاجتماعية
العلوم الإسلامية الأساسية

أثر القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من خلال شعر حكمت صالح
(دراسة أدبية، وصفية، تحليلية)

ياسين عبد العزيز طه

رسالة ماجستير

أ.م.د.حكمة الله أرطاش

جانكري – 2021

جمهورية تركيا
جامعة جانكري كارا تكين
معهد العلوم الاجتماعية
العلوم الإسلامية الأساسية

أثر القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من خلال شعر حكمت صالح
(دراسة أدبية، وصفية، تحليلية)

ياسين عبد العزيز طه

ORCID :0000-0003-0961-3113

رسالة ماجستير

أ.م.د. حكمة الله أرطاش

جانكري – 2021

المحتويات

I	المحتويات.....
III	بيان أخلاقيات البحث العلمي.....
IIV	المصادقة و اعتماد الأطروحة.....
V	الشكر والتقدير.....
VI	ملخص البحث.....
VIII	Özet.....
X	Abstract.....
XII	الرموز المستخدمة.....
XIII...	المقدمة.....
1	المدخل.....
1	الفصل الأول: السيرة العلمية للشاعر ومؤلفاته ودوره في الشعر الإسلامي المعاصر.....
1.1	المطلب الأول: السيرة العلمية للشاعر حكمت صالح..... 9
1.2	المطلب الثاني: مؤلفاته..... 11
1.3	المطلب الثالث: دور الشاعر في الشعر الإسلامي المعاصر..... 12
2	الفصل الثاني: الشخصية الإسلامية المصرح بها في شعر حكمت صالح..... 15
2.1	المبحث الأول: شخصية النبي محمد(ﷺ)..... 16
2.2	المبحث الثاني: شخصيات الصحابة والصحابيات(رضي الله عنهم)..... 51
2.2.1	المطلب الأول: تعريف الصحابي..... 53
2.2.2	المطلب الثاني: شخصية الصحابة(رضي الله عنهم)..... 56
2.2.3	المطلب الثالث: شخصية الصحابييات(رضي الله عنهن)..... 79
3	الفصل الثالث: الشخصيات غير المصرح بها في شعر حكمت صالح..... 85
3.1	المبحث الأول: شخصية الفقير المسلم..... 86...

119...	3.2. المبحث الثاني: شخصية الطفل المسلم.....
169.....	الخاتمة.....
154	المصادر.....
164	السيرة الذاتية للباحث.....



بيان أخلاقيات البحث العلمي

أصرح بأنني قد التزمت بعناية بالأخلاقيات العلمية والقواعد الأكاديمية أثناء إعدادي لأطروحة الماجستير المعنونة (أثر القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من خلال شعر حكمت صالح) (دراسة أدبية، وصفية، تحليلية) وذلك بدءًا من مرحلة تقديم الاقتراح إلى أن انتهيت من هذه الدراسة ، وأن المعلومات المذكورة في الأطروحة حصلت عليها ضمن إطار الأخلاقيات والتقاليد العلمية، وأنني قمت بذكر والإشارة إلى جميع المصادر والمراجع التي اقتبست منها سواء بشكل مباشر أو غير مباشر في هذه الدراسة التي أعدتها وفقًا لقواعد كتابة الأطروحة، وأصرح بأن جميع المصادر و المراجع التي لجأت إليها هي تلك الموضحة في قسم المصادر و المراجع.

2021...\...\

توقيع

ياسين عبد العزيز طه

المصادقة واعتماد الأطروحة

جامعة جانكري كارا تكين

إلى مديرية معهد العلوم الاجتماعية

قامت لجنتنا المنعقدة في تاريخ [] بالموافقة [] على الدراسة المعنونة [أثر القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من خلال شعر حكمت صالح [دراسة أدبية وصفية تحليلية] والمعدة من قبل الطالب [ياسين عبد العزيز طه] وقبولها كأطروحة ماجستير مقدمة في قسم [العلوم الإسلامية الأساسية].

أعضاء لجنة مناقشة الأطروحة:

المشرف (Dr.Öğrt. Üyesi Hikmetullah ERTAŞ) التوقيع:.....

عضو (Dr.Öğrt. Üyesi Laith Motei Yahia ALAZAB) التوقيع:.....

عضو (Dr.Öğrt. Üyesi Sehil DERŞEVİ) التوقيع:.....

مصادقة الاطروحة:

تمت المصادقة على هذه الأطروحة من قبل لجنة المناقشة المعينة من قبل مجلس إدارة معهد العلوم الاجتماعية لجامعة جانكري كارا تكين بتاريخ ..\..\ 2021 جلسة رقم

اللقب العلمي، الاسم، اللقب .

مدير المعهد

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدني وأسهم في إنجاز هذا البحث، وأخص بالشكر المشرف الدكتور (حكمة الله أرطاش) لرعايته الأخوية لي أثناء الدراسة والبحث، وكان من المتابعين الجيدين لطلبتة، إذ لم يدخر جهداً في إرشادنا ومساعدتنا فيما أشكل علينا، وكذلك تنبيهاته لنا في بعض المفاصل المهمة، والشكر موصول للدكتور قتيبة فرحات على سعة صدره، على الرغم من انشغاله الكبير مع طلبية الدراسات العليا، وكانت توجيهاته سديدة، والشكر موصول للأستاذ الدكتور خزعل فتحي الزيدان أستاذ اللغة العربية في جامعة الموصل، والأستاذ الدكتور غانم سعيد أستاذ الأدب العباسي في جامعة الموصل لمساعدتهم ومتابعتهم لي أثناء الكتابة وتوجيهاتهم السديدة، وإبداء المعلومات النافعة التي تخدم البحث، هذا ما كان مني، ومن الله التوفيق فإن كان في الرسالة سهو أو خطأ فهذا من صنع البشر، وإن كان فيها غير ذلك فهو بفضل من الله وتوفيقه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

ملخص الأطروحة

عنوان الأطروحة: أثر القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من خلال شعر حكمت صالح.
(دراسة أدبية، وصفية، تحليلية).

مُعد الأطروحة: ياسين عبد العزيز طه

المشرف: الدكتور حكمة الله أرطاش

قسم: العلوم الإسلامية الأساسية

نوع الأطروحة: ماجستير

تاريخ الموافقة:

سعى الباحث في هذه الدراسة إلى تحليل قصائد الشاعر (حكمت صالح)، التي تتعلق بالشخصيات الإسلامية المصروح بها في شعره، والشخصيات غير المصروح بها، وهدفت الدراسة إلى الكشف عن أسس بناء شخصية إسلامية قوية بناء عقدياً ذا مفاهيم إسلامية صحيحة كما أرادها الله، وغطت هذه الدراسة جوانب بنائها من خلال تحليل كلام الشاعر، والإفادة من تلك الشخصيات، وصفاتها، ليتسنى لنا حث أبناء الأمة على الاقتداء بها؛ واستعادة دورها التاريخي المشرف، واقتصرت على بعض الشخصيات التي يمكن أن نأخذ الدروس والعبر منها، في مواجهة التحديات الخارجية والداخلية، وحدد الباحث المرتكزات المهمة في بنائها، وشمل نطاق الدراسة في الفصل الأول: السيرة الذاتية للشاعر ودوره في الشعر الإسلامي المعاصر، ودور الإسلام في بناء الشخصية الإسلامية، والفصل الثاني: شخصية النبي (عليه الصلاة والسلام)، في عصر صدر الإسلام، وعصر الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرة بالجنة، والصحابة والصحابيات من آل بيت النبي الأطهار، أما الفصل الثالث: فقد شمل شخصية المسلم الفقير ومعاناته زمن الحصار الأمريكي على العراق مما أثر في بناء شخصيته، وكذلك معاناة المسلمين السود في إفريقيا، ومدة نشوء الطفل المسلم وكيفية بناء شخصيته، واستنتج الباحث أن الشاعر صور الأحداث التي غيرت مجرى العالم على شكل مقطوعات شعرية، فكان شعره وثيقة تاريخية وثق من خلالها الأحداث الجسام وأفاد الشاعر من تلك الشخصيات القدوة، وما تمتعت به من صفات، فكانت منبعاً يستقي منه الشاعر إلهامه في إثراء معرفته

وأصبحت على مدى التاريخ منارا يُقتدى بها، وقارن في قصائده بين ما أحدثه الإسلام من تغيير في حياة العرب آنذاك، وبين الانهيار الحضاري الذي يشهده العالم اليوم، واستطاع إرسال إشارات من خلال شعره إلى المربين القائمين على العملية التربوية لتقويم سلوك الشخصية الإسلامية، وأوصى الباحث بالاستفادة من تلك الأشعار وتحليلها وتضمينها في المناهج التربوية.

الكلمات المفتاحية: (حكمت صالح، تحليل شعر، الشخصية الإسلامية القدوة، الأخلاق الحميدة).



Özet

Tez Konusu:Hikmet Salih'in Şiirleri Bağlamında İslâmî Şahsiyet Oluşturmada Örnekliliğin Etkisi (Edebî Betimsel İnceleme).

Hazırlayan : YASEEN ABDULAZEEZ TAHA

Danışman :Dr. Öğretim Üyesi Hikmetullah ERTAŞ

Bölüm :Temel İslam Bilimleri

Program :Yüksek Lisans

Onay Tarihi:

Çalışmada Iraklı meşhur edebiyatçı Hikmet Salih'in şiirlerindeki karakterler ona ilham olan İslâmî referanslar çerçevesinde tahlil edilmiştir. Haseten şiirlerindeki karakterlerin özellikleri, geçmişteki etkinliklerinden bahisle günümüzde de örnek olabilecekleri şeklindeki mülâhazalar çerçevesinde şairin zikrettiği pek çok şahsiyetten -tez sınırlarını zorlamamak için- bazılarına işaret edilebilmiştir. Tez giriş, üç bölüm ve sonuçtan oluşmaktadır.

Girişte tez ile ilgili temel bilgiler aktarılmış kavramsal açıklamalara yer verilmiştir. İlk bölümde, Hikmet Salih'in biyografisi, modern İslâm şiirindeki etkisi; İkinci bölümde ise, Hz. Peygamber (s.a.s.) başta olmak üzere aşere-i mübeşşerre ile Hz. Hatice, Hz. Aişe ve Hz. Fatıma'nın zikredildiği şiirler tahlil edilmiştir. Üçüncü bölümde Hikmet Salih'in günümüz Müslümanların yaşadığı coğrafyalarda yaşanan yoksulluk ve fakirliğin esasında İslâmın getirdiği ilkelere göre şekillenen İslâmî şahsiyetlerin örnek alınmasıyla çözümlenebileceği anlayışına dâir şiirleri tahlil edilmiştir.

Sonuç kısmında ise çalışmada ulaşılan neticelere işaret edilerek önerilerde bulunulmuştur.

Anahtar Kelimeler: (Hikmet Salih, Şiir Analizi, Örnek İslâmî Şahsiyet, Güzel Ahlâk).



ABSTRACT:

Thesis Title : “The Effect of Ideal Persons in Building the Islamic Character in Hikmat Saleh’s Poetry”

Author : YASEEN ABDULAZEEZ TAHA

Supervisor : Asst Prof Dr.Hikmetullah ERTAŞ

Department : Islamic sciences

Thesis Type : Master’s Thesis / Ph.D

Date :

In this study, the researcher endeavours to analyse poems of the poet Hikmat saleh, which are related to the authorized and non authorized. The study aimed at building a strong doctrinal Islamic personality with right Islamic concepts as desired by Allah Almighty, and benefiting from those figures in building the Islamic personality. He urged the sons of the Islamic nation to take the steps of them in order to regain its glory and its honorable historical role. The study confined to the personalities who had a prominent role in the history of Islam and from whom we can take lessons in facing external and internal challenges.

Chapter one deals with the curriculum vitae of Hikmat Saleh, the role he played in contemporary poetry, and the effect of Islam in building Islamic personality. Chapter two highlights the era of the beginning of Islam in the time of the prophet (pbuh), the Rightly-Guided caliphs, and the ten missionaries of paradise, and the house of the prophet. Chapter three tackles the personality of the poor muslim and his suffering during the time of the American blockade on Iraq, the period of Muslim child's upbringing. The researcher concluded that the poet portrayed the events that changed the course of the world in the form of poetic pieces. His poems were a historical document of great events. The poet benefited from those ideal persons and their merits which were a source of inspiration for

him to enrich his knowledge. They became the lighthouse to be emulated, and he compared the change that Islam brought to the lives of Arabs then and the civilizational collapse that the world is witnessing nowadays. The poet could send signals through his poetry to educators responsible for the educational process to evaluate the behaviour of the Islamic personality. The researcher recommended making benefit from these poems, including them in educational curricula.

Keywords:

(Hikmat saleh, poetry analysis, Islamic Ideal persons, Good morals)

الرموز المستخدمة

اقتباس النص : " "

الطبعة : ط

دون طبعة : د.ط

دون تاريخ : د.ت

دون بلد : د.ب

قبل : ق

هجري : هـ.ج

توفي : ت

Hazreti: Hz.

Sallalahu aleyhi ve sellem : (s.a.s.)

جمهورية تركيا : T.C.

المقدمة

الحمد لله المستحق الحمد لنفسه ومستوجبه على خلقه، أحمده حمدا يليق بقدرته وعزته، وأصلي على المبعوث بالحق رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

إنَّ موضوع القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من المواضيع التي شغلت العلماء والمفكرين على مر العصور؛ ولابد أن نعلم ما يدور حولها للتعرف إليها عن كثب؛ لأنَّ الإنسان تميزه شخصيته عن الآخرين في الأقوال والأفعال، ولا يمكن النظر إلى شكله؛ لأنَّ قيمته بعلمه وعمله، وسلوك الشخص تحددها مفاهيمه، فقد حرص الإسلام على بناء الشخصية الإسلامية، على أسس الدين الإسلامي، وما جاء به نبي الرحمة، ومهما تحدثنا في هذا الموضوع فلا نحيط بكل جوانبه، ولكن الباحث سيحاول أن يعرض قسما منها التي يراها مهمة في بناء شخصية إسلامية قدوة، من خلال تحليل كلام الشاعر فكان عنوان الرسالة (أثر القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من خلال شعر حكمت صالح) (دراسة أدبية، وصفية، تحليلية).

ومن خلال قراءة الباحث لموضوع الشخصية الإسلامية وجد مسألة مهمة يتطلب تحليلها وتفسيرها، ألا وهي كيفية بناء الشخصية الإسلامية القدوة، وأهم المعوقات في بنائها، وحلل الباحث كلام الشاعر عن تلك الشخصيات، وما تتركه من أثر إيجابي في بناء الشخصية الإسلامية القدوة إذا ما بنيت بناءً صحيحاً، وأثر سلبي إذا ما أخطأنا في بنائها، واختار الباحث أهم (الشخصيات المصرح بها، وغير المصرح بها في شعر حكمت صالح)، وليس جميع الشخصيات، واختار من بينهم الشخصيات التي وردت في شعره، وكان لها دور بارز، وأثر في حياة المسلمين، واقتصرت على شخصية النبي (عليه الصلاة والسلام)، والخلفاء، وباقي العشرة المبشرة بالجنة، وبعض الصحابة، والصحابييات من آل بيت النبي الأطهار؛ لتحقيق هدف نبيل في إظهار مناقب تلك الشخصيات، وأثرها في بناء الشخصية الإسلامية القدوة بناءً صحيحاً، واختار من الشخصيات غير المصرح بها، شخصية (الفقير المسلم) وأهم

المؤثرات السلبية في بناء شخصيته؛ بسبب الفقر، وكذلك شخصية (الطفل المسلم)، وكيفية بنائها.

واقتصرت الدراسة على التحديات العالمية، وآثارها السلبية في بناء الشخصية الإسلامية، كالمبشرين، والغزو الفكري للأمة، وآثار العولمة، ولا ننسى التحديات الداخلية من تخلف، وتراجع في العلم، والمفاهيم الخاطئة حول مفهوم الإسلام، ولصق مفهوم الإرهاب في العالم بالإسلام، ودور التعليم، والمؤسسات التربوية في مواجهة تلك التحديات، ولا ننسى وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة، ومواقع التواصل الاجتماعي الموجهة لما فيها من انحلال خلقي؛ وتشويه الفكر الإسلامي؛ وتشويه للقيم الإسلامية النبيلة التي جاء بها الإسلام؛ من خلال استهداف المسلمين، وجعلهم يتأثرون بالأفكار الدخيلة على الأمة، بحجة الثقافة، والتحرر الفكري، فهي سلاح ذو حدين؛ لأنهم عرفوا يقينا أن الإسلام لا يمكن أن يُنال من خلال نصوصه وإنما من خلال المسلمين الذين يتأثرون بهم، والدين منهم براء.

وكان للإسلام دور متميز في بناء الشخصية الإسلامية القدوة، وتميزها عن غيرها من الشخصيات، فأول ما ركز على العقيدة؛ لأنها الأصل في البناء، وأشبهه بالأساس الذي يقوم عليه البناء، فإن صح الاعتقاد، كان البناء سليماً؛ لأن الشخصية الإسلامية هي التي تفكر وتعمل على أساس ما أنزل الله من أحكام، ويعد الإسلام المقياس الرئيس للتحكم بالأفعال والأقوال.

لذلك ركز الباحث بشكل مباشر على الشخصيات الإسلامية القدوة المهمة في شعر حكمت صالح، التي تمتلك مقومات بناء الشخصية الإسلامية القدوة، فتناول ما تناوله من أجل بناء شخصية إسلامية قوية مبنية على أسس ومفاهيم إسلامية صحيحة، من عقيدة، وتعاليم دينية، ومبادئ، وقيم، وأخلاق حميدة.

الدوافع

إنَّ من أهم الدوافع التي دعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع؛ هي الشخصيات الإسلامية القدوة التي تمتعت بصفات مهمة تستحق الدراسة؛ لما قدمته للأمة من مفاخر، وبطولات، وأفعال، واختارها الباحث لتكون الركائز في بناء الشخصية الإسلامية المنشودة؛ ولتأثير تلك الشخصيات في نفوس الشباب المسلم، وإعطاء فرصة للشعراء المعاصرين لعمل دراسات نقدية جديدة في الشعر المعاصر؛ لذلك اختار الباحث هذا الموضوع.

إشكالية الدراسة

ومما أثارت هذه الرسالة من إشكالية، هي الإجابة على أهم المفاهيم الأساسية في بناء الشخصية الإسلامية القدوة، وما تتميز به الشخصية القدوة من صفات، وما يترتب على ذلك من نتائج، والآثار الإيجابية التي تتركها في بناء الشخصية، وكيفية السيطرة على سلوكها، وتوجيهها، وتقويمها.

وركزت الدراسة على بناء الشخصية الإسلامية القدوة بناء عقدياً صحيحاً وفق مبادئ وقيم ما جاء به الإسلام الحنيف، من خلال اختيار عدد من الشخصيات الإسلامية القدوة في شعر (حكمت صالح) والتركيز على الجانب العقدي والأخلاقي فيها؛ ليتسنى للمربين تربية الجيل الصاعد تربية إسلامية وفق مفاهيم الدين الإسلامي، وتجنب ما يعوق بناءها، ومعرفة التحديات الخارجية والداخلية.

ويرى الباحث أنَّ الجهات التربوية والتعليمية تقع على عاتقها مسؤولية كبرى في تقويم سلوك أبناء الأمة، وحمايتهم من التحديات الفكرية المنتشرة في العالم، إذًا يجب عليهم وضع خطة تربوية محكمة، من شأنها بناء الشخصية الإسلامية القدوة.

أسئلة الدراسة

1. ما السمات الأخلاقية التي تتمتع بها الشخصية الإسلامية القدوة المتمثلة بشخصية رسول الله ﷺ، التي ذكرها الشاعر حكمت صالح في شعره؟

2. ما مواصفات شخصية الصحابة والصحابيات التي تميزها عن غيرها، التي نتطلع إليها ونفتدي بها، التي تستحق أن نطلق عليها تسمية الشخصية الإسلامية القدوة في شعر حكمت صالح؟

3. ما المؤثرات التي من شأنها أن تؤثر في بناء الشخصية الإسلامية التي حددها الشاعر حكمت صالح (الفقير نموذجاً)؟

4. ما المرتكزات الرئيسية التي يمكن من خلالها بناء شخصية الأطفال في ظل التحديات الخارجية والداخلية، التي حددها الشاعر حكمت صالح في شعره؟

هدف الدراسة

هدفت الدراسة إلى معرفة أهم الجوانب التي يجب التركيز عليها في بناء الشخصية الإسلامية، وتقويم سلوكها من خلال تحليل أشعار (حكمت صالح) التي أراد من خلالها بناء تلك الشخصية بناء عقدياً قوياً يخدم الإسلام، وكان هدف الدراسة الإجابة على الأسئلة التالية.

1. معرفة السمات الأخلاقية التي تتمتع بها الشخصية الإسلامية القدوة.
2. معرفة مواصفات الشخصية التي تستحق أن نطلق عليها الشخصية الإسلامية القدوة.

3. معرفة أهم ما يؤثر في بناء الشخصية الإسلامية.
4. معرفة المرتكزات المهمة في بناء شخصية الأطفال في ظل التحديات الخارجية والداخلية.

أهمية الدراسة

تكمن أهمية الدراسة في الكشف عن أهم سمات التربية الإسلامية الصحيحة، التي يتم من خلالها بناء شخصية إسلامية قوية متوازنة، من خلال الشخصيات الإسلامية القدوة التي ذكرها الشاعر حكمت صالح في شعره

وتحليلها، والإفادة منها في إعادة بناء الشخصية الإسلامية، على أسس العقيدة الإسلامية الصافية، والإفادة منها في وضع المناهج التربوية الصحيحة التي تساهم في بناء جيل قوي يخدم عملية البناء الصحيح للشخصية الإسلامية؛ لاستعادة الدور التاريخي للأمة الإسلامية، ولعل هذه الدراسة تفتح آفاق جديدة للباحثين في عمل دراسات حديثة، تتضمن جوانب تربوية أخرى في بناء الشخصية الإسلامية، لم تتطرق لها هذه الدراسة، ولعلها تأخذ أبعاد جديدة في مجال بناء الشخصية الإسلامية المنشودة.

حدود الدراسة

تحددت هذه الدراسة في دراسة الشخصيات الإسلامية المصرح بها في شعر حكمت صالح، واقتصرت على أهم الشخصيات الإسلامية القدوة في عصر صدر الإسلام، التي كان لها أثر كبير في بناء الشخصية الإسلامية، وتحدد نطاق الدراسة في شخصية النبي (عليه الصلاة والسلام)، وعصر الخلفاء، وآل بيت النبي الأطهار من الرجال والنساء، وباقي العشرة المبشرة بالجنة، ممن كان لهم تأثير في نفوس المسلمين وتركوا بصماتهم في التاريخ. وفيما يخص الشخصيات غير المصرح بها فتناول شخصية المسلم الفقير، ومعاناته بسبب الفقر في مدة الحصار الأمريكي على العراق، وأهم مايؤثر في بنائها، وشخصية الطفل المسلم وكيفية بنائها وأهم الجوانب التي يجب التركيز عليها في بناء شخصيته، واعتمد الباحث في دراسته على الدواوين الشعرية للشاعر، وهي ديوان الفرار الى الله، الإبحار في ماء الوضوء، وحي على الفلاح، ونفق تحت سنابك البراق، وأحفاد الرسول، والأمطار السوداء، وعلى عتبة الجنة السمراء، وأغاريد المسلم الصغير، ونحو آفاق شعر إسلامي معاصر.

الفجوة البحثية

غطت هذه الدراسة جوانب مهمة ركز عليها الشاعر حكمت صالح في بناء الشخصية الإسلامية بناء عقدياً صحيحاً من خلال شعره، وقام الباحث بتحليل تلك الأشعار لاستخلاص الدروس والعبر منها، والإفادة منها في بناء الشخصية الإسلامية.

الدراسات السابقة

أكدت الدراسات السابقة على بناء الشخصية بصورة عامة، من جوانب مختلفة، وتعرضت إلى جوانب متعددة تتعلق ببناء الشخصية جسدياً، ونفسياً، وفكرياً، وعلمياً، وثقافياً، ومن هذه الدراسات مَنْ بحثت بدراسة السلوك الإيجابي والسلبي للشخصية، ودراسات اهتمت بمقومات التربية الذاتية للشخصية المسلمة، والوسائل التربوية المستوحات من فكر الإسلام التربوي، وهناك مَنْ ركز على السلبيات والإيجابيات في التربية، ودراسات أكدت على دور المجتمع في بناء الشخصية، ودور المؤسسات التربوية في البناء، ودور الأهل، والبيئة، وكُلُّ حدد جوانب مختلفة من خلال وجهة نظره التي يراها صحيحة في بناء الشخصية، إذاً كل دراسة ركزت على جانب معين من خلال بنائها للشخصية.

وتبين من خلال اطلاع الباحث على الدراسات السابقة وجد أنَّها تناولت الشخصية بصورة عامة، ولما رأى الباحث أنَّ الدراسات السابقة لم تتناول دراسة الشخصية الإسلامية القدوة في شعر شاعر ما، لجأ إلى دراسة موضوع (أثر القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من خلال شعر حكمت صالح)، وحلل الباحث كلام الشاعر المتعلق بتلك الشخصيات القدوة، وذكر صفاتهم ومناقبهم، وأعمالهم الفذة، العظيمة التي شهد لها التاريخ، وتركوا بصماتهم فيه، واتخاذ الدروس والعبر منهم والافتداء بهم، وكيف يمكن بناء الشخصية الإسلامية بناءً عقدياً قائماً على أسس إسلامية صحيحة من خلال تلك الشخصيات الإسلامية القدوة.

وأكدت الدراسة على بناء شخصية إسلامية إيجابية مثالية منتجة، تقدم الحلول للمجتمع إذا بنيت بناء عقدياً صحيحاً قائماً على أسس ومقومات يستمدّها من دينه، وتتماشى مع التطور الهائل الحاصل في العالم في كافة المجالات وعلى أن لا تخرج عن حدود مبادئ الدين الحنيف، ووضحت الدراسة مراحل نمو الطفل، وبناء شخصيته بناء عقدياً سليماً، من خلال إرشاده إلى الاقتداء بالقدوة الحسنة، والتأسي بها، والمتمثلة بالشخصيات التي اختارها الباحث، وعملت الدراسة على الحد من انحراف تلك الشخصية وزوالها إذا بنيت على أسس سليمة.

وأفاد الباحث من الدراسات السابقة التي أحالته إلى بعض المصادر المهمة التي يمكن الاعتماد عليها في دراسته، وخشية الإطالة سنقتصر على ذكر عدد منها وهي كالآتي:

1- دراسة بعنوان مقومات الشخصية الإسلامية في فكر الإمام الشافعي، 2016، في غزة، التي قام بها الباحث نافذ سليمان الجعب، في جامعة الأقصى كلية التربية، قسم أصول الدين، وكشفت هذه الدراسة عن أهم المقومات الأساسية في بناء الشخصية الإسلامية في فكر الإمام الشافعي، واستخدم الباحث أسلوب تحليل كلام الإمام الشافعي للنصوص الشعرية التي وردت في شعره، وتناولت الدراسة المؤهلات التي من شأنها تقويم سلوك الشخصية عند الشافعي، وخلصت الدراسة إلى أن الإمام الشافعي يمتلك مؤهلات تربوية في بناء الشخصية الإسلامية، وركز على البناء العقدي، والعبادي، والأخلاقي، والعلمي، والاجتماعي، والصحي.

2- دراسة بعنوان مجالات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، 1999، في الكويت، قام بها الباحث طارق البكري في جامعة الإمام الأوزاعي، تناولت أهم مكامن الضعف والقوة في مجتمعنا الإسلامي لأنّه بات اليوم يتعرض إلى تحديات كبيرة، وعملت الدراسة على توضيح أهم السلبيات التي

من شأنها أن تهدم بناء المجتمع، وركزت الدراسة على بناء شخصية الطفل من خلال الإعلام المتمثل بالمجلات الخاصة بالطفل، وركزت أيضا على تطوير وسائل الاعلام المقروءة في بناء الشخصية المتمثلة بالمجلات.

3-دراسة بعنوان ملامح التربية الذاتية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي(دراسة تحليلية)، 2009، في غزة، قامت بها الباحثة، رُبا عبد الرحمن النجار، في الجامعة الإسلامية،كلية التربية، قسم أصول التربية الإسلامية، وتناولت هذه الدراسة مفاهيم التربية الذاتية وخصائصها في الفكر الإسلامي، وما مدى تأثيرها في التربية الإسلامية، وركزت على أهم مقومات التربية الذاتية ومجالاتها التربوية التي من شأنها تقويم الشخصية المسلمة وبنائها بناء صحيحا، وحددت الدراسة أهم الوسائل التربوية المتبعة في التربية الإسلامية الحديثة المستوحات من الفكر الإسلامي التربوي، وأكدت الدراسة على أهمية توجيه المجتمع في البناء الذاتي للشخصية بناء سليما، وتخليص المجتمع الإسلامي من الامراض الفكرية، والانحرافات، والتوجه للبناء.

4-دراسة بعنوان تفعيل دور التعليم في بناء الشخصية الإسلامية لمواجهة التحديات المعاصرة، 2013، في القاهرة، قام بها الباحث محمد عبده محمد سليم، في كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، قسم أصول التربية، جامعة عين شمس، وركزت الدراسة على أهم التحديات العالمية التي تواجه الأمة الإسلامية في بناء شخصيات أبنائها، وركزت على أهم العوامل المؤثرة في تعليم أبنائها وأهم التحديات التي تواجههم، وحددت الدراسة أهم السمات والملاح التي تتمتع بها الشخصية الإسلامية المنشودة، وحددت المرتكزات التي يجب التركيز عليها في البناء من خلال دور التعليم، وحددت أيضا الآليات التي يجب التركيز عليها من خلال تفعيل دور التعليم الصحيح لمواجهة التحديات.

الشريحة المستهدفة في البحث

عند تناول الباحث لهذا الموضوع اختار من شريحة الأدباء والمتقنين ممن يعنون بالأدب العربي المعاصر؛ ليطلعوا على ما كتبه الشعراء المعاصرون، وكذلك شريحة الشباب المسلم المثقف ليققدوا بتلك الشخصيات الفذة وعلى رأسهم نبي الرحمة والإنسانية.

صعوبة البحث

من أهم الصعوبات التي واجهها الباحث اختيار الموضوع، وقلة المصادر المتاحة في المواضيع المعاصرة، وقلة الكتابات فيها مقارنة بالكتابات حول الشعراء القدامى، وقلة المصادر المتوفرة حول الشعراء المعاصرين؛ لأنهم لم يأخذوا كفايتهم من الوقت، وكذلك الدراسات، ولم يشتهروا على نطاق واسع كما اشتهر الشعراء من قبلهم؛ لذلك كان على الباحث أن يصبر ويجد ويجتهد ويبحث كثيرا حول معلومات صغيرة، لأجل إنهاء بحثه وإظهاره بالمظهر الجيد الذي يتناسب مع أذواق المهتمين بالأدب الإسلامي، وهناك معلومات مبعثرة في بطون الكتب مما يتوجب على الباحث أن يبذل جهدا استثنائيا من أجل الحصول عليها، فهذه بعض الصعوبات، ناهيك عن الصعوبات التقنية وخدمات الإنترنت، وقلة المصادر في المكتبات العامة، وما تعرضت له مدينة الموصل من إتلاف وحرق لموروثها الثقافي في المكتبات العامة والخاصة.

هيكلية الدراسة

اتبع الباحث في دراسته المنهج (التحليلي الوصفي) في شعر (حكمت صالح)، واختار له عنوان (أثر القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من خلال شعر حكمت صالح)، (دراسة أدبية، وصفية، تحليلية) واشتمل البحث على ثلاث فصول شمل الفصل الأول: المدخل وقسمه إلى مبحثين الأول: تضمن دور الشاعر في الشعر الإسلامي المعاصر، وسيرته العلمية، وآثاره، والمبحث الثاني: تضمن مفهوم الشخصية وتعريفها، ودور الإسلام في بناء الشخصية الإسلامية، والفصل الثاني بعنوان: (الشخصيات المصرح بها في شعر حكمت

صالح)، اشتمل على مبحثين، المبحث الأول: عنوانه شخصية النبي (عليه الصلاة والسلام) اشتمل على المدة الزمنية في عصر صدر الإسلام، وتناول فيه حياة النبي (عليه الصلاة والسلام) منذ ولادته حتى فتح مكة، وتضمن أيضا مراحل نشوء النبي (عليه الصلاة والسلام) ونزول الوحي، والهجرة إلى المدينة، والغزوات، وفتح مكة، أما المبحث الثاني: عنوانه (شخصية الصحابة، والصحابييات) اشتمل على الفترة التي تلت صدر الإسلام في زمن الخلفاء تناول فيها الخلفاء، وباقي العشرة المبشرة بالجنة، وعددا من الصحابة والصحابييات من آل بيت النبي، تناول فيه صفاتهم، وأفعالهم المتميزة، أما الفصل الثالث: فكان بعنوان (الشخصيات غير المصرح بها في شعر حكمت صالح) واشتمل هذا الفصل على مبحثين، المبحث الأول: عنوانه (شخصية الفقير المسلم) تضمن الأزمنة التي عاشها الفقير المسلم في العراق في زمن الحصار الاقتصادي الأميركي عليه، ومعاناته بسبب الفقر، والمؤثرات التي من شأنها أن تؤثر في بناء شخصيته وسلوكه، وكذلك معاناة الفقراء المسلمين في إفريقيا من جراء التمييز العنصري، وجاء المبحث الثاني: عنوانه (شخصية الطفل المسلم) اشتمل على مدة نشوء الطفل المسلم وكيفية بناء شخصيته منذ نعومة أظفاره، وتقويم سلوكه، وتنقية أفكاره مما يشوبها، وتنشئته النشأة الصحيحة، وبناء شخصيته على القيم، والمبادئ، والأخلاق الحميدة، بناء عقديا صحيحا.

المدخل

1. مفهوم الشخصية.

إنَّ من أهم المواضيع التي عني بها علم النفس الحديث هي (الشخصية) لما تشكله هذه الشخصية من أهمية كبيرة في بناء المجتمعات الإنسانية الراقية على مر العصور، وقد اعتنى علماء النفس بدراستها وما يدور حولها وما يؤثر فيها من العوامل المحيطة بها، ووضعوا لها الأسس التي توضح سلوك الإنسان وما يقوم به من أعمال في إطار منطقي منظم، وعلى الرغم من كثرة الدراسات والبحوث حول الشخصية وما يكتنفها من غموض، اختلف علماء اللغة، والشريعة وعلماء النفس، في تحديد طبيعتها، ومكوناتها الأساسية، والعوامل التي تؤثر فيها، ويمكن النظر إلى الشخصية بأنها من الموضوعات الرئيسة التي أثارت علماء النفس من حيث الأداء، وما تقدمه الشخصية الناجحة للمجتمع؛ لأنَّ الشخصية الإنسانية تركيب معقد من السلوكيات والانفعالات التي تصدر عن الفرد، "يعد مفهوم الشخصية من أكثر المفاهيم تعقيداً في علم النفس؛ لأنها تشمل الصفات الجسمية، والعقلية، والوجدانية كافة المتفاعلة مع بعضها داخل كيان الفرد، ولهذا تعددت الآراء وتباينت في معالجتها لمفهوم الشخصية من حيث طبيعتها، وخصائصها، ومكوناتها"⁽¹⁾.

والراجح أنَّ الشخصية لا تبنى من فراغ؛ لأنَّ هناك عوامل وراثية وبيئية مكتسبة تؤثر في بنائها، إذًا نحن أمام مجموعة العوامل، التي تسهم إسهاماً فعالاً في بناء الشخصية الإسلامية، وإنَّ سلوك الإنسان وشخصيته يعدان من المرتكزات الأساسية في علم النفس.

(¹) نضال عبد اللطيف الشمالي، *العوامل الخمسة للشخصية* (غزة: الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، 2015)، 12.

2. تعريف الشخصية لغة: عرّف ابن منظور الشخصية: "(شخص) الشخص: جماعة شَخْص الإنسان، وغيره، مذكر والجمع أشخاص وشَخَوصٌ وشِخاص، والشخص سواد الإنسان، وغيره يراه من بعيد" (2).

3. الشخصية اصطلاحاً: "هي تلك الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الشخص المسلم، وهذه الصفات كثيرة منها مايتعلق بالسلوك، ومنها مايتعلق بالتعامل مع الآخرين، وخلاصة القول فيها أن الشخصية الإسلامية هي التي تحمل الإسلام عقيدة وفكراً وتطبيقه في سلوكها الشخصي والاجتماعي" (3).

4. دور الإسلام في بناء الشخصية الإسلامية.

لعل من أهم المواضيع التي تدرس، وتحلل عند دراسة الشخصية هي المتغيرات المحيطة بها، التي يتعرض من خلالها الفرد لخبرات تؤدي إلى حدوث تغييرات كبيرة في طرائق تفكيره، وتعامله مع الآخرين، وهناك تأثير واضح للمتغيرات البيئية على السمات الشخصية، والعقلية للإنسان المسلم، والله سبحانه وتعالى خلق الخلق وتابعهم بالرعاية والعناية عن طريق الأنبياء والرسل ومن هذا المنطلق بنى شخصية عباده على وفق مراده؛ لأنّ الله أدري بما خلق، وما يحتاج إليه العباد من عقيدة وشرعية؛ كي يستقيم في أداء دوره في المجتمع، ومن المؤكد أنّه كان للإسلام دور فعال ومهم في بناء الشخصية الإسلامية كي يحررها مما علق بها من شوائب ويخلصها من الشبهات، والتحرر من العبودية لغير الله تعالى، وعمل على تخلص المجتمعات من الظلم، ومن الجهل، وأرسي مبادئ العدل والمساواة بين الناس، وعمل على مبادئ التعايش السلمي فيما بينهم.

"ولعل السنن التي شرعها الله في الأنفس، والأفان؛ هي المرتكزات التي تقوم على التعامل مع العملية التربوية، وتعد الحجر الأساس في التنشئة

(2) جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور، لسان العرب، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، دت)، 311/8.

(3) نوح علي سليمان، صفات الشخصية الإسلامية، (الأردن: الموقع الرسمي لدائرة الإفتاء العام الأردنية، 2012) رقم الفتوى (2528).

والتحضير للبناء الحضاري، والقدرة على تعدد الرؤى الإسلامية، وتقديم الحلول المناسبة للبناء"⁽⁴⁾؛ ولأنَّ الشريعة منهج وعمل وليست أقوالاً تطلق، ويجب على المسلم أن يعمل ضمن حدود الشريعة لتكون شخصيته معتدلة، والشريعة قادرة على إنتاج أنموذج جيد، يبني الشخصية الإسلامية بناءً قويا متماسكا ومتميزا يصلح لكل زمان ومكان، كيف لا وهي شريعة الله، وهو أدري بما خلق!.

"ومن أجل تحقيق ذلك كانت أداة الإسلام هي التربية الإسلامية القادرة على تزكية النفوس وبنائها، وتهذيب الأخلاق، وتثقيف العقول، وتوجيه السلوك؛ المتأمل لأي القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الإسلامي؛ الذي تركه السلف الصالح؛ الذي يجد مساحات واسعة للتربية الإسلامية وخاصة فيما يتعلق ببناء الشخصية الإسلامية، وتقويمها كلما انحرفت عن الطريق الصحيح"⁽⁵⁾

والراجع أنَّ هذه الشخصية المتناولة في التربية الإسلامية تكون شخصية متوازنة، ومعتدلة تعطي كل ذي حق حقه، وتكون واقعية لا ترضى بالخيال وإنما تتعامل بالوقائع، والحقائق، وتكون فيها مرونة وتجاوب مع ما يحصل من متغيرات ولكن في حدود الشريعة؛ ولأجل ذلك كله بنت التربية الإسلامية الإنسان بناءً شاملاً ومتكاملاً في ضوء الشريعة الإسلامية.

وقد ازدادت العناية بدراسة الشخصية الإسلامية وخاصة في العقود الأربعة أو الخمسة الأخيرة زيادة كبيرة، وذلك "إذا ما بدأنا تاريخنا عام (1930) وهو بداية الاستخدام المنظم للتحليل العلمي في بحوثها، ويتضح ذلك في الزيادة المطردة في كمية البحوث التي تواكب عصر تفجر المعلومات، كما يتضح من المجالات السيكولوجية المتخصصة، والدوريات التي تختص كلها أو جانباً منها بالشخصية"⁽⁶⁾.

⁽⁴⁾ ماجد عرسان الكيلاني، مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح، (قطر: المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، 1991)، 13-14.

⁽⁵⁾ نافذ سليمان الجعب، "مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي"، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية 24 (2016)، 85.

⁽⁶⁾ أحمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، (القاهرة: دار المعرفة الجامعية، 1989)، 32.

"ويسعى الإسلام إلى بناء الشخصية الإسلامية من مختلف النواحي مركزاً على البناء العقدي، والعبادي، والاجتماعي، والأخلاقي، والعاطفي، والنفسي، والجسمي، والعلمي، والفكري، والصحي، وتهذيب الجانب الجنسي" (7).

وبدأ النبي (عليه الصلاة والسلام) في بناء المجتمع الإسلامي، وبناء الشخصية الإسلامية منذ الطفولة؛ بالرعاية، والدعوة، حتى نال سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه؛ شرف الدفاع عن النبي (عليه الصلاة والسلام) ليلة الهجرة وهي "تربية النبوة للناشئين ليكونوا قادة في المستقبل، ومؤسسي المجتمع الإسلامي الجديد" (8).

ومن الواضح أنَّ الشخصية الإسلامية لا تحاول تحقيق غاية دنيوية بمعزل عن الهدف الأسمى وهو؛ نيل مرضاة الله عز وجل، ذلك لأنَّ الحياة الدنيا في نظر الإسلام ليست غاية في حد ذاتها، فبعدها حياة أبدية فيها ينعم الإنسان، أو يشقى؛ بحسب أفعاله في الدنيا، والإيمان بحياة خالدة بعد الموت؛ هو الباعث العقدي الذي يوجه أعمال الإنسان، والذي يُشيد البناء الفردي، والاجتماعي للشخصية الإسلامية بصلابة، وأهم جوانب بناء الشخصية الإسلامية هي "إيجابية الشخصية الإسلامية، الإيمان بالقضاء والقدر غير ساخط على قضاء الله، صادق، مقبل على العلم، متعاون، وفِيّ، نظيف اللسان، صافي السريرة، متفتح، أمين، حفيظ على دينه ووطنه، حارس للعدالة" (9).

5. أسس بناء الشخصية الإسلامية.

ويبدو إذا ما أردنا بناء الشخصية الإسلامية المنشودة لابد لنا من إيجاد قدوة نفتدي به ونتبعه في أقواله، وأفعاله، وخير ما يقتدي به المسلم هو النبي (عليه الصلاة والسلام) وما جاء به من عند ربه، فأراد رب العزة أن نتبعه في كل

(7) محمد نور عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، (بيروت: دار ابن كثير للطباعة والنشر، 2003)، 206.

(8) سويد، منهج التربية النبوية للطفل، 212.

(9) عبد المنعم النمر، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام، (القاهرة: مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، 1987)، 65.

أقواله، وأفعاله، وصفاته، الخَلقية والخُلقية؛ لأنَّ الله اختاره واصطفاه من بين عباده ليكون رسولا للإنسانية جمعاء ويكون منارا يُقتدى به في الظلمات؛ للوصول إلى برِّ الأمان.

"بَعْدُ العهدُ بالمسلمين الأولين ممن كانوا يمثلون الشخصية الإسلامية كما عَرَفوها بمثلها القدوة نَبِيِّ الإسلام ومبْلَغ رسالته محمد (عليه الصلاة والسلام) ولقد طرأ على هذه الشخصية ما طرأ من ميراث الشعوب التي دخلت الإسلام بعد الفتوحات الكبرى ولكن العقيدة بقيت مناط وحدتها الجامعة، ولواء وجودها الحر الذي حققته بأصالة واقتدار في الدور القيادي للحضارة الإسلامية التي أضاءت للغرب الأوروبي ظلمات عصوره الوسطى" (10).

والراجع أنَّ علماء الأمة الإسلامية يؤكدون على بناء الشخصية من خلال عقيدتها الصحيحة الصافية التي بقيت على مدى العصور صافية لا تشوبها شائبة، والافتداء بالشخصية الإسلامية القدوة، وهذا يُعد من الأساسيات المهمة في بناء الشخصية الإسلامية المنشودة، وكذلك القيم، والأخلاق الإسلامية التي اكتسبها المسلم من دينه، لذا كان لزاما على الأمة أن تبذل قصارى جهدها؛ لأجل إعلاء قيمة أبنائها ورعايتهم خير رعاية في مختلف الميادين، فلا مستقبل للإنسان إن لم يكن مستقبلا لشخصيته الكاملة، ولا تطور لها إن لم تكن شخصيته ذات جوانب إيجابية خالية من النقص والخلل.

"ولقد عزز الرسول (عليه الصلاة والسلام) في سنته المطهرة، وسيرته العطرة مبدأ الحرية في التفكير، والتعبير، وإعمال الرأي، والاجتهاد في أمور الدين، والدنيا؛ حرصا منه على تكوين الشخصية الإسلامية المستقلة، المتماسكة، القوية" (11).

والراجع أنَّ مبدأ الحرية في الفكر الذي دعا إليه النبي (عليه الصلاة والسلام) ليس ذلك المبدأ الذي دعت إليه الشيوعية والذي بدوره أدى إلى انتفاء الحاجة إلى الأسرة وتفكك المجتمع والتحلل الخلقي، على عكس ما دعا إليه

(10) عائشة عبد الرحمن، الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية، (بيروت: دار العلم للملايين، 1986)، 15.
(11) عبد الرحمن عبد الله فاضل، التربية الإسلامية وتحديات العصر، (مكة المكرمة: كلية التربية جامعة أم القرى، رسالة ماجستير 1427 هـ)، 17.

الإسلام، من دعوة وحدة الأمة الإسلامية، وأن تكون حريتها ضمن حدود الشريعة الإسلامية والتزامها بالقيم والأخلاق الحميدة، ليست كتلك التي دعت إليها الدول الغربية كما نلاحظ اليوم واقع الحريات في العالم !. ومن أهم مرتكزات الشخصية الإسلامية هي:

1- "العقيدة: وتعني الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، وعقيدة التوحيد تترك أثراً تربوياً في حياة الفرد حيث تعينه على تكوين شخصيته.
2- العبادة: عبادة الله عز وجل وحده لا شريك له، والانقياد له سبحانه بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهانا عنه، ومن العبادات والشعائر الدينية التي يؤديها العبد حبا لله، وتعظيماً له، وتقرباً إليه"⁽¹²⁾، وأضاف الكاتب محمد ناصر في كتابه الفكر التربوي العربي الإسلامي، أسس أخرى يجب الأخذ بها عند بناء شخصية إسلامية قوية ومنها:

1- "الأسوة الحسنة: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) الأحزاب الآية 21، إنَّ يبدأ المسلم في تكوين شخصيته الإسلامية سلوكاً وتطبيقاً من القرآن الكريم، ومنهج الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد ذكر القرآن الكريم الصفات الأساسية التي تشكل صورة واضحة الملامح القرآنية لشخصية المؤمن كما أرادها الله تعالى، وهي الصورة التي تمثلها شخصية النبي محمد (عليه الصلاة والسلام)؛ لأنَّ خلقه القرآن وأنَّ الله قد أدبه فأحسن تأديبه.
2- العلم: حيث تتسامى شخصية المسلم بالعلم الذي يكشف له طريق الحق، والخير، وينير له مسالك الحياة فيمضي فيها على هدى، فتتميز شخصيته عن غيره بالفكر، والعلم المفيد.
3- العبادات: فهي دعائم الإسلام وهي التطبيق العملي للعقيدة، والعبادات، وبدورها تثمر السلوك الصحيح، والخلق القويم، وترسم لشخصية المسلم الخطوط العريضة، فيعيش حياته موصولاً بربه فبكل عبادة يستشعر بنبض الإيمان في أعماقه.
4- العمل: هو من الأسس في بناء الشخصية الإسلامية فهو يعد ترجمة لما تعلَّمه من الدين الإسلامي وتطبيقه على أرض الواقع"⁽¹³⁾.

والواضح اليوم أنَّنا نلاحظ فصلاً بين الدين والدنيا؛ وذلك يعود إلى التصورات الخاطئة بين الناس، والتي تفصل بين أداء الواجبات الدينية، وسلوك الإنسان، وهذا خلل واضح في التقدير؛ يؤدي إلى انهيار بناء الشخصية الإسلامية، إذ لا يمكن الفصل بينهم؛ لأنَّ الإسلام وحدة واحدة متكاملة يستمد منه المسلم أخلاقه وقيمه، وتعامله مع الآخرين، والإسلام قيم ومبادئ ومفاهيم، والشخصية الإسلامية هي الشخصية التي تخضع لتعاليم الإسلام، وتكون

⁽¹²⁾ عبد الرحمن النقيب وجمال محمد الهندي، قراءات في التربية الإسلامية، (الرياض: مكتبة الرشد، 2004)، 76.

⁽¹³⁾ محمد ناصر، الفكر التربوي العربي الإسلامي، (بيروت: دار المعارف للطبوعات، 1988)، 24.

أعماله، وتصرفاته تبعاً له، فلا يحاول مطلقاً أن يبحث عن المخرج، والرخص التي تتفق مع شخصيته، والمستقرى للعديد من جوانب التربية الإسلامية؛ يستطيع أن يعلم بأن الشخصية الإسلامية هي الهدف الأسمى، وهي الوحيدة المؤهلة لتكون الخليفة المسؤولة من بين جميع ما خلق الله، وتستحق العناية الإلهية بإرسال الرسل، وحمل الرسالات، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (14).

6. مقومات الشخصية الإسلامية.

إن غياب المقومات يعني انهيار الشخصية الإسلامية، ووجود هذه المقومات يعني وجودها، وإن من أبرز المقومات المهمة في بناء الشخصية الإسلامية:

1- "المقومات العقلية: هي مقومات مبنية عند الإنسان المسلم على منهج ومعرفة، فإذا وجد المنهج والمعرفة وجدت العقلية وتم بناؤها وهذه المقومات هي، الموهبة، الاستعداد، الوراثة، القدرة، الملكات الثقافية، التجارب، التصورات، الدراسات، الفكر، التأملات، الخبرات، الملاحظة، وهذه المقومات يجب بناؤها على منهج ومعرفة مصدرها الوحي والوجود.

2- المقومات النفسية: الاستعداد والقدرة، الفنون، الآداب، وهذه المقومات هي التي تسهم عادة في تكوين الذوق الذي نطلق عليه النفسية وما يتعلق بها، وهنا تجدر الإشارة إلى أن النفسية وما يتعلق بها من قيم ينبغي أن تنبثق من النقل (الوحي) ونقل النص الإلهي عن طريق الوحي وثم العقل، وليس من العقل وحده" (15).

ومن المرجح أن العقل هو الهدف من التربية الإسلامية في بناء الشخصية الإسلامية؛ لأن الإنسان يختلف عن المخلوقات الأخرى ويتميز عنها بالعقل، والعقل هو محل التكليف بالعبادات، والعمل الصالح هو سمة الفرد الصالح، وهو ثمرة عدد معين من العمليات التربوية التي اكتسبها، وهنالك كثير من الوسائل التي تؤثر إيجاباً أو سلباً في تكوين الشخصية الإسلامية، إذ لا بد أن توجه الشخصية التوجه الصحيح، ونحن نعيش غمار التطور العلمي والتكنولوجي فنلاحظ وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها تشكل "أبرز الوسائل

(14) البقرة، 30/2.

(15) تغريد أحمد صلاح، سمات الشخصية الإسلامية في منهاج التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية في فلسطين، (فلسطين: جامعة القدس، رسالة ماجستير، 2009)، 24.

التربوية، وربما أكثرها تأثيرا واتساعا، والتربية المكتسبة هي قوام الشخصية، ولا يمكن قيام أمة دون بناء أبنائها حضاريا متكاملا بكل الوسائل المتاحة، فالتربية هي عماد تقدم الأمة وقوام ازدهارها، والإنسان يحتاج إلى التربية، والتهديب، كحاجته للماء، والهواء" (16).

لذلك نلاحظ التحدي الكبير الذي تشكله وسائل الإعلام إذا ما وجهت التوجه الخاطئ وأسيء استخدامها، فهي سلاح ذو حدين.

ولاشك بأن الشخصية الإسلامية هي مثال راق للفرد، بل هي أفضل الشخصيات على الإطلاق لما تحمله من قيم، وأخلاق إسلامية إذا ما طبقت التطبيق الصحيح كما أراد لها الإسلام أن تطبق، فما من آية أو حديث إلا ويتضمن دروسا وعبرا ومواعظ تسمو بالمسلم وترتقي به؛ ليستحق بالفعل أن يكون واحدا من أولئك الذين قال الله سبحانه: وتعالى فيهم (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (17)

"فالإسلام مدرسة جامعة وحركة إصلاح عالمية كبرى تستهدف بناء الفرد على أسس سوية قويمه بحيث يشب مواطنا صالحا يتحمل المسؤولية ولا يتهرب منها، ويقوم بواجبه من وازع ضميره الخلقي الداخلي" (18).

ومن المؤكد أن العولمة وعصر الانفتاح على الثقافات في العالم أثمر كثيرا في بناء الشخصية الإسلامية وأصبحت الحاجة ملحة جدا للعودة إلى القيم التربوية الإسلامية الصحيحة في بناء الشخصية الإسلامية بناء صحيحا يتماشى مع التطور، والانفتاح على أن لا يخرج عن القيم الإسلامية.

(16) طارق البكري، مجالات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، (د.ب: جامعة الإمام الأوزاعي، رسالة دكتوراه، 1999)، 218.

(17) آل عمران، 110/3.

(18) عبد الرحمن عيسوي، مشكلات الطفولة والمراهقة، (بيروت: دار العلوم العربية للطباعة والنشر، 1993)، 245.

الفصل الأول

1. السيرة العلمية للشاعر ومؤلفاته ودوره في الشعر الإسلامي المعاصر.

1.1 المطلب الأول: السيرة العلمية للشاعر حكمت صالح.

هو الدكتور حكمت صالح جرجيس السيد وهب الرفاعي الحسيني، من مواليد مدينة الموصل بالعراق : 14 / 3 / 1946، أنهى فيها مراحل دراسته : (الابتدائية، والمتوسطة، والإعدادية، والجامعية، والعليا) تخرج في قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الموصل 1970، أُوفِدَ مع البعثة التدريسية العراقية إلى الجزائر للمشاركة في حملة التعريب فاستقر في المعهد التكنولوجي بالمحمدية (وهران) 1970 – 1972، شارك هناك بقسط من النشاط الأدبي في الصحافة والإذاعة والأماسي، عاد بعدها إلى العراق ليواصل عمله مدرسا للغة العربية والتربية الإسلامية على الملاك الثانوي على مدى ربع قرن، بعدها واصل دراسته العليا في قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة الموصل، 1994 وحصل على الماجستير، عن رسالته الموسومة الصور البيانية في شعر عبد الله البردوني في تموز 1997، حصل على شهادة الدكتوراه فلسفة في الأدب العربي بدرجة امتياز؛ عن أطروحته الموسومة: جماليات الحركة التصويرية في القرآن الكريم ، 2002، باشر التدريس بمعهد إعداد المعلمين نينوى (قسم: التربية الإسلامية) 2002، شغل منصب رئيس تحرير مجلة البُراق للأدب الإسلامي، وصاحب امتيازها، أقام معرضين لنتاجاته الأدبية (جامعة الموصل: في نيسان، 1974 – 1995) نشر أكثر من (170) قصيدة في الصحافة العراقية والعربية 1996، له أكثر من (50) كتابا بضمنها (17

(ديوانا شعريا بين منشور ومعد للنشر، شارك في العديد من المؤتمرات والمهرجانات داخل العراق وخارجه، كتب عن مؤلفاته العديد من النقاد وأساتذة الجامعات وطلبة الدراسات العليا، وصف بعض النقاد طول نفسه بالنزعة الملحمية، وقرنوه بشعراء الملاحم في العصر الحديث في قصيدة (من المؤمنين، وثلاثية الهرم، والسيرك، وغابة الأبنوس في (244) بيتا، ونفق تحت سنابك البراق في (300) بيتا، والنبي وعصر التكنولوجيا في (157) بيتا ... الخ، كرمته المديرية العامة لتربية محافظة نينوى في 1 / 12 / 1986، بصفة (مدرس مميز) ؛ تقديرا لجهوده الحثيثة في حقول التربية والتعليم والبحث العلمي، كرمته محافظة نينوى في 18 / 1 / 1999؛ بوسام يوم المعلم وبشهادة تقديرية بصفة مبدع في اللغة العربية، كرمته جامعة الموصل في أيار 2008 بصفة : رائد للأدب الإسلامي المعاصر، ترجمت بعض أشعاره إلى أكثر من لغة، عضو اتحاد الأدباء في العراق، عضو اتحاد الأدباء العرب بدمشق، عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالرياض، عضو رابطة العلماء في العراق عضو جمعية الآداب الإسلامية في العراق، عضو رابطة المدرسين والمعلمين في العراق.

1.2 المطلب الثاني: مؤلفاته.

ديوان الحب للأرض، ديوان حي على الفلاح، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، ديوان الفرار إلى الله، ديوان على عتبة الجنة السمر، ديوان قطوف من دوحة الأسماء الحسنى، ديوان عودة أنهار الشمس، ديوان بطاقة إلى شاطئ الذكريات، ديوان نقاط على أبجديات الحنين، ديوان رحلة الدفوف والمرايا، ديوان نفق تحت سنابك البراق، ديوان أغاريد المسلم الصغير، ديوان أهازيج المسلم الصغير، ديوان الأمطار السوداء كتاب نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، كتاب أحفاد الرسول، كتاب من المؤمنين رجال، كتاب دراسات فنية في شعر الإمام الشافعي، كتاب الصورة البيانية في شعر عبد الله البردوني، كتاب جماليات

الحركة التصويرية في القرآن الكريم، كتاب مفارقة الحب والموت في الشعر الجاهلي، كتاب نافذة على الأدب الإسلامي، كتاب نافذة على الشعر الإسلامي، كتاب الإيقاع في تشكيل الصورة ، كتاب مداخل إلى علم الحرف وموسيقى الشعر، زوايا اللقطة في تصوير رحلة القافلة، المقروء العياني والمتخيل الحكائي، كتاب ما بعد النص، كتاب المياسم، كتاب الحوار.

1.3 المطلب الثالث: دور الشاعر في الشعر الإسلامي المعاصر.

كان للشاعر (حكمت صالح) دور مهم في الشعر الإسلامي المعاصر وبذل جهدا كبيرا في تحديد ملامحه شأنه شأن الكثير من الأدباء المسلمين الذين يهتمون بالشأن الإسلامي، ويحاولون النهوض بهذه الأمة، ومواكبة التطورات الحاصلة في كل ميادين الأدب وقال فيه:

"إنَّ أدبنا الإسلامي المعاصر كما نريده يعايش تأزمات المدنية المعاصرة ويشق طريقه القيادي في مسارات الطلائع الإسلامية التي تهدف إلى استقاء زخم الدفع إلى الأمام من منابعها الأصيلة، ومن ثم انتقاء الأحرار عن طريق الإنسانية وحمل المشعل في متاهات التمزق الفكري، والصراع اللاواعي الذي تعاني منه أمتنا العربية بخاصة، والإنسان في المجتمعات الأخرى عامة"¹⁹

والراجح أنَّه يريد أن يمهد الطريق ويجعله سالكا أمام الجيل الصاعد من الشعراء وينقي طريقهم من الآفات الفكرية، والنزاعات، ويريد أن يجعل الطريق أمامهم مضيئا ليسهل السير فيه.

وقال الشاعر: "إنَّ الأدب الإسلامي المعاصر إنما يحتاج إلى عنصر (الزمن) الذي يتيح له فرصة الهضم والتمثيل؛ لترجمة معاناة التجارب ترجمة صادقة، ثم طرح النماذج التي تتوفر فيها الأصالة، والإبداع أمام شعرائنا الرواد وأدبائنا"²⁰، ويبدو أنَّ الشاعر يُعوّل على عنصر الزمن؛ يريد أن تكون الفرصة سانحة أمام الشعر الإسلامي المعاصر؛ ليأخذ وقته الكافي في التطور، والتبلور،

(19) حكمت صالح جرجيس، "شعرنا الإسلامي كما نريده"، مجلة الإيمان 48، (2012)، 99.

(20) حكمت صالح جرجيس، "شعرنا الإسلامي كما نريده"، مجلة البraq 1، (2004)، 2.

ويبلغ مداه، ومن ثم يظهر بالشكل الجميل الصافي المناسب لكل الأذواق، ولا ننسى أن كل تجربة جديدة تحتاج إلى وقت طويل لكي تنتضج وتتبلور.

"ولعل مدرسة أدبية جديدة في أدبنا المعاصر تتبلور محاولاتها؛ ليأخذ أدبنا مكانته بين آداب الأمم الأخرى، ويقوم بدوره عاكسا طموحاتنا الإنسانية، وكاشفا عن مثلنا، وقيمنا الإسلامية، وبذلك نستطيع توصيل معطياتنا الفكرية، والأدبية، والفنية إلى المجتمعات البشرية"²¹. ويبدو أن الشاعر يريد من هذه المدرسة الأدبية التي لاح نورها في الأفق، أن تكون منارا للأمة العربية والإسلامية؛ ليوصلوا ابداعاتهم الأدبية والفكرية للعالم، فمن خلال هذه المدرسة يتم الانطلاق إلى العالم وتعريفه بالأدب الإسلامي المعاصر؛ لأنه يحمل القيم الإسلامية والتعاليم الدينية، وأنَّ الأدب الإسلامي المعاصر أدب ملتزم بالعقيدة الإسلامية، ورسائله جزء من رسالة الإسلام العظيمة.

وإنَّ النوعية الفنية هذه بحاجة إلى طاقات نقدية عميقة؛ "لتواكب بالتفانيات النكية، وبلغتها المطاوعة والواضحة نتاجنا الفني الجديد، فالنماذج الشعرية التي نهدف إليها في محاولتنا الأولى؛ لا تستطيع أقدامها على النهوض إلا إذا أخذت بأيديها مؤازرات النقد الجاد بعيدا عن المحاباة وبعيد عن التجريح"²²، ويبدو أنَّ الشاعر يركز هنا على النقد الجاد، والنقد عنده يجب أن يكون بعيدا كل البعد عن المجاملات؛ لأنه فن أدبي، ويجب أن يتلاءم مع الأذواق العامة، ويكون جادا يدفع الشعراء نحو بناء شعري جديد يقوم على أسس نقدية أصيلة، وأنَّ يكون النقد بعيدا عن الأحكام القاسية؛ التي لا يرجى منها سوى هدم العمل الأدبي، وتجريح المشاعر، وقبر الأفكار الجديدة في مهدها.

وعند دراسة خلفيات الشاعر الأدبية نلاحظ أنَّها اكتسبت حضورها من أسباب عديدة ومنها: "ما لمنجزاته الشعرية بوصفها نصوصا إبداعية- بصفة عامة – وأنَّ الشاعر وكتاباته جزء من الحركة الأدبية في الموصل؛ وأقام قسم اللغة العربية في كلية

(21) حكمت صالح جرجيس، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988)، 17.

(22) حكمت، شعرنا الإسلامي كما نريده، 2.

التربية الأساسية حولها مؤتمرها العلمي الرابع (الدولي) في آذار سنة (2011) تحت عنوان (الجهود اللغوية والأدبية في الموصل عبر العصور) ومن توصيات المؤتمر، أكدت على ضرورة البحث في الأدب المحلي لمدينة الموصل، وللتعريف بجهود أدائها وعلمائها ونتائجهم الأدبية، والشاعر (حكمت صالح) هو أحد هؤلاء الأدباء، عاش وتعلم في كثير من مجالات الحياة التربوية والأدبية في زمن كان فيه البقاء للإبداع الحقيقي²³.

وكان الشاعر منذ بدايته معنيا بالأدب الإسلامي المعاصر وكان يؤسس له ويحاول أن يضع له مبادئ أولية؛ لكي تتضح الصورة أمام الشعراء الجدد ويكون الطريق أمامهم سالكا.

وَعُرِفَ عنه أنه انحدر من عائلة متدينة محافظة، ومنذ نعومة أظفاره كان توجهه دينيا؛ مما أثر في أشعاره، واتخذ من المناسبات الدينية منطلقا لإلقاء القصائد ذات الصبغة الدينية، ويبدو أن الشاعر كان يريد من وراء ذلك إيصال رسائله التربوية، إلى الناس وإرشادهم، وتنوير أذهانهم من المخاطر التي تحيق بهم وتتربص بالإسلام، ويدعوهم للالتزام بتعاليم الدين الحنيف ونبذ الخلافات.

"وإذا عدنا إلى المواضيع التي كتب فيها الشاعر (حكمت صالح) نجد أغلبها حتى الذاتية منها تتحدث عن الإنسان وهمومه ومشاكله، فهو عندما يتحدث عن الذات يريد به الآخر، وعندما يعبر عن (نحن) يقصد بها الجماعة، فقد طور الشاعر (حكمت صالح) شعره منذ دخوله عالم الشعر، وكان يحاول أن يؤسس لنفسه خطابا شعريا مغايرا لما هو سائد، وأن يستقل بشخصية شعرية متفردة، وصوت متميز لذلك كان كثير التجريب والتهذيب لشعره"²⁴.

وتحدث الشاعر عن أهم ملامح الشعر الإسلامي المعاصر ومهد له الطريق، وبين أهم ما نحتاج إليه في أدبنا الإسلامي المعاصر، وحدد الملامح التي بدورها تخدم الأدب الإسلامي، وبين المسار الصحيح لها، ولأهمية هذا الأدب بوصفه أدب الشعوب الإسلامية على اختلاف أعراقها، وألوانها، وأجناسها، ولغاتها، أدب إسلامي مرتبط بجذوره القديمة في الأدب الإسلامي القديم وامتدادا له، ولا يمكن الفصل بينهما؛ لأن المعاصر هو امتداد للقديم، وكذلك يعد الأديب المسلم مؤتمن على فكر الأمة ومشاعرها؛ لأنه يستمد قيمه

(23) حامد نهر طييل الجبوري، حكمت صالح سيرته ومرجعيات شعره، (الموصل: جامعة الموصل، رسالة ماجستير، 2012)، 2.

(24) الجبوري، حكمت صالح سيرته ومرجعيات شعره، 38.

النبيلة من قيم الإسلام، ولا يستطيع الأديب أن يتحمل هذه الأمانة في الدعوة إلا إذا كان معتقده صحيحا، ومن أهم الملامح التي حددها الشاعر حكمت صالح:

1. "أن يكون شعرنا الإسلامي (أصيلا) وبعيدا عن التكلف، والتصنع، اللذين يجهضان التجارب وهي في رحم القريحة، وأن الأصالة توأمها (الخلق والابداع) بكل ما للمصطلحين من دلالات العمق، وخاصة فيما يتصل بالرؤية الشعرية، وأما (الشكل) فبقدر ما نحن بحاجة إلى تراثنا القديم، نحن بحاجة إلى التجديد والعمل بحذر في صهرهما في بوتقة واحدة لإنتاج أعمال شعرية تُخرج أدبنا العربي من دائرة السقوط، ومحيطات التوقع، وإنّ الانفتاح على العالم، والاستفادة من المذاهب المعاصرة في الأدب العالمي؛ هو السبيل الوحيد الذي يكفل لاتجاهاتنا الجديدة التعبير عن تجاربنا المعاصرة، ولا مانع لأدبنا الإسلامي المعاصر الإفادة من (الرمزية) وحتى السريالية في قولها وطريقة طرحها للمضامين، طالما كان الأديب ملتزما بالخطوط العامة لمسار الشخصية الإسلامية وأخلاقياتها"²⁵.

ويبدو أن الشاعر يريد أن يدمج الأعمال الأدبية التراثية بالوسائل الفنية الحديثة التي بدورها تضيف على الأعمال الأدبية جمالا، ومن ثم يكون العمل ناجحا، وهذا ما دعا إليه الشاعر في حديثه عن التراث، والإفادة من السريالية، والرمزية، ودمجهم بالعمل الأدبي؛ لكي نخرج بتجربة جديدة رائعة تواكب التطور الحاصل في الحياة الأدبية، والإفادة من المذاهب الأدبية المختلفة بطرح المضمون الذي يتوافق مع الرؤيا الأدبية لشعرنا الإسلامي، وأن يكون الأديب ملتزما بالقيم والأخلاق الحميدة فيما يكتب.

2. وأن يكون شعرنا الإسلامي (ملتزما) والالتزام يعني "طرح ومعالجة كل ما يعتلج في النفس وما يعاني منه الأديب في مجتمعه ومحيطه المزدهم بالتناقضات، ونريده أن يكون ذاتيا وجماعيا في الوقت نفسه، وهذا يعني أن يكون الالتزام من الداخل، يتبنى الشاعر والأديب اختياراته كمبدأ، وعقيدة، يشدهما الإيمان الصادق إلى الأعماق، ولا نريده مفروضا من الخارج وإلا فستصاغ المعاني في قوالب جاهزة خالية من شفافية الروح الشعري، والمعاناة الصادقة، وبذلك لا يكون أكثر من مجرد نظم متكلف"²⁶.

ولا يعني الالتزام الجمود في معالجة موضوع بذاته وإنما يكون بالنظر إلى الأشياء والتأمل بها، وتشخيص الظواهر البيئية والطبيعية، ومحاولة تقويم الحياة ومعطياتها، والتخطيط الهادف لمجتمعنا نحو المستقبل الأفضل، "والالتزام

(25) حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 18

(26) حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 19

المعني هنا يختلف عن ذلك الذي عرفته المذاهب الأولية خصوصاً الواقعية والاشتراكية والوجودية"²⁷، "والالتزام في الأدب الإسلامي لا يقاس بالمقاييس التي وضعتها المذاهب الأدبية المادية الأخرى بل لابد أن ينبع الالتزام من العقيدة أولاً ومن شرع الله عموماً"²⁸.

ويبدو أن الالتزام الذي قصده الشاعر (حكمت صالح) ينبع من معتقد الشاعر والتزامه بالقيم الإسلامية والأخلاق الحميدة التي يستمدّها من دينه، وأن يلتزم بها ولا يخرج عنها حتى يصدق تسميته بالأدب الإسلامي، وإن المذاهب الأدبية كل له رأيه بالالتزام وكل مذهب ينطلق من عقيدته وأفكاره، وله مقاييس يقيس بها الالتزام، والالتزام في الأدب الإسلامي لا يخرج عن تعاليم القرآن والسنة النبوية، فهو نابع من الأخلاق والقيم التي اكتسبها من الإسلام، وكان للإسلام دور مهم في بناء الشخصية الإسلامية على مر العصور.

الفصل الثاني

2. الشخصية الإسلامية المصرح بها في شعر حكمت صالح.

توطئة

أجاب هذا الفصل عن الشخصيات الإسلامية القدوة المصرح بها في شعر (حكمت صالح) وتضمن الفصل دراسة وتحلل أشعاره لهذه الشخصيات الإسلامية القدوة، وأولها شخصية النبي (عليه الصلاة والسلام)، وشخصيات الصحابة (رضي الله عنهم) من الخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرة بالجنة،

(27) صالح آدم بيلو، "أولى خصائص الأدب الإسلامي المعاصر"، مجلة الأمة 25، (1982)، 38.

(28) محمد علي الرباوي، "الأدب الإسلامي أدب غير ملتزم"، مجلة المنعطف 2، (1992)، 76.

وكذلك تضمن شخصيات من آل بيت النبي، وعدد من الصحابييات من أزواج النبي وآل بيته، من الذين كانت أعمالهم متميزة تستحق الثناء والذكر.

2.1 المبحث الأول: شخصية النبي محمد (ﷺ).

لو استعرضنا التاريخ لوجدنا فيه شخصيات كثيرة ومتنوعة، منها ما هو إيجابي في سلوكه، ومنها ما هو سلبي، وهناك شخصيات عظيمة، وأخرى وضيفة، وسوف يتناول الباحث في هذه الدراسة، الشخصيات الإسلامية القدوة المصرح بها في شعر (حكمت صالح) التي كان لها دور بارز ومؤثر في الإسلام والعالم، بحيث غيروا مجرى التاريخ بعملهم، وما حملوه من رسائل خالدة تخدم الإنسانية، التي بدورها غيرت الوضع الاجتماعي في العالم، وهناك من استفاد من هذه الشخصيات وتعلم منها ما ينقذه من الضلال إلى الحق، وينقله من الظلمات إلى النور قال تعالى: (قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)⁽²⁹⁾، فهذه الشخصيات تربت في المدرسة النبوية، ومن المدارس الأولى في التربية الإسلامية كانت:

"دار الأرقم بن أبي الأرقم، أعظم مدرسة للتربية والتعليم عرفت البشرية، كيف لا وأستاذها رسول الله (عليه الصلاة والسلام) أستاذ البشرية كلها، وتلاميذها هم الدعاة والهداة، والقادة الربانيون؛ الذين حرروا البشرية من رق العبودية، وإخراجهم من الظلمات إلى النور، بعد أن رباهم الله تعالى على عينية تربية غير مسبقة، ولا ملحقة"⁽³⁰⁾.

والأديب المسلم الذي نهل من المدرسة النبوية، يجب أن يكون نتاجه من الأدب الإسلامي ملتزماً بالرؤية الإسلامية تجاه الإنسان والحياة والكون الذي نعيش فيه، وينطلق من عقيدة ثابتة وراسخة، ويقول الدكتور محمد إقبال عروي:

"إنَّ العصر الحاضر الذي أبحث فيه عن إبداع إسلامي يقتنص لحظة الانهيار الحضاري (الأوربي، والعربي) فتنين لي بعد البحث والتنقيب، أنَّ قصيدة (النبي وعصر التكنولوجيا) للشاعر العراقي (حكمت صالح) كفيلة بتحقيق هذا الغرض المنشود، وأنَّ الشاعر هو ضمير الأمة ومجهرها، يعاين جميع الثوابت والمتغيرات داخل الحياة

⁽²⁹⁾ المائدة، 16/5.

⁽³⁰⁾ علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية، (بيروت: دار ابن كثير، 2019)، 1/ 111.

الاجتماعية ويدرك، بفضل عمق شعوره ورهافة إحساسه وتفتح وعيه، النواميس المُسيّرة لحركة المجتمع؛ الذي يكتوي بناره، ويتلظى بالأمه، ويضبط تلك اللحظات في رحم الكلمات؛ فتتولد منها آفاق المستقبل الذي يدعو إليه الشاعر في كل وقت وحين، وإنَّ (حسان بن ثابت) قد جسّد في قصيدته (الهمزية) سيرورة المجتمع الجاهلي في وجه مجتمع جديد، وحضارة جديدة وهي حضارة الإسلام⁽³¹⁾.

وعندما نقرأ للشاعر (حكمت صالح) قصيدة (النبي وعصر التكنولوجيا) يكتف فيها الأحداث بالعالم، ويقارنه في عصر صدر الإسلام، ويبين مأساة الانهيار الحضاري اليوم، ويشبهه بذلك الانهيار- في العصر الجاهلي- الذي انعدمت فيه العدالة الاجتماعية، وساد القتل، والسلب، والنهب، كما نراه اليوم في العالم المتحضر، وما أشبه اليوم بالبارحه.

ويبدو أنَّ الخلفية الدينية للشاعر، كان لها دور مهم في تصوير الأحداث الإسلامية على مر التاريخ، وربطها بالحاضر، ومما يدل على اهتمامات الشاعر الإسلامية، واهتمامه بالفرد، والمجتمع، والوطن، والعالم الإسلامي، فقد أسبغت هذه الخلفية على شعره صبغة دينية، بحيث أصبحت أشعاره تنبت من القلب والمعاناة؛ لتعبر عن معاناة المجتمع، وكانت الدافع الأول للشاعر؛ لكي تنطلق قريحته الشعرية وتظهر إلى النور، شأنه في ذلك شأن كثير من الشعراء الذين تأثروا بتلك الأحداث، وهي منار يهتدي به الشاعر في الليلة الظلماء، ويبدو أنَّ الشاعر الإسلامي يختلف عن غيره في بناء القصائد؛ لأن كل منهم ينطلق من خلفيته، سواء كانت دينية بحتة، أو كانت أدبية بحتة، وكل ذلك ينبع من إحساس الشاعر، وحبه للدين، ويستمد ذلك الإحساس العميق من عقيدته، على خلاف الآخر فهو يهتم بالأمور الأدبية، ويعدها فناً مستقلاً لا علاقة له بالدين.

ويبدو أنَّ "للمؤثرات الخارجية، دوراً فعالاً في توجيه الأدب الإسلامي إلى ما يخدم الرسالة التي يحملها الشاعر، ويتضاءل ذلك الدور إذا لم يجد مناخاً

(31) محمد إقبال عروي، انهيار الحضارات والشمس المرتقبة، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2011)، 72-73.

صالحاً للتجديد"⁽³²⁾، ولقد ذكر الشاعر شخصيات إسلامية كانت القدوة في أفعالها وأقوالها، وكان لها دور مهم في تغيير مجرى التاريخ، ومن تلك الشخصيات شخصية النبي (عليه الصلاة والسلام).

وكان اختيار الشاعر لشخصية النبي (عليه الصلاة والسلام)؛ لأنها من الشخصيات المهمة عبر التاريخ وأحدثت انقلاباً في العالم، ونقلتهم من التخلف والظلام، إلى العلم والنور، فكانت المعجزة التي تفوق المعجزات هي بعثة النبي الأكرم (عليه الصلاة والسلام) ونظراً لضخامة هذه المعجزة وتعدد أجزائها، فقد توافقت كل أجزائها بما يخدم هذه الأمة ومصالحها؛ لأنَّ النبي كان مستكملاً كل الصفات الحسنة في خلقه وخلقه، وهذه الصفات لا يمكن الاستغناء عنها في إنجاح الرسالة العظيمة فقد توافقت تلك الأجزاء جميعاً بما يقبله العقل قبولاً سائغاً لا لبس فيه من دون استكبار أو عنق؛ لأنَّه يمتلك القدرة على التأليف بين القلوب وجمع الثقة، وكان فصيحا، ومؤمناً بتبليغ الدعوة التي حملها، وحريصاً على إنجازها⁽³³⁾.

ويطالعنا الشاعر (حكمت صالح) في قصيدته (النبي وعصر التكنولوجيا) التي يصور من خلالها الصورة المأساوية للحضارات المعاصرة، وينذر بسقوطها المدوي، كما سقطت الحضارات السابقة، ويبين الانهيار الشامل لكافة المستويات الفكرية والمادية، ويشير من خلال القصيدة إلى أنَّ النبي (عليه الصلاة والسلام) والرسالة التي جاء بها، والمنهج الذي وضعه لأمة الإسلام، هو المنهج الوحيد المرشح لتنظيم الحياة على أرض المعمورة، ولا بديل عنه وهو يصور لنا حال الجزيرة العربية قبل البعثة، وكيف كان أهلها يعيشون في ظل التفكك، والتخلف، والجهل، والظلام، وكيف كانوا يعبدون الأصنام من دون الله، ويئدون البنات، ويغزو أحدهم الآخر ويقول الشاعر:

إنَّ في الأرضِ الحجازية

⁽³²⁾ خليل موسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، (دمشق: مطبعة اتحاد الكتاب العرب، 2003)، 4.

⁽³³⁾ عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د ت)، 20.

في (مكة)
أحقاباً توالَتْ عَبرَ أحداثِ جِسامِ
صُوراً تَتَرَى على الشَّاشةِ
فَلَمَّا سِينِمَائِيًّا⁽³⁴⁾

وهنا يرفع الشاعر الستار عن المشاهد المحزنة؛ التي خيمت على أهل الجزيرة في الجاهلية قبل بزوغ فجر الإسلام، وكيف كانوا يعيشون، وكأنَّه فلما سينمائيا توالَتْ فيه الأحداث الجسام، ويصف حالهم وهم عبر هذه الأحقاب بقوا على ما هم عليه، وتعود الإنسانية إلى سالف عهدها، القوي يأكل الضعيف، وترتفع الأكف إلى خالق السماوات والأرض؛ لتعيد للإسلام صولته؛ لكي يخرج البشرية مرة أخرى من الظلمات إلى النور، في ظل هذه الحضارات التي تحكم العالم بالنار والحديد، التي تحارب الفقير في رزقه، وتحاول السيطرة على ثروات العالم ويقول:

فَالْأَفْ خِيَامِ
مَرَّقَتْهَا غَضْبَةُ الإِعْصَارِ
في كَهْفِ الظَّلَامِ⁽³⁵⁾

ويبدو أنَّ الشاعر يشير هنا وهو يصور تلك المشاهد من آلاف الخيام الرثة الهزيلة التي لا تستطيع مقاومة الطبيعة القاسية، والظروف التي مروا بها من الخلافات والنزاعات فيما بينهم، وشبهها بالظلام كناية عن الجهل والتخلف، الذي كان يسود الجزيرة العربية، من قسوة في العيش وهم في العراء تحت رحمة الطبيعة القاسية، والجهل بالحقيقة، شبهها بالظلام، وهو ابتعادهم عن الحق قبل البعثة النبوية.

"تبدأ رحلة الشاعر من الجزيرة العربية ليصف لنا حالة الهلع والتمزق العربي حيث يأكل القوي الضعيف، والحروب طاحنة تأتي على الأخضر واليابس لأتفه سبب، والولاءات للفرس والروم، وسط هذا الجو الملبد بالغيوم السوداء، يبرز نور كاسح ليغتيال الظلمة المستشرية في خلايا أمة العرب، لينطلق - فيما بعد - إلى سائر المعمورة وهذا النور المتمثل في ميلاد سيد المرسلين محمد (عليه الصلاة والسلام)"⁽³⁶⁾.

⁽³⁴⁾ حكمت صالح جرجيس، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1988)، 35.

⁽³⁵⁾ حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 35.

⁽³⁶⁾ أحمد الأشهب، "وحدة النزيف في القصيدة الإسلامية المعاصرة"، مجلة المشكاة، 21- 22، (1995)، 73.

ويبدو ما أحدثه الإسلام من تغيير في حياة العرب كان مهما جدا، فما كان إيجابيا في حياتهم استبقاه، وما كان سلبيا استبعده لأنه لا يليق بسمو الإسلام. ويسترسل الشاعر ويصور لنا مشاهد ومقارنات بين الأمس واليوم، وهو يصف صورة الجبابرة والأكاسرة قبل البعثة ويقول:

حَيْثُ (لَا كِسْرَى أُنُوشِرُونَ)
لَا قَيْصَرُ
يَشْفِي النَّاسَ مِنْ هَذَا الْوَبَاءِ
أَفَّةٌ تَلْتَهُمُ الْأَرْضَ التَّهَامُ
وَوَرَاءَ السُّورِ قَدْ عَمَّ الْبَلَاءُ
يُؤَذِّنُ لِلْإِنْسَانِ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِالْفَنَاءِ⁽³⁷⁾

ويبدو أن الشاعر أراد أن يقول أن الحالة المأساوية التي هم فيها، لا ينفع معها أي كسرى من الأكاسرة، ولا أي قيصر من القياصرة، فالحالة صعبة ومعقدة لا يستطيع أحد أن يشفي الناس من هذا الوباء، وقصد التخلف، والجهل، والعادات السيئة، التي يعيشونها؛ لأنهم كانوا في نزاع دائم ومستمر يقتل أحدهم الآخر؛ من أجل الأرض، أو عين ماء، أو من قلة الغذاء، وينذر الشاعر من وقوع البلاء إذا ما استمروا على تلك الحالة فسوف يكون الفناء، ويقول أن تلك الأرض مستسلمة للجذب، والقحط وانعدام الخصوبة فيها، وقلة العطاء، فهي سائرة نحو العدم، ففي تلك الفترة المظلمة من حياة أهل الجزيرة، التي سبقت البعثة النبوية، كان الظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي قد فشا لدرجة تنبئ بنهاية عهد الظلام الذي طال وتطاول، وانسلاخ الإنسان عن ركب الإيمان، فقدس الأوثان، والحجارة، لعلها تمنحه تأشيرة الخلاص، وما كان يدري أنه يكبل روحه إلى الأبد، بعد أن كبل المستكبرون منه الجسد، فأصبح يعيش تحت سقف أشبه ما يكون بنسيج عنكبوت لا يلبث أن يتلاشى لأول خلخلة، ويتركه عرضة للفحات الشمس المحرقة تليفحه⁽³⁸⁾، ويسترسل الشاعر ويقول:

عَبَدَ النَّاسُ الْحِجَارَةَ

⁽³⁷⁾ حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 36.
⁽³⁸⁾ أحمد الأشهب، "وحدة النزيف في القصيدة الإسلامية المعاصرة"، 74.

قَدَسُوا الْأَوْثَانَ؛ خَرُّوا لِلْكَوَاكِبِ
سُجَّدًا خَشْيَةً أَنْ يَنْسَلِخَ الْإِنْسَانُ
عَنْ رَكْبِ الْحَضَارَةِ (39)

وها هو الشاعر يصور مشهد الحياة كيف كانوا يعبدون الحجارة التي لا تضر، ولا تنفع، وقدسوا تلك الأصنام، وعبدوها كابرا عن كابر، وسجدوا للكواكب؛ لكي تقربهم إلى الله زلفى، وكل ذلك خشية أن يتركوا ما كان يعبد آباؤهم وأجدادهم فيعدونها سُبَّةً، وخروجا عن الأعراف، والتقاليد، ويسجل الشاعر التاريخ شعرا في صفاء العقيدة لأتتها جوهر الدين، ودعا لنبد التقليد الأعمى بإتباع الآباء والأجداد، وبعد أن استعرض الشاعر بهذه الأبيات، حياة أهل الجزيرة قبل البعثة النبوية ها هو يبشر بميلاد فجر جديد للإنسانية، ويبشر بميلاد سيد وفخر الكائنات الحبيب المصطفى (عليه الصلاة والسلام) الذي سوف يغير مجرى التاريخ ويقول:

قَدْ أَنْجَبَتِ الدُّنْيَا غُلَامًا
سَوْفَ يَبْتَرُ الظُّلَامَا
بِسُيُوفٍ مِنْ رُجَاجِ الْقَرَحِ الْبَارِقِ
يَحْمِلُ الْأَرْضَ عَلَى رَأْسِهِ
يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَةِ لِلنُّورِ
أَلَا يَا قَوْمِ قَدْ حَانَ النُّشُورُ (40)

يصور الشاعر لحظة الانهيار والسقوط لتلك الحقبة المظلمة، ويعلن عن ميلاد فجر جديد، وهو ميلاد فخر الكائنات ومنقذها من الانهيار والظلام بقوله (قد أنجبت الدنيا غلاما) وهو المعول عليه في انتشار هذه الأمة مما هي فيه، وأي غلام! إنه النبي (عليه الصلاة والسلام) الذي بعثه الله بالحق؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه، يقول تعالى في محكم التنزيل: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ

(39) حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 36.

(40) حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 38.

الْحَمِيد)⁽⁴¹⁾، ويولد النبي (عليه الصلاة والسلام) وقد ولدت معه الحضارة الجديدة، وأشرقت شمس الإنسانية، وسار بالإنسانية في ركب الحياة يؤسس أركان عالم جديد في جلال وخشوع، غير أنَّ هذه الحضارة تستحيل في الزمن الحاضر "وأنَّها مجرد تداعيات تنهض في ذاكرة الشاعر بعدما فقدت مشروعية وجودها على المستوى الواقعي الاجتماعي.. تداعيات مؤلمة تكشف عن بعد الثنائيات الضدية بين عالمين مختلفين ينتميان إلى خلفية مذهبية واحدة، الأول في سموه وازدهاره، والآخر في موته وانهياره"⁽⁴²⁾.

ويصور الشاعر مشهداً آخر من مشاهد الفرح في الملأ الأعلى وهم مستبشرون بمولد سيد المرسلين بمن سوف يغير مجرى التاريخ في العالم إلى الأفضل ويقول:

صَلَوَاتُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى تَهَادَتْ
فِي مَحَارِيبِ جَلَالَاتِ الْخُشُوعِ
يَوْمَ عِيدِ الْمَوْلِدِ الْمَيْمُونِ
رَفَّتْهَا الدُّنَا
هَلَلَتْ مُهْجَةً أَكْوَانِ الْمَعَالِمِ
هَلَلَتْ كُلُّ الْمَعَالِمِ
ثُمَّ سَارَتْ تَقْتَفِي خَطُوكَ
فِي رَكْبِ الْحَيَاةِ⁽⁴³⁾

ومن كلام الشاعر يتضح أنَّه يصف مشهد الملائكة في الملأ الأعلى وهم مستبشرون فرحون بقدوم نبي الرحمة والإنسانية، وهم في المحاريب خاشعون ساجدون لله رب العالمين، ويقول أنَّ الدنيا استبشرت بالمولد الميمون؛ الذي يخدم كل البشرية على وجه المعمورة، ففرحت وسارت على خطاه واتبعت هديه، وبعد كل العز والشموخ تباطأت همم الأقوام، وتركوا خلفهم كل شيء بعد أن تقادم الزمان عليهم، وبعد أن ابتعد عنهم زمن النبي (عليه الصلاة والسلام) وأصحابه ويقول:

⁽⁴¹⁾ إبراهيم ، 1/14.

⁽⁴²⁾ عروي، إيقاع الانهيار والشمس المرتقبة، 72.

⁽⁴³⁾ حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 39.

إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا
فَعَطُّوا

مَثَلُ أَهْلِ الْكَهْفِ
فِي قَبْرِ السُّبَاتِ⁽⁴⁴⁾

وينتقل الشاعر إلى مسألة هجر القرآن بعد الأمن، والأمان، والاستقرار، ولما
تفتحت الدنيا على المسلمين انغمسوا فيها وابتعدوا من جديد، ويصور القوم بعد
أن ابتعدوا عن كتاب الله وسنة نبيه الأكرم، وبعد أن عاشوا في عز الإسلام
وشموخه، ها هم يعودون من جديد -في زمن الحضارات- إلى الترف، واللهو،
وترك ما أمرهم به ربهم، فغطوا في سبات عميق شبههم بنوم أهل الكهف كناية
عن الزمن الطويل الذي قضوه بالابتعاد عن دين الله، وتركوا كل القيم والمبادئ
التي جاء بها الإسلام والأخلاق الحميدة فتركوها وتخلوا عنها، والإسلام حثَّ
على العمل والإنتاج، ويأبى الكسل والتقاعد عن البناء والإصلاح، ولعل
الشاعر أراد ذلك بذكر أهل الكهف، ويقول الشاعر أن هذا السبات والسقوط
مستمران، وتبعث الحضارة في شكلها الغربي الجديد، فيرجوا العالم الخلاص
على يديها ويقول:

سَيِّدِي إِنَّ الْحَضَارَاتِ الْحَدِيثَةَ
حَمَلْتُ أَعْبَاءَ كُلِّ الْأُمَمِ
وَحُطَّاءَهَا لَمْ تَرَلْ بَعْدُ حَثِيثَةً
ثُمَّ خَانَتْهَا قَوَاهَا
إِذْ تَخَلَّتْ عَنْ مَعَانِي الْقِيَمِ
فَهِيَ تَهْوِي نَحْوَ قَعْرِ الْعَدَمِ⁽⁴⁵⁾

ويبدو أن الشاعر يصف تلك الحضارات بكل تطورها وتقدمها، والتي
حملت أعباء الأمم؛ ولكنها لم تصل إلى ما وصل إليه الإسلام، وما جاء به النبي
(عليه الصلاة والسلام) وإن قواها قد خانتها بابتعادها عن القيم والمبادئ التي
جاء بها نبي الرحمة، إذاً الإسلام هو منهج صحيح يؤكد على أهمية القيم،

⁽⁴⁴⁾حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 42.

⁽⁴⁵⁾حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 49.

والمبادئ والأخلاق الحميدة في حياة البشرية وهو سر نجاحها، وإلا فالفشل لا محالة، "إذاً النتيجة الحتمية هي السقوط المدوي بل أن الشكل الزماني المرتبط بالإيقاع يجسد- هو الآخر- حالة التعثر فالانهيار" (46).

ويبدو أن ما فهمناه من كلام الشاعر أن هذه الحضارات لم تأت بما جاء به النبي (عليه الصلاة والسلام) فهي مقارنة بين زمنين مختلفين من ناحية التقدم الصناعي، وبالرغم من ذلك التقدم والتطور في كل المجالات فإن هذه الحضارة لا تستطيع إنقاذ العالم مما هو فيه، كما أنقذ النبي (عليه الصلاة والسلام) الإنسانية من الضلال والتخلف، فالشاعر هنا يوضح فضل الله ببعثه نبي الرحمة؛ الذي استطاع تغيير العالم إلى الأحسن وهدم تلك الحضارات البالية القديمة، إذاً نستطيع أن نقول أن شخصية النبي (عليه الصلاة والسلام) هي الشخصية الأمثل لكل المراحل، فهو جاء بفكر سليم، وكتاب منير، وسنة مطهرة، فهو صاحب فضل، أفضل من هذه الحضارات الزائفة.

ويعود الشاعر إلى القصيدة ويصور مشهد الناس بعد أن ابتعدوا عن كتاب الله وسنة نبيه الأكرم، ويصورها بمشهد مأساوي مليء بالغموض والظلام الدامس، ليس فيه قيم أو أخلاق أو مبادئ ويقول:

وَيَعُودُ النَّاسُ يُفْنِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا
لَأَنَّ الْعَقْلَ قَدْ فَسَّخَهُ
عَصُرُ الْحَضَارَاتِ الْهَزِيلِ
عَصُرُ ذَبْحِ الْقِيَمِ
فَوْقَ صَرْحِ الْمَدَنِيَّةِ
إِنَّ هَذِي الْفَلَسَفَاتِ
أَفْلَتَتْ مِنْ يَدِهَا حَبْلَ النَّجَاةِ (47)

والراجح أن الشاعر يصف السقوط لتلك الحضارات التي ابتعدت عن هدي النبي (عليه الصلاة والسلام) ويشمل ذلك السقوط جميع الجوانب المادية،

(46) عروي، إيقاع الانهيار والشمس المرتقبة، 74.

(47) حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 47.

وتجاوز إلى أن يسمم الفكر والعقيدة، ويقول الشاعر ها هم الناس يعودون من جديد إلى الاقتتال ويفني بعضهم بعضاً؛ بسبب ما خلفته الحضارات الحديثة التي تدعو إلى التفكك، والانحلال، واستلاب، الأموال، والتوسع على حساب الآخرين، على عكس ما جاء به النبي الأكرم، بتوحيد الدنيا على المحبة، والتسامح، واحترام الإنسان.

ولعل إغفال الجانب الروحي من الحضارات الغربية، والتركيز على الجانب المادي ضيع الناس، وضع القيم، والمبادئ، والأخلاق، وأصبحت المادة هي المتحكمة؛ لأن تلك الفلسفات التي نادى بها الغرب أصبحت غايتها مادية، بحيث تركت الجانب الروحي، بينما الإسلام أكد بشخص الرسول (عليه الصلاة والسلام) على الجانب المادي والروحي معاً، فهو بحق المنقذ، والمنجي للبشرية جمعاء؛ لأن الإنسان يحتاج الإثنين معاً ولا بد من الموازنة بينهما، ويقول الشاعر إنَّ الناس لن يبقى لهم عقل يفكرون به لخدمة البشرية، بل يفكرون كيف يسيطرون على العالم، وجمع الأموال ففكرهم مقتصر على الربح فقط، فيصف هذا التطور بالهزيل على غرار ما جاء به النبي (عليه الصلاة والسلام) فيصف هذا العصر الذي دُبحت فيه القيم والمبادئ، وترك جانباً، وساد مبدأ القتل والتهريب علنا فوق صرح المدينة لا يخلجون مما يفعلون، ويقول هذا كله بسبب الفلسفات الإنسانية التي تختلف جذريا عما جاء به النبي (عليه الصلاة والسلام) فهذه الفلسفات سوف تؤدي بالنهاية إلى أن يفلت من يدها حبل النجاة .

"فقد تعذر على هذه الحضارات إنقاذ البشرية من دروب الشوك والانшطار، ولقد أدرك أبنائها هذه الحقيقة إدراكاً عميقاً" (48).

والراجح أن الأضرار الناجمة بسبب الابتعاد عن الإسلام أصبحت واضحة؛ لأنَّ الغرب اغرقوا أنفسهم بالمادة، والإنسان بحاجة ماسة للمادة والروح معاً،

(48) عروي، إيقاع الانهيار والشمس المرتقبة، 78.

حتى أنهم نسوا أو تناسوا مقولة نبيهم عيسى (عليه الصلاة والسلام) ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان.

إذا نستطيع القول أن هذه الحضارات لا تستطيع أن تُنقذ الإنسان، كما أنقذ النبي (عليه الصلاة والسلام) العالم من الضلال؛ لأنَّ هذه الحضارة ابتعدت عن الأهداف الجوهرية التي جاء بها النبي (عليه الصلاة والسلام) وإنَّ الحضارات الغربية خلال ألف سنة لم تقدم للإنسانية شيئا سوى القتل، والسلب، والنهب، واحتلال الدول الضعيفة وتقسيمها؛ لتسهل السيطرة عليها.

ويبدو من خلال كلام الشاعر وهو يصف الغرب بالمجرم الخطير الذي أجرم بحق الإنسانية، وبالرغم من سيطرته العسكرية والسياسية والمالية، فهو يفرض نظاما عالميا مقبولا وهو العولمة التي تخدم مصالحه، على عكس هدي سيد البشر الذي أراد الخير للجميع، ووضع الأسس للعيش بسلام وحرية، وأنَّ الناس سواسية أمام الله لا يميزهم إلا عملهم.

"عندما نقرا قصيدة النبي وعصر التكنولوجيا للشاعر حكمت صالح، ينتابنا شعور غريب حول قدرة الشاعر على تكثيف مأساة الانهيار الحضاري ويجسدها في شكل نسيج متداخل الخيوط متشابك السمات، حتى ليصعب على الدارس تشريحها، ولو أنها خضعت مكانيا لشكل المقاطع، لأنَّ الحبل السري المتكون من نفسية الشاعر ورؤيته وحرارة التجربة المتدفقة أقوى من أي تقسيم أو تقطيع، فضلا عن تداخل العوالم الممتدة عبر التاريخ، منذ الجاهلية إلى عصر التكنولوجيا وهذا الامتداد التاريخي يبتعد عن أن يكون امتدادا زمنيا بالمنظور الرياضي وإنما يصبح امتدادا حضاريا خاضعا لسلم الاستمرار أو الانهيار"⁽⁴⁹⁾ ويستمر الشاعر في قصيدته ويقول:

حَيْثُ التَّرَفُ يَنْخُرُ الْبَوَابَةَ الْعُظْمَى
وَأَسْوَارَ الْمَعَاقِلِ
فَالْحَضَارَاتُ إِذَا سَادَتْ
كَمَا قَالُوا
فَحَثْمًا تَقِفُ
بَيْنَ جَنْبَيِّ الطَّرِيقِ
لِتُحِيلَ الصَّرْحَ وَالْأَبْرَاجَ فِي مَسْرَحِنَا

(49) عروي، إيقاع الانهيار والشمس المرتقبة، 71.

مَشْهَدًا عَيْنَاهُ تَبْكِي الدِّمْنَا⁽⁵⁰⁾

ويبدو أَنَّ الشاعر أطلق تسمية على هذه الحضارات وسماها بالصرح والأبراج، التي تنخر جسد الأمة بسبب الترف، ويشير إلى أَنَّ الحضارات إذا سادت سوف تجعل الإنسان يبكي بكاء شديداً، ولعله قصد بعيناه تبكي الدِّمْنَا هو ذلك البكاء المصحوب بالألم الشديد، ويأمل الشاعر بانبعث الأمل من جديد ويتحسر على تلك الأيام الخوالي التي عاشها الناس في ظل الإسلام معززين مكرمين لا يُهضم فيها حق أحد، كما نراه الآن، الناس تبكي في كل أصقاع العالم بسبب السياسات الرعناء لتلك الحضارات الغربية، ويقارن الشاعر بين ما جاء به النبي (عليه الصلاة والسلام) من قيم ومبادئ وأخلاق كريمة ومنهج رباني عادل لا يجحد فيه حق أحد، وبين ما جاءت به الحضارات الحديثة من تفسخ، وانحلال، وسلب، ونهب لثروات الشعوب، على عكس ما فعله النبي (عليه الصلاة والسلام) بإثبات الحقوق لأصحابها، وعدم المساس بحقوق الفقراء، والمساكين، وصون هذه الممتلكات، ويعود الشاعر إلى النصح والإرشاد ويدعو الناس إلى الرجوع إلى الله والالتجاء إليه لعله يبعث من جديد من يجدد أمر هذه الأمة؛ لأنها ضاعت في عصر التكنولوجيا ويدعو الله أن يبعث مخلصاً فيقول:

لَمْ يَعْذُ يَمْلِكُ إِلَّا دَمْعَتَيْنِ

تَرْفَعَانِ الرَّاحَتَيْنِ

بِالدُّعَا نَحْوَ السَّمَاءِ

عَلَّهَا تَبَعْتُ لِلْأَرْضِ نَبِيًّا

يُخْرِجُ النَّاسَ مِنَ الظُّلْمَةِ لِلنُّورِ⁽⁵¹⁾

"ويصبح النبي (عليه الصلاة والسلام) -هنا- (كناية بعيدة) على الإسلام

وعودته، بوصفه المنهج الوحيد المرشح لتنظيم الحياة من جديد"⁽⁵²⁾، ويتضح

من كلام الشاعر أَنَّهُ لا يمكن الاستغناء عما جاء به النبي (عليه الصلاة

⁽⁵⁰⁾ حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 40.

⁽⁵¹⁾ حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 57.

⁽⁵²⁾ محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، (الدار البيضاء: المكتبة السلفية، 1986)، 58.

والسلام)؛ لأنَّ ذلك هو الحل الأمثل للإنسانية جمعاء، وأنَّ الشاعر أحاط بكل جوانب الرحلة الإنسانية في قصيدته (النبي وعصر التكنولوجيا) منذ البعثة النبوية مروراً بالعصر الذهبي الذي عاشه الإنسان في ظل الحضارة الإسلامية، إلى أن يصل إلى زمن الحضارات الحديثة وإنَّ هذه الحضارة المادية قد عميت، "ولم تعد تهدي أمة إلى رشد، أو نكاء، فلتكف الأمم عن الإعجاب والانبهار بجسدها المتورم الممتلئ بدماء التكالب الزرقاء، ولتراجع ذاتها وتاريخها، ولتستمد النور من ثقافتها وحكمتها؛ وإنَّ ما نمتلكه من قيم إنسانية، ورؤى كونية، ومناهج حياتية، واتجاهات حضارية لهو خير، وألذ، وأبقى" (53).

إنَّ الشاعر قد استغرب من ضياع العدل في تلك الحضارة، وتحكم القوة الغاشمة، وعدم الاستفادة من التكنولوجيا التي جاءت بها تلك الحضارة لخدمة الإنسان، بل على العكس بطشت بالإنسان وجحدت حقوقه، وغاصت في بحور الظلم والطغيان، وتحولت إلى غابة مليئة بالأفكار المزيفة على عكس ما جاء به النبي (عليه الصلاة والسلام) من منهج واضح وضوح الشمس.

وبعد أن استعرض الشاعر هذه الأحداث الجسام عبر التاريخ ومقارنتها بما جاء به النبي (عليه الصلاة والسلام) ينتقل بنا إلى قصيدة (البشرى) من ديوان الإبحار في ماء الوضوء، التي يصور لنا فيها كيف مُهِّدَ لولادة نبي الرحمة والإنسانية، والظروف التي مهَّدت لمولده واقتران (عبد الله بن عبد المطلب) والد النبي (بأمنة بنت وهب) والدة النبي وحتى وفاة والدته، وعودة أم أيمن (بركة الحبشية) التي كانت بصحبة النبي وأمه وعادت به إلى جده (عبد المطلب) في مكة، وحادثة شق صدر النبي؛ لكي تبدأ رحلة الإنسانية المشرقة التي غيرت مجرى التاريخ فيقول:

مِنْ خَلْفِ دِيَاغِيرِ الْعُتْمَةِ
تَنْهَادِي فِي أَفْقِ الْكَوْنِ بِشَارُهُ مَوْلُودٍ قَادِمٌ

(53) محمد رشدي عبيد، "محاوَر من شعر حكمت صالح"، مجلة المنعطف المغربية 11، (1995)، 70.

مَوْلُودٌ يَحْمِلُ بِالْيَمْنَى قَنْدِيلًا وَكِتَابًا
يَكْشِفُ عَنِ الْهَالَاتِ لَثَامًا وَنِقَابًا⁽⁵⁴⁾

والراجح أنَّ الشاعر يصور لنا تلك المشاهد التي مرت بها جزيرة العرب منذ ولادة النبي الأعظم، ويبشر بولادته وقدومه؛ لكي ينتشل العالم مما هو فيه، ويقول: (من خلف دياجير العتمة) أي، من بعد ذلك الظلام الذي تعيشه الجزيرة العربية، من التمزق والجهل والظلام، هناك بواذر تلوح في الأفق وتبشر بولادة فخر الكائنات الذي سوف يغيّر مجرى التاريخ نحو الأفضل ويقول: أنَّ (مولودا يحمل باليمنى قنديلا وكتابا) في إشارة إلى كتاب الله (القرآن الكريم) الذي فيه الحق، النور الذي سينير به الكون وهذا الكتاب سوف يجلي الظلمة، ويظهر النور إلى الناس ليروا الحقيقة كعين الشمس، ويزيح اللثام عن كل غامض ويقول:

مَوْلُودٌ يَحْمِلُ بِالْيُسْرِى سَيْفًا وَجَرَابًا
يَبْذُرُ فِي الْأَرْضِ بَحْدَهُمَا الْعَدْلَ
وَيُنْزِلُ بِالطَّاعُونَ عِقَابًا⁽⁵⁵⁾

أراد الشاعر أنَّ يقول أنَّ النبي البشرى الذي بشر به سوف يحمل السيف ويضرب به كل من يصد عن الحق ودعوته إلى الله، فباليمنى يحمل الرحمة، وباليبرى يحمل السيف؛ ليرهب به أعداء الله ويبذر في هذه الأرض البذرة الحسنة؛ التي سوف ينتفع بها العالم على مر العصور، فهي رسالة سماوية عظيمة لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه، وينشر العدل، وينزل بالأعداء العقاب الصارم، وكنى الشاعر الأعداء والظالمين بالطاعون (المرض الخبيث)، ويقول:

عَبَّرَ أُلُوفِ الْأَعْوَامِ
وَبِمِصْفَاةِ الْعِقَّةِ
مَرَّتْ نُطْقَةُ

⁽⁵⁴⁾حكمت صالح جرجيس، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، (الموصل: منشورات البراق الثقافية،

2009)، 71.

⁽⁵⁵⁾حكمت، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، 71.

بِالْأَصْلَابِ وَبِالْأَرْحَامِ
وُلِدَ الطِّفْلُ الْبَشَرُ
فَأَنْشَقَ لِمَوْلِدِهِ الْقَمَرُ

وَبَدَتْ لِعُيُونِ الرُّقَبَاءِ الْعَبْرُ⁽⁵⁶⁾

والراجح من كلام الشاعر أنه يستعرض كيف انتقل النبي (عليه الصلاة والسلام) من أصلاب الرجال إلى أرحام النساء عبر القرون، ويفهم من كلامه أنه انتقل من سيدنا (ادم) عليه السلام عبر الأنبياء إلى سيدنا (إبراهيم) ومن ثم إلى (إسماعيل) إلى أن وصل إلى (عبد الله) والد النبي (عليه الصلاة والسلام) ومن ثم إلى (آمنة بنت هب) والدته، ولم تتلوث تلك النطفة أبدا بقيت نقية خالصة، ولهذا المولود انشق له القمر وهذه آية لنبوته وإنه لشيء عظيم، "وجعل الله انشقاق القمر آية له على صدق نبوته فيما جاء به من الهدى ودين الحق، حيث كان ذلك وقت إشارته الكريمة"⁽⁵⁷⁾، أي عندما أشار إلى القمر انشق واستجاب لنداء الرسول بأمر ربه، قال تعالى: (افْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ)⁽⁵⁸⁾، ويقول الشاعر أن العقلاء، وأهل الفكر، والمراقبين، والمتتبعين للأحداث لهم في ذلك عبر؛ لأنهم يعلمون أن ما حدث ليس هينا ووراءه شيء عظيم سوف يحدث، وينتقل بنا الشاعر إلى موت (عبد الله) والد النبي (عليه الصلاة والسلام) وكيف يتربص الأعداء به ويقول:

فَبَشَّرَاتُ الطِّفْلِ
تَتَرَاءَى فِي كُلِّ ثَنِيَّةٍ ظِلٌّ
وَتَطَايَرُ فِي الْأَفَاقِ الْخَبْرُ
فَكَانَ الْكُهَّانُ
وَكَانَ الرُّهْبَانُ
وَكَانَ الْأَحْبَارُ

⁽⁵⁶⁾حكمت، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، 72.

⁽⁵⁷⁾أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملح وعلي نجيب عطوي،

(بيروت: دار الكتب العلمية 1985)، 116/3.

⁽⁵⁸⁾القمر 2-1/54.

وَدَهَاقِينُ الْعَالَمِ يَسْتَرْقُونَ السَّمْعَ
إِلَى الْأَخْبَارِ⁽⁵⁹⁾

ويشير الشاعر هنا إلى أن كل ما في الأرض، قد علم بولادة النبي (عليه الصلاة والسلام) الذي انشق له القمر، وخمدت نار المجوس، وانشق إيوان كسرى، لتلك الحادثة العظيمة، وأصبح الخبر في انتقاله كالريح فوصل إلى مسامع الجميع فقد علمه اليهود والنصارى وكانوا يتمنون أن يأتي النبي من أصلاهم ولكن هيهات، ومن ثم ينتقل الشاعر إلى مشهد آخر وهو عام الفيل، الذي أراد أبرهة الحبشي فيه استباحة الكعبة، ونجد الشاعر في هذه القصيدة قد انفتح على تصوير الأحداث واصفاً ذلك بمقياس إسلامي وهي "رؤية ترتبط في أساسها بالإسلام، وتهدف إلى إبراز أدب يحمل قيما إسلامية يعمقها بكتاب الله وسنة رسوله (عليه الصلاة والسلام) وي طرح من خلالها رؤية جديدة للكون، والعالم، والحياة، والإنسان، فتجيء بمثابة انقلاب شامل على كل الرؤى، والأعراف، والتقاليد، والقيم"⁽⁶⁰⁾ ويسترسل الشاعر في قصيدته (البشرى) وهو يصور مشهد عام الفيل وما حدث لأبرهة الحبشي وجنوده عندما أرادوا هدم الكعبة المشرفة ويقول:

وَأَنَامِلُهُمْ تَسَاقَطُ
وَالطَّيْرُ تَخِرُّ.. فَتَخْطِفُهَا
الطَّيْرُ تَخِرُّ.. تَخِرُّ أَبَابِيلًا
كَالْعَصْفِ الْمَأْكُولِ غَدَا
تَرْمِيهِمْ بِحَجَارَتِهَا سَجِيلًا
لَمْ يَدُمْ الْأَمْرُ طَوِيلًا
لَمْ يَدُمْ الْأَمْرُ طَوِيلًا⁽⁶¹⁾

والواضح أن الشاعر يصور تلك الواقعة التاريخية التي وقعت في ولادة رسول الإنسانية، وهو عام الفيل الذي ولد فيه النبي محمد (عليه الصلاة والسلام)

⁽⁵⁹⁾حكمت، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، 78.

⁽⁶⁰⁾عمر محمد الطالب، الاتجاه الإسلامي في ديوان الإبحار في ماء الوضوء، (نينوى: رابطة العلماء فرع نينوى، 2001)، 211.

⁽⁶¹⁾حكمت، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، 80.

وكيف أن (أبرهة) تجرأ على هدم بيت الله الحرام، فنجأ الله بيته من ذلك الطاغي بإرساله جنوداً من عنده تمثلوا بالطير الأبابيل التي تحمل في مناقيرها حجارة من جهنم مسومة من عند الله تحرق من تقع عليه، فتساقطت الأصابع وانصهر الجلد من جنود أبرهة من أثر تساقط تلك الحجارة عليهم فجعلهم هباء منثوراً قال تعالى:

(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ)⁽⁶²⁾ ونلاحظ أن الشاعر يوظف الآيات القرآنية في شعره، ويستخدم التركيب القرآني مثل: (طيرا أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، كعصف المأكول) وثم ينتقل بنا الشاعر إلى مشهد آخر بعد ولادة النبي (عليه الصلاة والسلام) وأهله يبحثون له عن مرضعة وكان هناك الجذب والقحط فلا أحد يستطيع أن يكفله بالرضاعة؛ لأنه يتيم ويقول الشاعر:

وَالْقَحْطُ تَضَوَّرَ بَيْنَ الْأَحْشَاءِ
كُلُّ مَرَأَصٍ سَعْدٍ لَا يَسْتَهْوِيهِنَّ (الطِفْلُ) يَتِيمًا
سَنَةُ شَهْبَاءٍ
وَالْبَيْدَاءُ.. الْجَرْدَاءُ.. تُرِيدُ سَخَاءً.. وَتُرَاءُ.. وَرَخَاءً
وَتُرِيدُ الْعَوْتَ يَسُحُّ الْعَيْثُ.. الْعَيْثُ عَمِيمًا⁽⁶³⁾

ويبدو أن الشاعر يصور لنا المأساة التي حلت بالعرب في تلك السنة من القحط وقلة الأمطار، وليس هناك أمل بالأرض، والناس جياع من قلة الزرع، فتلك السنة كانت شحيحة على الجميع، لاخضرة فيها ولامطر، وكل المرضعات لايرغبن برضاعة النبي (عليه الصلاة والسلام)؛ لأنه يتيم، لم يكن عنده إلا أمه وجده، ولكن إرادة الله تدخلت أن لا ترضعه إلا (حليمة السعدية) فكانت إرادة الله نافذة في خلقه "وكانت العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع

⁽⁶²⁾ الفيل 1/105.

⁽⁶³⁾ حكمت صالح جرجيس، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، (اليمن: دار حضر موت للطباعة والنشر، 2003)، 82.

لأولادهم ابتعاداً لهم عن أمراض الحواضر؛ لتقوى أجسادهم، وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في مهدهم، فالتمس (عبد المطلب) لرسول الله (عليه الصلاة والسلام) المراضع⁽⁶⁴⁾ ويستمر الشاعر في قصيدته ويقول:

مَا بَقِيَتْ غَيْرُ حَلِيمَةٍ
وَحَلِيمَةٌ مَلَّتْ مَنْ طَرَقَ الْأَبْوَابِ
تَحْمِلُ (عَبْدَ اللَّهِ) رَضِيعاً⁽⁶⁵⁾

وهنا يصور الشاعر أنَّ كل المرضعات وجدن من يرضعنه إلا (حليمة السعدية) لم تجد أحداً، ولكنها في النهاية رضخت لإرادة الله الواحد القهار، وكانت تبحث عن طفل لترضعه لكي تلتمس الخير من أهله.

فقد خرجت (حليمة) من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه مع نسوة من بني سعد يلتمسون الرضعاء، وكان ذلك في سنة شهباء مجدبة ومعهم ناقة مسنة لا تحلب إلا قليلاً، وكان ابنهم الرضيع يبكي من الجوع، وهم لا يستطيعون النوم، ولا يوجد حليب في صدرها يكفيه فخرجوا من ديارهم يلتمسون الرضعاء، فدخلوا مكة، فما من امرأة إلا وعرض عليها النبي (عليه الصلاة والسلام) فأبَيْنَ أَنْ يَكْفُلُوهُ بِالرُّضَاعَةِ؛ لَأَنَّهُ يَتِيمٌ، وهم يلتمسون الخير من أبي الطفل، فحازت كل المرضعات على أطفال إلا (حليمة) فلم يبق إلا النبي (عليه الصلاة والسلام) وحليمة، فقررت أخيراً أخذه وإرضاعه⁽⁶⁶⁾.

وينتقل الشاعر ليرسم صورة جديدة، بعد ما حصل النبي (عليه الصلاة والسلام) على مرضعة وكيف عم عليهم الخير ونزلت عليهم بركات السماء فيقول:

وَتَمُرُّ الْأَيَّامُ بِسَأْمَرِنَا
عَامَانِ يَجُودَانِ بِخُضْرَةِ عَيْشٍ
لَمْ نَأْلَفْ مَنْ قَبْلُ نَعِيمَةٍ
نَهْرُ حَلِيبٍ فَأَضَ ضِفَافاً

⁽⁶⁴⁾ صفى الرحمن المبارك فوري، الرحيق المختوم، (د،ب: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2007)، 26.

⁽⁶⁵⁾ حكمت، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، 82-83.

⁽⁶⁶⁾ المبارك فوري، الرحيق المختوم، 62.

وَسَقَى الصَّخْرَا
مَنْ صَدَّرَ حَلِيمَةً⁽⁶⁷⁾

والواضح أنَّ المرضعات رفضن كفالة الطفل اليتيم فلم يبق أمام (حليمة السعدية) إلا أن ترضعه، ولكن هي أيضا تعاني مما يعانيه الناس من قلة الخير، وبعد أن كفلته جاءهم الخير، واخضرت الأرض، وامتألت الآبار بالمياه، فعم الخير المربع وجرى صدر (حليمة) بالحليب، فقالت (حليمة السعدية):

"فلما رجعت به إلى رحلي، فلما وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه حتى روي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، فقام زوجي إلى شارقنا⁽⁶⁸⁾ فإذا هي حافل⁽⁶⁹⁾ فحلبها وشربنا منها حتى انتهينا ريا وشبعا، فبتنا بخير ليلة"⁽⁷⁰⁾

فلم يألوا هذا الخير من قبل، ولكن هذه إرادة الله بأن يتربى النبي في البدو ويتعلم الفصاحة والبلاغة من منابعها الأصيلة، وثم ينتقل الشاعر إلى مشهد آخر مما جرى للنبي في حادثة شق الصدر، وكيف كان اندهاش أخيه بالرضاعة عندما رأى الملائكة وهي تشق صدر أخيه من الرضاعة، وتخرج منه حظ الشيطان وهنا إشارة إلى الملائكة (جبريل وميكائيل) اللذان أوكلهما الله بهذه المهمة، ويستمر الشاعر فيقول:

أُمَاهُ أَخِي
مَاذَا بِأَخِيكَ بُنِيَ؟.. أَلَا أَفْصَحُ
إِنَّهُ!
يُذْبَحُ!
رَجُلَانِ تَشْعُ ثِيَابُهُمَا أَلَقَا
شَقًّا صَدَّرَ أَخِي.. شَقًّا بَطْنُهُ!
يَا (حَار) إِذْنُ لِنَعْدُ ب (غُلَامِ بَنِي هَاشِمِ)

⁽⁶⁷⁾ حكمت، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، 86.

⁽⁶⁸⁾ الشارف: الناقة المسنة.

⁽⁶⁹⁾ الحافل: الممتلئة لبنا.

⁽⁷⁰⁾ المبارك فوري، الرحيق المختوم، 63.

إِذْ قَدْ جَاوَزَ فِينَا سِنَّهُ⁽⁷¹⁾

وبعد مرور السنتين على الرضاعة عادت به (حليمة) إلى (بني سعد) مرة أخرى وبعد أن بلغ النبي (عليه الصلاة والسلام) الرابعة من عمره وقعت تلك المعجزة الإلهية بشق صدر سيد الكائنات، وهنا يصف الشاعر تلك الحالة التي ألمت بهم من خوفهم على الطفل الرضيع فبينما هم يلعبون أتاه سيدنا (جبريل عليه السلام) فشق بطنه، وأخرج منها حظ الشيطان، قالت (حليمة):

"فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه في بُهْمٍ لنا، أي صغار الضأن، إذ أتى أخوه يشتد فقال لأبيه وأمه: إن أخي القرشي، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض، فأخذه وأضجعه، فشقا بطنه، فخرجت أنا، وأبوه يشتد، فوجدناه قائما، قد انتقع لونه - تغير وأصبح شاحبا - فلما رأنا أجهش إلينا وبكى، قالت: فالتزمته أنا وأبوه، فضممناه إلينا: مالك بأبي وأمي؟ فقال: أتاني رجلان وأضجعاني فشقا بطني، ووضعوا به شيئا ثم ردّاه كما هو"⁽⁷²⁾.

إذا تلك هي الحادثة التي صورها الشاعر عندما أتاه سيدنا (جبريل) وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك فخلصه مما يصيب البشر، ثم غسل سيدنا (جبريل) قلب النبي بماء زمزم في إناء من ذهب ثم أعاده كما كان، وبعد أن بلغ الأربعين من عمره اعتزل الناس وذهب إلى الغار، وأخذ يتفكر في خلق السماوات، والأرض في غار حراء في جبل النور، ولهذه العزلة طرف من تدبير الله، وليكون انقطاعه عن شواغل الأرض وضجة الحياة، وهموم الناس الصغيرة، وهموم الحياة التي تشغله عما هو فيه من عزلة، فهو مستعد لما ينتظره من أمر عظيم، والله يهيؤه إلى حمل الأمانة العظيمة، وتعديل خط سير الأرض نحو الأفضل، فقد دبر الله له هذه العزلة قبل ثلاث سنوات من تكليفه بالرسالة⁽⁷³⁾، ويصور الشاعر، النبي في غار حراء ويقول:

أُمَّةٌ كَحَلَّتْ جَفْنَهَا
بُنُغَيْمَاتٍ ((غَارِ حِرَاءِ))

⁽⁷¹⁾ حكمت، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، 89.

⁽⁷²⁾ علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، 2005)، 50.

⁽⁷³⁾ المبارك فوري، الرحيق المختوم، 74.

فَجَرَّتْ ثَوْرَةً
تَرْبُطُ الْأَرْضَ فِي هَوْلِهَا
بِالسَّمَاءِ
رَمَجَرَ الرَّعْدُ
دَوَتْ حَنَاجِرُ كَانَتْ حَبِيسَةً
فَاسْتَجَابَ لِصِرْخَتِهَا الْكَوْنُ
أَطْلَقَ فِيهَا سُمُوسَةً⁽⁷⁴⁾

ويبدو أنَّ الشاعر أراد أن يقول إنَّ هذه الأمة قرت عينها وفرحت واستبشرت بما حدث في غار حراء، عندما كان يتعبد فيه النبي (عليه الصلاة والسلام) ونزول الوحي عليه وبلغه بالرسالة، فحمل النبي أعباء الدعوة وخطورتها، وها هو الشاعر يصور المشهد بالانفجار العظيم الذي سيصيب العالم، وسيغير مجرى التاريخ، ويصورها الشاعر على أنَّها ثورة الحق ضد الباطل، فسيشمر الرجال عن سواعدهم.

"ثم تمتد هذه الأواصر بين هذه الوفود، وبين غار حراء متجاوزا حدود المكان؛ ليكون هذا الغار منطلق لتاريخ لايزال، وسيظل شامخا على أرض الله، ومنبثق أمة لا تزال وستظل ذات وزن في واقع الحياة المعاصرة، وأي مهمة نهض بها هذا الغار حين مد الجسور بين الأرض السماء؛ فأقام دولة المصطفى" ⁽⁷⁵⁾.

ودوت الحناجر الحبيسة (وزمجر الرعد) أشار إلى الجهر بالدعوة بعد أن كانت سرية فصرخ الرجال بأعلى صوتهم، بأنَّ الحق قد جاء بعد أن كانت أصواتهم حبيسة في حناجرهم، ومن هنا فجرت تلك النداءات "ثورة تربط الأرض هولها بالسماء، ولأجلها زمجر الرعد، ودوت حناجر كانت حبيسة، فاستجاب لصرختها الكون؛ فتضاءلت كبرياء الجبروت الراسخ في أعماق

⁽⁷⁴⁾ حكمت صالح جرجيس، ديوان حي على الفلاح، (بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1996)

38،

⁽⁷⁵⁾ جليل رشيد فليح، المسجد في الشعر الإسلامي المعاصر، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2003)، 32-33.

التاريخ، فانبتت، وانقسم وسرت نفحة النور الإلهي في قلب الأمة وزهت
وشمخت بكيانها الراسخ" (76).

وهاهم النلة الأولى من المسلمين يجهرون بالدعوة لا يخشون في الله لومة
لائم أمام الملاء؛ فبذلك كسروا حاجز الخوف وصدحت، الحناجر بالحق ضد أهل
الباطل، وهاهم الطلائع الأولى للصحابية الذين غيروا مجرى التاريخ، فكان
مقدرا لهذه الدعوة أن تنتشر في كل العالم وأشار في (أطلق فيها شموسه) أي
انتشرت هذه الدعوة ووصلت إلى أبعد مكان كما تصل الشمس ويسترسل
الشاعر ويقول:

عَبَرَ كُلَّ عُصُورِ التَّمَرُّقِ وَالْإِنْسِحَاقِ
فَتَفَتَّتِ الْقَبْضَةُ الْغَاشِمَةُ
فَوْقَ صَرْحِ التَّحَرُّرِ وَالْإِنْعِتَاقِ
أَيُّهَا الْقَائِدُ الْأَعْظَمُ
إِنْ تَكُنْ حُلُمًا "دَوْلَةُ الْمُصْنُطَفَى"
فَبِأَعْيُنٍ يَقْطُرُتِنَا نَحْلُمُ (77)

والراجع أن الشاعر يصور مشهد العرب قبل البعثة النبوية، وحال العرب
بعد عهود من التمزق والتخلف والضلال، التي أنهكت الناس في تلك الأزمنة،
فيصور تلك القبضة الحديدية التي قبضتها قوى الضلال على الناس، فقد تمزقت
وتفتتت بظهور الدعوة إلى الله؛ وذلك بسبب تحرر الإنسان من العبودية والشرك
بالله إلى عبادة رب السماوات والأرض، ويشير إلى التحرر، والانعتاق من
العبودية، وأن القياس هو الإيمان بالله ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ
ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (78) ويشير الشاعر إلى القائد الأعظم وقصد به النبي (عليه الصلاة
والسلام) فهو فعلا قائد عظيم؛ لأنه استطاع أن يقلب موازين الكون إلى الأفضل

(76) عبد الله الظاهر، ترنيمات حالمة في إطار الفن الشعري في قصيدة الدولة الحلم، (الموصل: منشورات
البراق الثقافية، 2007)، 61.

(77) حكمت ديوان حي على الفلاح، 39.

(78) الحجرات، 13/49.

والأصلح للناس، ويقول إنَّ هذه الدولة (دولة المصطفى) فعلا دولة حقيقية، وراسخة، ليس حلما بل حقيقة.

وينتقل الشاعر إلى مشهد آخر من المشاهد العظيمة في حياة النبي (عليه الصلاة والسلام) ألا وهو مشهد إسرائه إلى (بيت المقدس) ومن ثم عروجه إلى السماوات العلا، "إِنَّ اللَّهَ -عز وجل- أَرَادَ أَنْ يَتِيحَ لِرَسُولِهِ، فِرْصَةَ الْإِطْلَاعِ عَلَى الْمَظَاهِرِ الْكُبْرَى لِقُدْرَتِهِ، حَتَّى يَمْلَأَ قَلْبُهُ ثِقَةً فِيهِ، وَاسْتِنَادًا إِلَيْهِ؛ حَتَّى يَزِدَّادَ قُوَّةً فِي مُوَاجَهَةِ سُلْطَانِ الْكُفَّارِ الْقَائِمِ فِي الْأَرْضِ" (79)، ويقول:

نَلِجُ الْأَعْمَاقَ مِنَ الْبَاطِنِ إِذْ تَتَلَاشَى الصُّورَةُ فِي الْمَرَأَى
نَنْدَى بِلَهَيْبِ الشَّقِّ وَالْفَرْحِ
نَنْسَلُّ عَبْرَ مَوَاشِيرِ الْقَرْحِ
أَلْطَافَ هَزِيعِ اللَّيْلِ تُنَاغِيَنِي مُبْتَهَلَا
أَجْتَازُ الرَّيْخَ وَأَعْبُرُ فِي مَرْكَبَتِي زُحَلَا (80)

والواضح أنَّ الشاعر يصور صورا إيمانية عظيمة من مشاهد رحلة (الإسراء والمعراج) وكان ذلك بعد أن حزن النبي (عليه الصلاة والسلام) في عام الحزن حين توفيت زوجته (خديجة) ومن ثم عمه (أبو طالب) فشعر بحزن شديد، فأراد الله أن يخفف عنه الحزن؛ بالإسراء إلى (بيت المقدس) والصلاة فيه، ومن ثم عُرج به إلى السماء، وهو في مشهد مهيب وهو يعبر الكواكب والنجوم والأقمار بمركبته تلك وهي إشارة إلى الدابة التي ركبها النبي في (الإسراء والمعراج) وتسمى (البُرَاق) وهذا تكريم من الله لنبيه بعد أن خذله أهل الطائف، ورموه بالحجارة، وهو يدعوهم إلى الله فاخذ يتضرع إلى ربه وقال:

"(اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أم إلى عدو ملكته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل في غضبك، أو تحل علي سخطك، لك العتبى، حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك) إذا لقد سمع الله تضرع

(79) علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية، (بيروت: دار ابن كثير، 2019)، 312/1.

(80) حكمت، ديوان البحار في ماء الوضوء، 50-51.

نبيه، فتدخلت عناية الله، وأراد الله أن يبين لحبيبه أن جفاء الأرض لا يعني أن السماء قد تخلت عنه، بل سيعوضه سبحانه، بجفاء الأرض حفاوة السماء، وبأذى وتكذيب البشر، تكريم واحترام الملائكة، وسيريه الله من آياته، ومن قدرته، ومن أسرارهِ في كونه، ما يعطيه طاقة وشحنة تزيده ثباتاً ومضياً في دعوته" (81).

إذا ها هو رسول الإنسانية تزداد عقيدته رسوخاً ويزداد يقيناً بعد أن رأى من آيات ربه ما رأى يقول تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (82) وبعد أن عاد رسول الله من هذه الرحلة، كذبه قومه ونكّلوا به وبالمسلمين، وازداد عداؤهم له فقرر الهجرة إلى المدينة المنورة فهاجر المسلمون أولاً ومن ثم هاجر هو ورفيق دربه أبو بكر الصديق فيقول الشاعر:

وَهَاجَرَ الرَّسُولُ
وَتَاهَتِ الدُّهُورُ فِي الدُّرُوبِ
حَتَّى اعْتَرَى الشُّحُوبُ وَجْهَ الزَّمَنِ الْمَصْلُوبِ
فَعَصَرْنَا الْهَزِيلَ
كَظْلِهِ نَحِيلُ (83)

والراجح أن الشاعر يبين من خلال هذه الأبيات كيف هاجر الرسول (عليه الصلاة والسلام) ولم يبق في مكة من هو أهم من النبي (عليه الصلاة والسلام) فبفراقه تاهت الدهور في الدروب وأصبح كل شيء في مكة لا طعم له، وبدا على دروب مكة الشحوب بهذا الفراق، فهام صحابته قد رسخت عقيدتهم "وكان لهم من حب الرسول أبلغ العزاء، وأعظم المدد، حتى جعل الله لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً، فهذا هو الإيمان الذي استقر في القلب، ففعل الأعاجيب، وضحووا بكل غال ونفيس، في سبيل الله تعالى ورسوله الكريم" (84)، ويطالعنا الشاعر في قصيدة (خطوات على الطريق) وهو يستكمل مشاهد الهجرة المباركة ويقول:

على عَنَابَتِكَ اللَّهُمَّ عَبْدُكَ شَدَّ رَحْلَ الْهَجْرَةِ

(81) محمود أحمد البرشة، منهل المؤمنين ومورد الخطباء، (دمشق: دار الشيخ أحمد كفتارو للطباعة والنشر، 1999)، 120-121.

(82) الإسراء، 1/17.

(83) حكمت صالح جرجيس، "هجرة المشاعر والهداية"، جريدة الحداية، 662، (1995)، 9.

(84) عبد الرحمن عيسى، أدب الخطابة الدينية، (حلب: نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب، د)، 58-59.

وَتُعْلِنُ رَفَعَ كَفَّيْهَا النُّبُوَّةُ
عَبَرَ هَذِي الظُّلْمَةَ الْمُزْخَاةَ
فَوْقَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ

هَذَاكَ قِيلَ: قُمْ يَا أَنْتَ وَاَنْفِضْ عَنْ رِءَاءِ الْأَرْضِ صَحَوْتَهَا⁽⁸⁵⁾
والراجح من كلام الشاعر أَنَّ النبي (عليه الصلاة والسلام) دعا ربه ليلة
الهجرة، أَنْ يَنْجِيَهُ وَمِنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكَرْبِ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَهُوَ يَشُدُّ
الرحال في تلك الليلة الليلاء، فقد جاءه الأمر الإلهي بالهجرة؛ لكي يغير مجرى
التاريخ إلى الأفضل، ويبدو من كلام الشاعر (فانفض عن رداء الأرض
صحوتها) أي أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ: بهذه الهجرة سوف تصحو الأرض من غفلتها
وتُهَجَّرَ كُلُّ الْعَادَاتِ السَّيِّئَةِ، وَاسْتَبْدَالُهَا بِالْقِيَمِ وَالْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا
الْإِسْلَامُ، وَيَقُولُ:

وَتَتَكَشَّفُ السَّتَائِرُ
ثُمَّ تُعْرَضُ فَوْقَ مَسْرَحِ أَعْصُرِ الدُّنْيَا الْمَشَاهِدُ
إِنَّهُ مَا كَانَ بِالْحُسْبَانِ
حَتَّى خُطِيَ التَّوَارِيخُ
دُهُورٌ بَيْنَ أَقْبِيَةِ السُّبَاتِ تَعُطُّ
وَالزَّمَنُ الْعَبُوسُ الْوَجْهَ
ضَرَّجَتِ الدِّمَاءُ لُمَاءَهُ
دِمَاءٌ تُسْتَبَاحُ، فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا مَنْ مُسْتَجِيبٍ لِلنِّدَاءِ⁽⁸⁶⁾

ويبدو من كلام الشاعر أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَوْضِحَ الْمَشْهَدَ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَمَا
سَتَمَخِضُ عَنْهُ تِلْكَ الْأَحْدَاثُ، وَيَقُولُ: سَتَتَكَشَّفُ السَّتَائِرُ وَسَوْفَ يَدْخُلُ النُّورُ
وَتُظْهِرُ الْحَقِيقَةَ الْجَلِيَّةَ مِثْلَ الشَّمْسِ بَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ الظُّلَامِ، فَهَذَا هُوَ الْمَشْهَدُ الَّذِي
سَوْفَ يَتَحَدَّثُ بِهِ الْعَالَمُ أَجْمَعُ، عَلَى مَدَى الْعُصُورِ، وَشَبْهَ الْعُصُورِ بِالْمَسْرَحِ،
لَأَنَّهَا تُعْرَضُ الْأَحْدَاثُ، وَهَذَا الْحَدَثُ لَمْ يَشْهَدْ أَيُّ عَصَرٍ مِثْلَهُ، وَإِنَّ التَّارِيخَ

⁽⁸⁵⁾ حكمت صالح جرجيس، ديوان الفرار إلى الله، (الموصل: مكتب كشكول للطباعة، 2000)، 107.

⁽⁸⁶⁾ حكمت صالح جرجيس، "خطوات على الطريق" جريدة الحداثة 736، (1996)، 8.

تتسارع أحداثه بالظهور، بينما كان يغط في سبات عميق عبر الزمن، وتستباح فيه الحرمات، والدماء فيه تسيل، وكان أحدهم يغزو الآخر ويسلبه ماله ويسبي نساءه، فلم يستجب لهم أحد للنداء في ذلك الزمان، ولكن الشاعر يستبشر خيرا ببعثة النبي (عليه الصلاة والسلام) وهجرته إلى المدينة، أنه سوف يغير التاريخ نحو الأفضل، وكل العادات البائدة التي كانت تمارس قبل البعثة، ويستكمل مشاهد الهجرة النبوية المباركة، بعد أن أجمعت قريش على قتل النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)⁽⁸⁷⁾ فكانت قريش تريد تضييع دم النبي (عليه الصلاة والسلام) بين القبائل بجلب أولئك الرجال من كل قبيلة رجل، ويفعلوا فعلتهم بإطفاء نور الحق، ولكن إرادة الله أبت إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فنجّا الله رسوله مما كادوا أن يفعلوا به، ويقول الشاعر أن القوم قد اجمعوا على هذا الأمر بقتل النبي فيقول:

هَذَاكَ أَلْفُ سَيْفٍ سَلَّهُ الشَّيْطَانُ
فَلَا تَأْبَهُ

فَإِنَّ اللَّهَ آزَرَ
وَاقْرَأْ بَضْعَ آيَاتِ مِنَ الْقُرْآنِ
تُفْتَحُ فِي الْحَنَائَا كَالزُّهَيْرَاتِ السَّكِينَةِ
تُمْ تُنْشَرُ فِي حُقُولِ الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ
حُزَيْمَاتٍ مِنَ الثُّورِ الْمُلَوَّنِ
يَا فَتَى الْفَتَيَانِ⁽⁸⁸⁾

ويبدو أن الشاعر يشير إلى الصورة السوداء التي أقدمت عليها قريش بقتل النبي (عليه الصلاة والسلام) ووصفهم بالشياطين الحاقدين، ووصف ذلك المشهد، إن الشيطان قد استل ألف سيف وهو كناية على إجماع قريش على ذلك الأمر المشين وإجماع القبائل على ذلك وشبههم بالشياطين، وفي يوم الزحمة

⁽⁸⁷⁾ التوبة، 32/9.

⁽⁸⁸⁾ حكمت صالح جرجيس، "خطوات على الطريق"، مجلة المشكاة المغربية 2، (1983)، 81-82.

الذي اجتمعت فيه قريش "اعترضهم إبليس لعنه الله في صورة شيخ جليل، فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر معكم لسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم منه رأيا ونصحا قالوا أجل فادخل"⁽⁸⁹⁾ فهو من أشار عليهم بتلك الخطة المشينة في قتل النبي (عليه الصلاة والسلام)، ولكن هيهات أن يتم لهم ما يريدون، فيقول الشاعر لا تأبه فإن الله قد تدخل وسوف ينجيك، فقد أزر الله نبيه وطمأنه لأوامره، وأن يقرأ آية من القرآن ويخرج من البيت، وسوف يحميه الله من كيد الأعداء.

وكان ميعاد تنفيذ تلك المؤامرة بعد منتصف الليل في وقت خروجه من بيته، فباتوا متيقظين ينتظرون ساعة الصفر، ولكن الله غالب على أمره، بيده ملكوت السماوات والأرض، يفعل ما يشاء، وهو يجير ولا يجار عليه، فقد فعل ما خاطب به رسوله فيما بعد وقال: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)⁽⁹⁰⁾ فقد فشلت قريش فشلا ذريعا مع غاية التيقظ، والتنبيه؛ إذ خرج رسول الله من البيت، وترك فتى الفتيان سيدنا علي (رضي الله عنه) فأخذت القوم سنة من النوم، والنبي يخترق صفوفهم، وأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رؤوسهم من بعيد، وقد أخذ الله أبصارهم عنه فلا يرونه، وهو يتلو: (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)⁽⁹¹⁾ فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا⁽⁹²⁾، وأشار الشاعر إلى سيدنا (علي) الذي نام في فراش سيد الخلائق، وسماه فتى الفتيان؛ لبسالته وموقفه المشرف تجاه الدعوة الإسلامية وكان

⁽⁸⁹⁾ ابن كثير، البداية والنهاية، 174/3.

⁽⁹⁰⁾ الأنفال، 30/8.

⁽⁹¹⁾ يس، 9/36.

⁽⁹²⁾ المبارك فوري، الرحيق المختوم، 154.

مستعدا لفداء النبي (عليه الصلاة والسلام) بروحه من أجل نشر الدعوة وينتقل
الشاعر إلى مشهد آخر ويقول:

وَفَوْقَ وَسَائِدِ السُّرُرِ الْمَلَائِكُ تَكْلَأُ الدَّارَا
تَشْدُ أَوَاصِرَ الْحَقِّ الَّذِي يَزْدَادُ إِصْرَارَا
بِعُرفِ عَقِيدَةٍ ضَرَبَتْ جُدُورًا فِي الْحَنَائَا
وَمِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ
رَفِيقُ الدَّرْبِ يَهْمِسُ
إِنَّ أَعْمَاقَ السَّمَاءِ تُرَدَّدُ: اتَّكَلَا
فَذَاكَ أَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ الْحَقِّ إِنْذَنْ لِي
تَفْيِضُ عَيْنَايَ بِالْبَشْرِ
أَرَى مَطَرًا⁽⁹³⁾

ويبدو أنَّ الشاعر يصف الملائكة وهي تساند الحق، وتشد أواصره الذي
يزداد إصرارا كلما أصر الحق على إحقاق الحق، ونشر العدل، وهي حقيقة؛
لأنَّ النبي سوف ينشر هذا الدين الذي سماه الشاعر بالحق، والملائكة تشد أزره
وتساعده في تبليغ الدعوة، ويصور لنا العقيدة الصحيحة لرفيق درب النبي
(عليه الصلاة والسلام) (أبو بكر الصديق) رفيق الهجرة الخالدة، ويقول بأنه
راسخ العقيدة، وعقيدته متجذرة في الأرض، ويشير إلى أنَّه صاحب عقيدة
سليمة قوية لا يؤثر فيها شيء ولا تتأثر ويقول لرفيقه (أبو بكر) لا تحزن إنَّ الله
معنا، ويقول الحق تبارك وتعالى اتكلا عليَّ فأنا قادر أن أُصرِّف الأمور، وهنا
في هذا الموقف يستبشر (أبو بكر) بالخير الذي شبهه الشاعر بالمطر وتفيض
عيناه من الفرح، ويسترسل الشاعر وهو يصف حال النبي (عليه الصلاة
والسلام) ورفيق دربه ويقول:

(أَبَا بَكْرٍ) أَلَا هَيَّا
ثَلَاثًا مِنْ لِيَالِنَا
قَضَيْنَاهَا بِهَذَا الْغَارِ
ثَلَاثًا مِنْ لِيَالِي السُّهُدِ

⁽⁹³⁾ حكمت، "خطوات على الطريق"، 81-82.

أَرَقَّتِ الْخُطَى جَنْبًا إِلَى جَنْبٍ
فَلَا تَحْزَنُ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنَا
وَإِنَّ جُنُودَهُ بِالْبَابِ يَحْمُونَا
فَإِنْ ثَارَ الْغُبَارُ بِمَنْكَبِ الطَّاغُوتِ
لَا تَحْزَنُ
وَإِنْ قَطَّعُوا خُيُوطَ الْعَنْكَبُوتِ
وَإِنْ....
فَلَا تَحْزَنُ⁽⁹⁴⁾

ويبدو من كلام الشاعر أنه يشير في هذه الأبيات إلى صاحب رسول الله (أبي بكر) ويشير إلى تلك الليالي الثلاث التي قضياها في الغار، ليالي كانت صعبة ويقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا، وكيف تحزن على اثنين الله ثالثهما، "وصل المطاردون إلى باب الغار، ولكن الله غالب على أمره، قال: (أبو بكر) كنت مع النبي في الغار فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله، لو أن بعضهم طأطأ بصره وأنا قال النبي: (ما ظنك باثنين الله ثالثهما)"⁽⁹⁵⁾، أي هل من المعقول أن تحزن والله يرعانا في الغار، ويقول النبي (عليه الصلاة والسلام) (لأبي بكر) إن الله جند جنودا لنا من أضعف مخلوقاته؛ لكي يحمونا، وهنا أشار إلى العنكبوت الذي نسج نسيجه على باب الغار؛ ليوهم المشركين بأنه لا يوجد أحد هنا، ولو دخل أحد الغار لتمزق نسيج العنكبوت عند الدخول، فهذه معجزة من الله أجراها على يد أضعف مخلوقاته؛ لينجي النبي ورفيق الهجرة، وأشار الشاعر ب (إن) إلى الحمامة التي أقامت عشها على باب الغار، فلو دخل أحد لتمزق نسيج العنكبوت وطارت الحمامة وخرب عشها فلا تحزن أبدا؛ لأن الله معنا، وإن المشركين قد ابتعدوا وزال الخطر، ويقول الشاعر:

الْخُطَى ابْتَعَدَتْ
وَذَاكَ (أُرَيْقُطُ) .. أَيْنَ الرَّوَاحِلُ؟

⁽⁹⁴⁾ حكمت، "خطوات على الطريق"، 81-82.

⁽⁹⁵⁾ المبارك فوري، الرحيق المختوم، 156.

يَا (أَبَا بَكْرٍ)؛ أَلَا هَيَّا⁽⁹⁶⁾

ويبدو من كلام الشاعر أَنَّ النبي يطمئن (أبا بكر) ويبشره بأنَّ الأعداء قد فقدوا الأمل بالعثور علينا، وابتعدوا عندما رأوا المعجزات على باب الغار، وأشار الشاعر إلى دليلهم (أريقط) الذي واعداه بعد ثلاثة أيام والراحتان معه. وبعد أن خمدت نار الطلب على (رسول الله) و (أبي بكر) من قريش وفقدوا الأمل في ذلك، وبعد ثلاثة أيام في الغار تهيأ رسول الله وصاحبه للخروج، وكانا قد وعدا (عبد الله بن أريقط الليثي) ليكون دليلهما في الرحلة إلى المدينة، وكان ماهرًا في الطريق يعرف الطرقات جيدًا؛ ولكنه كان على دين قريش، وأمناءً على ذلك، وسلمًا إليه راحتيهما، وتواعدوا معه بعد ثلاث ليال عند جبل ثور، فجاءهم على الموعد الذي اتفقوا عليه⁽⁹⁷⁾، فقال (النبي) (لأبي بكر) هيا نخرج من الغار ونتوجه إلى المدينة فيقول الشاعر:

وَمِنْ خَلْفِ الْخَبَاءِ صَهِيلُهُ قَدْ صَعَدَ الْفَرَسُ

(سُرَاقَةُ) بَعْدَمَا فُتِنَا

على ظَهْرِ الْجَوَادِ، وَأُطْلِقَ الرَّسَنَا

نِدَاءً مِنْ وَرَاءِ الْعَيْمِ جَاءَهُ عُذُّ

وَتَاجُ هَابِتِ الدُّنْيَا جَلَّالَتُهُ زَمَنَا⁽⁹⁸⁾

والراجح من كلام الشاعر بعد خروج النبي (عليه الصلاة والسلام) ورفيقه من الغار، سمعا صوت الفرس الذي كان يمتطيه (سراقة) الدليل الذي كان يبحث عنهما مقابل جائزة من قريش لمن يعثر عليهما، وكان خبيرًا في اقتفاء الأثر، وهنا يبين الشاعر الحالة التي أصابت (سراقة) عندما انغرست أقدام فرسه في الرمال وتعذر خروجه منها؛ وكل ذلك تم بإرادة الله، وهو يرعى نبيه، ويشير الشاعر إلى بشارة النبي إلى (سراقة) بتاج كسرى؛ الذي هابته الدنيا ردحا من الزمن فوعده به رسول الله إذا رجع عن مطلب قريش في إخبارهم

⁽⁹⁶⁾ حكمت، "خطوات على الطريق"، 81-82.

⁽⁹⁷⁾ علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية، (بيروت: دار ابن كثير، 2019)، 375/1.

⁽⁹⁸⁾ حكمت، "خطوات على الطريق"، 81-82.

بمكان النبي (عليه الصلاة والسلام)، وها هو الشاعر يستكمل قصيدته بعد أن وصل الركب إلى المدينة ويقول:

وَتَمْنَدُ الْمَهَامَةُ وَالشَّعَابُ لِتُنْزِلَ الرَّحْلَ
بِضَاحِيَةِ (الْمَدِينَةِ) يَاللَّهْفَتَنَا
بِمَوْكِبِ نُورِكَ الْفُؤْسِيِّ يَرْفُلُ بِالزَّغَارِيدِ
وَيَا بُشْرَى لِهَذَا الْعِيدِ مِنْ عِيدٍ⁽⁹⁹⁾

وها هو الشاعر ينهي قصيدته بانتهاء الرحلة الصعبة من مكة إلى المدينة، بعدما قطع النبي (عليه الصلاة والسلام) ورفيقه تلك القفار والشعاب والسهول والوديان القاحلة الوعرة، ووصلا إلى المدينة المنورة، وهنا يصور لنا الشاعر فرحة أهل المدينة وهم متلهفون لقدم البشرى إليهم؛ لكي ينقذهم مما هم فيه من الضلال، ويصور لنا الشاعر موكب النبي (عليه الصلاة والسلام)، ورفيقه (أبو بكر) بموكب مقدس من عند الله، وكانت تلك إرادة الله بأن يهاجر المسلمون من مكة إلى المدينة؛ لكي يبدأ فجر التاريخ المشرق، واستقبل أهل المدينة ذلك الموكب المهيّب بالزغاريد والأفراح، ويقول الشاعر تلك هي البشرى وهذا هو العيد فعلا بقدوم فخر الكائنات إلى المدينة وهو أحسن الأعياد.

"فكان يوم فرح وابتهاج، لم تر المدينة يوما مثله، وليس الناس أحسن ملابسهم، كأنهم في يوم عيد، ولقد كان حقا يوم عيد؛ لأنه اليوم الذي انتقل فيه الإسلام من ذلك الحيز الضيق في مكة، إلى رحابة الانطلاق، لقد أحس أهل المدينة بالفضل الذي حباهم الله به، وبالشرف الذي اختصهم به أيضا، فقد صارت بلدتهم موطنًا لإيواء رسول الله، وصحابته المهاجرين ثم لنصرة الإسلام، كما أصبحت موطنًا للنظام الإسلامي العام"⁽¹⁰⁰⁾ فهل هناك عيد أفضل من هذا؟!، ويكمل الشاعر قصيدته وهو يصور المشاهد تلو المشاهد وها هو المشهد الأخير الذي ظهر فيه النبي (عليه الصلاة والسلام) من ثنيات الوداع ويقول:

فَيَدْخُلُ مِنْ شُفُوفِ الصِّدْقِ
سَيِّدُ هَذِهِ الدُّنْيَا
وَيَخْرُجُ مِنْ شُفُوفِ الصِّدْقِ

⁽⁹⁹⁾ حكمت، "خطوات على الطريق"، 81- 82.

⁽¹⁰⁰⁾ الصلابي، السيرة النبوية، 1 / 382.

سَيِّدُ هَذِهِ الدُّنْيَا⁽¹⁰¹⁾

أراد الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يفند تلك الرواية المزعومة الباطلة التي كانت في أذهان أهل المدينة حول جبل ثنّيات الوداع، وكان عندهم اعتقاد أن تلك المكان ملعونة تسكنها الشياطين فلا أحد يستطيع أن يدخلها، أو يخرج منها سالماً، ولكن نبي الرحمة دخل منها وخرج بأمان، ففند بدخوله وخروجه تلك الاعتقادات الخاطئة، وتلك إرادة الله أن يخلصهم من تلك الاعتقادات؛ لكي يبدأ عهد جديد قائم على عقيدة راسخة، وأسس قوية مع رسول الإنسانية، ويصف الشاعر مشهد استقبال أهل المدينة للنبي (عليه الصلاة والسلام) ويقول:

وَمَا أَنْ صَرَخَ الْحَقُّ
هُنَا.. إِلَّا وَيَثْرِبُ تَرْتَدِّي حُلَّ الزَّغَارِيدِ
دُفُوفُ الْمُؤْمِنَاتِ تَذُوبُ تَرْجِعَاتُهَا
فِي كُلِّ نَبْضٍ شَفَّةُ الصِّدْقِ
تُشْعِشِعُ فِي تَأَلُّقِهَا
ثَنِّيَاتُ الْوَدَاعِ
رَسُولُ اللَّهِ يُمَطِّرُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
سَحَائِبَ الْفَرَحِ⁽¹⁰²⁾

أي أدخل الفرحة والسرور في قلوب المؤمنين كسحاب الفرح، أي غمرتهم الفرحة كثيراً ويبدو أن الشاعر أراد أن يكمل كل جوانب القصيدة ويصف لنا المشاهد الأخيرة بوصفه المدينة قبل دخول سيد المرسلين إليها، ويشبهه (النبي) بالحق وهو فعلاً كذلك فبدخوله يثرب انتفضت وأزالت عنها ذلك الغبار المتراكم عليها مدى السنين، ولبست النساء الحلي وتزين، واستقبلن النبي (عليه الصلاة والسلام) بالفرح والزغاريد، والمؤمنات فرحات، ويضربن الدفوف من الفرحة ويهللن ويستبشرون بقدوم الخير إليهم، وهنا إشارة إلى الفرحة الكبيرة الذي عم المدينة بدخول النبي (عليه الصلاة والسلام) إليها وهمم مبتهجون ومتفائلون بالخير القادم، ويقول الشاعر: أن الفرحة قد دخل قلوب المؤمنين وشبه قدوم النبي

⁽¹⁰¹⁾ حكمت صالح جرجيس، "ثنّيات الوداع" جريدة الحداثة، 631، (1994)، 4.

⁽¹⁰²⁾ حكمت، "ثنّيات الوداع"، 4.

(عليه الصلاة والسلام) بالمطر الذي يحمل معه الخير وكأثما نزل عليهم المطر بعد قحط طويل وربوعهم سوف تخضر وتزدهر بقدوم الخير، وبعد ذلك كله وبعد أن أسس النبي (عليه الصلاة والسلام) جيشاً قادراً على تحرير مكة من براثن المشركين سار إلى مكة لتحريرها فيقول الشاعر:

وَتِلْكَ الزُّخُوفُ اسْتَطَالَتْ بِأَمْجَادِ أُمَّتِنَا
إِذْ تَوَلَّى "النَّبِي"
مَقَالِيدَهَا
حُلُمُ "الْفَتْحِ" مَا عَادَ طَيْفُ نِعَاسٍ
بِأَهْدَابِ سَاهِرٍ⁽¹⁰³⁾

ويبدو أن الشاعر يصور حال المسلمين بعد الفتح العظيم، وقصد الشاعر فتح مكة، ويصور تلك الجحافل التي زحفت من المدينة إلى مكة؛ لكي تخلصها من الشرك، ويقول الشاعر أن تلك الجحافل، هي التي غيرت مجرى التاريخ، وجلبت لنا الأمجاد فكانت البذرة الأولى في نشر دين الله في كل أصقاع العالم وذلك تم بقيادة النبي (عليه الصلاة والسلام) وتلك الحشود، والجحافل المؤمنة، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه قال تعالى: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)⁽¹⁰⁴⁾ ويقول أن هذا الفتح أصبح حقيقة واقعة ليس بحلم كما يحلم الحالمون.

وتبين من خلال المبحث الأول من الفصل الثاني عند عرض الشاعر لشخصية النبي (عليه الصلاة والسلام) أنه معلم الإنسانية جمعاء، ونهض بأعمال جليلة، ومواقف غيرت مجرى التاريخ، وأخرجت الناس من الظلمات إلى النور، وأحدث انتقالاً في المفاهيم القبلية الضيقة إلى سعة الإسلام، واحتضان الأمة، وأفاد الشاعر من الخلفية الدينية، والتاريخية، لتصوير الشخصية القدوة، وأثرها في بناء الشخصية الإسلامية التي يتطلع لها المجتمع الإسلامي، وتحدث عنها

⁽¹⁰³⁾ حكمت، ديوان حي على الفلاح، 42.

⁽¹⁰⁴⁾ الأحزاب، 23 / 33.

من الجانب الأخلاقي، وفي الوقت نفسه شكلت منبعاً يستقي منه الهامه، وأبان الشاعر عما أحدثه الإسلام من تغيير في حياة العرب فما كان إيجابياً استبقاه، وما كان سلبياً ألغاه؛ لأنه لا يليق بسمو الإسلام ومبادئه، وفي بعثة المصطفى (عليه الصلاة والسلام) بدأ الشاعر بجوهر الدين وهو العقيدة وسجل الشاعر التاريخ شعراً، وأبان عن صفاء العقيدة التي جاء بها الإسلام ودعا العرب إلى نبذ التقليد الأعمى بإتباع الآباء، وأراد منهم أن يطلقوا عقولهم بالتفكير كي يولد فجر جديد بميلاد فخر الكائنات (عليه الصلاة والسلام) وبالثورة التي أحدثها ببعثته إلى الناس كافة، وأخذ الدروس والعبر منها في بناء جيل قوي يخدم الأمة الإسلامية من خلال أفعال النبي (عليه الصلاة والسلام) وصفاته التي اتصف بها فهي خير دروس يمكن الاستفادة منها في بناء الشخصية الإسلامية المنشودة، ويؤكد الشاعر على فكرة إسلامية هي أهمية العقيدة والقيم والأخلاق والصفات الحسنة في حياة البشرية؛ لأنها سر نجاحها وإلا الفشل لا محالة، وبعد حين يعبر الشاعر عن شكوى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) قومه لهجرهم القرآن بعد الأمن والأمان والاستقرار، ولما تفتحت الدنيا على المسلمين انغمسوا بملذاتها، وابتعدوا عما جاء به الدين الحنيف، وهذه أيضاً دروس يمكن الاستفادة منها في بناء الشخصية الإسلامية، والنهي عن هجر القرآن، والابتعاد عن ملذات الحياة التي لاتغني من خوف ولا تسمن من جوع، فالعودة إلى تعاليم الإسلام هو أفضل بناء سليم للشخصية، والابتعاد عن السلبيات وتركها جانباً لأنها لاتؤدي إلى البناء وإنما تؤدي إلى الهدم.

وأبان الأضرار الناجمة بسبب الابتعاد عن الإسلام لأنَّ الغرب أغرقوا أنفسهم بالمادة، والإنسان بحاجة ماسة للمادة والروح معاً، حتى أنهم نسوا أو تناسوا مقولة رسولهم عيسى (عليه الصلاة والسلام) (ليس بالخبز وحده يحيى الإنسان).

وأفاض الحديث عن مولده (عليه الصلاة والسلام) ورضاعته في بني سعد، وما حدث من معجزات وغرائب، كشق الصدر، واخضرار الأرض، والبركات، والخير العميم، الذي حفّ ببني سعد، وأبان أيضا المواقف العصبية في عام الحزن، وموت زوجته خديجة (رضي الله عنها) وعمه أبو طالب، فحدثت رحلة الإسراء والمعراج كي يزداد المصطفى (عليه الصلاة والسلام) إيماننا ويقينا بكفالة الله وعنايته، وأبان الأحداث المهمة في حياته (عليه الصلاة والسلام) فكانت الهجرة من الأحداث المهمة في التاريخ، فهاجر من دار الكفر إلى دار الإيمان، وما تعرض له أثناء الرحلة، وبعد وصوله إلى المدينة المنورة استقبله الناس على أكمل ما يكون، فمكث فيها وتهايا بعدها إلى الهدف الأسمى وهو فتح مكة، ففتح الله عليه ذلك الفتح العظيم، وأزال آثار الشرك، وكسّر الأصنام؛ ليغير مجرى التاريخ ويزغ فجر جديد وينصر الله رسوله من أجل عبادة الواحد الأحد ونشر الدين الإسلامي.

فركز الشاعر على الشخصية الإسلامية القدوة، وأثرها في بناء الشخصية الإسلامية، وركز على الصفات الأخلاقية العظيمة لشخصية القدوة المتمثلة بالنبى (عليه الصلاة والسلام) وكيف عامل قومه بالحسنى بعد أن عاملوه بالإساءة والأذى، فهذه الصفات الخُلقية التي ينشدها الإسلام في بناء الشخصية الإسلامية المنشودة، فدعا الشاعر إلى الاقتداء بها والتأسي بها، وأراد من خلالها حث المسلمين على العمل بما عمل نبي الرحمة واتخاذ قدوة، وأخذ الدروس والعبر منها في بناء شخصية أبناء الأمة الإسلامية، وكما قارن الشاعر بين عصرين مختلفين هو عصر صدر الإسلام الذي اتسم بالعدل والمساواة وحفظ الحقوق للناس وحمائتهم، وبين مأساة الانهيار الحضاري الزائف الذي يشهده العالم ويشبهه بالانهيار الحضاري كما انهار العصر الجاهلي؛ الذي انعدمت فيه العدالة الاجتماعية وساد فيه القتل، والسلب، والنهب، والإغارة على القبائل الضعيفة، وشبهه بما يحصل اليوم في العالم المتحضر من اعتداءات على

الدول الضعيفة فما أشبه اليوم بالبارحة، فهذه أهم السمات الأخلاقية التي اتصفت بها شخصية القدوة، التي يمكن الاقتداء بها في بناء الشخصية الإسلام.

2.2 المبحث الثاني: شخصيات الصحابة والصحابيات (رضي الله عنهم).

ما كان حديثا يفترى، ذلك التاريخ الذي روى أخبار أعظم رجال ظهوروا في دنيا العقيدة والإيمان، وإنَّ التاريخ الإنساني على طوله، لم يشهد ما شهدته تلك الحقبة من التاريخ الإسلامي، ورجاله السابقين من تحرٍ للحقيقة، والصدق، والتوثيق، ولو استعرضنا التاريخ لوجدناه حافلا بكثير من الشخصيات القدوة التي كانت لها بصمات ظاهرة في التاريخ الإنساني، فهم أعظم ثلة شهدتها الإنسانية على مر العصور، شهدت حقبتهم توثيقا لم تشهده أية حقبة على مدى التاريخ، فقد توفر جهد إنساني خارق للعادة، ومتميز في دراسة تلك الحقبة، وتتبع أخبارها وتوثيق أنبائها، فنهضت أجيال من علماء أفاذا، وحكماء، وفقهاء، وأدباء، لم يتركوا من العصر الأول للإسلام أي خبر إلا تناولته أقلامهم، ووضعوه تحت مجهر الفحص والدراسة، فإنَّ الأعمال العظيمة التي شهدناها - على مدى التاريخ - من أولئك الرجال العظام من أصحاب النبي (عليه الصلاة والسلام) لم تكن ضربا من الخيال، بل هي حقيقة واقعة، إلا أنَّ التاريخ لم يشهد ثلة كأولئك الرجال في عدلهم، وسُمُوهم، فقد نذروا حياتهم في البذل، والبسالة، والتضحية.

فتلك حقيقة ثابتة لما كان عليه أصحاب النبي (عليه الصلاة والسلام) فقد عقدوا العزم على نصره الإسلام، ونشر العدل بين الناس "ومن ثم نذروا حياتهم من أجل ذلك، فحين كانت الحياة تهيب بمن يجدد لقيمها الروحية شبابها وصوابها، جاء هؤلاء مع رسولهم الكريم مبشرين وناسكين، وحين كانت تهيب

بمن يضع عن البشرية أغلالها، ويحرر وجودها ومصيرها، جاء هؤلاء وراء رسولهم العظيم ثواراً، ومحررين" (105).

ولو تساءلنا كيف استطاع هؤلاء الرجال في مدة قصيرة أن يغيروا ما كان عليه العالم في عشرات القرون؟ وكيف استطاعوا هذا كله بسرعة قياسية فائقة؟ أن ينيروا الظلمات، ويوقظوا الضمير الإنساني النائم بهذا التوحيد العظيم، وينهوا الوثنية التي دامت قروناً، إلى الأبد، فهؤلاء الشخصيات الذين التقوا حول نبينهم وأزروه وتخرجوا من مدرسته العظيمة، استطاعوا تحقيق كل تلك المعجزات، وتتمثل في قدرتهم النفسية التي من خلالها استطاعوا استقطاب الناس من حولهم، وصاغوا بها فضائلهم وتمسكوا بالإيمان على نحو منقطع النظير، وإن كل هذه الإنجازات التي حققوها "لم تكن سوى انعكاس متواضع للمعجزة الكبرى التي هلت على الدنيا يوم أنزل الله لقرآنه الكريم أن ينزل، ولرسوله الأمين أن يبلغ الناس، ولمركب الإسلام أن يبدأ على طريق النور خطاه" (106).

ولو اطلعنا على تاريخ أولئك الرجال العظماء، ودرسنا شخصياتهم لوجدناهم بذلوا الغالي والنفيس، وتحملوا الأهوال في سبيل الدعوة إلى الله، وفازوا في النهاية بالنصر العظيم، فكان لهم الدور العظيم في تحرير الإنسانية من عبادة الأصنام إلى عبادة الله الواحد القهار، فكانوا رسلاً إلى أرجاء المعمورة، ومكلفين بحمل هذه الرسالة ونشرها، فلم يدخروا جهداً في سبيل الدعوة إلى الله، فكانوا يحملون معهم مبادئ تلك الدعوة، والقيم الإنسانية، والأخلاق الحميدة، إلى جانب كتاب الله العزيز، فتمثلوا بصدق المعلم والتعاليم، فكان للرسالة نور ورحمة للبشرية (107).

(105) خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000)، 5.

(106) خالد، رجال حول الرسول، 5.

(107) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تعليق زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1971)، 49.

وبما أنَّ النبي سيد ولد آدم، فصحابته هم أفضل أمة أخرجت للناس على وجه المعمورة، لذلك أصبح من الضروري معرفة شخصياتهم، وأحوالهم، وصفاتهم، وأخلاقهم، فهم كانوا يحملون المشاعل المتمثلة بالإيمان، والعقيدة الصافية، وكان من الضروري تحليل شخصياتهم، والعناية بأخبارهم "لأنَّهم هم الذين نقلوا إلينا الإسلام نقلاً صحيحاً، والمحافظة على الإسلام، يستوجب العناية بتاريخهم؛ لئلا يجد أعداء الإسلام سبيلاً إلى الطعن فيه، بواسطة الطعن في نقله" (108).

2.2.1 المطلب الأول: تعريف الصحابي.

وإذا ما أردنا تعريف الصحابي فخير كلام هو كلام ابن عمر قال: "قال ابن عمر رأيت أهل العلم يقولون لكل من رأى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) وقد أدرك الحلم، وأسلم، وعقل أمر الدين، ورضيه، فهو عندنا ممن صحب النبي (عليه الصلاة والسلام)، ولو لساعة من نهار، ولكن أصحابه على طبقات وتقدمهم في الإسلام" (109)، وقال أحمد بن حنبل في ذكر أصحاب الرسول (عليه الصلاة والسلام)، وذكر أهل بدر فقال: "أفضل الناس بعد هؤلاء- أصحاب رسول الله- القرن الذي بعث فيهم، كل من صحبه سنة أو شهراً، أو يوم، أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر وكانت سابقته معه ونظر إليه" (110).

وإنَّ هؤلاء الصحابة الذين اختارهم الله لصحبة نبيه لحفظ هذا الدين، وجعله ينتقل بأيدي أمينة، وحفظه إلى قيام الساعة "هم الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وصدقوا ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلاً، وأقاموا دين الله ونصروه، وحفظوا للمسلمين الوحيين، كتاب الله، وسنة نبيه الأكرم، وبلغوها لمن بعدهم،

(108) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، (السعودية: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1999)، 7 / 1.
(109) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، 50-51.
(110) البغدادي، الكفاية في علم الرواية، 50.

وإنَّ معرفة أحوال هؤلاء أصحاب النفوس الزكية، وتتبع فضائلهم لعبرة ودرسا ونورا للأمة أبد الدهر" (111).

وعرف ابن الصلاح الصحابي قال: "هو كل من روى عن النبي حديثاً أو كلمة، ويتوسعون حتى يعدون من رآه رؤية من الصحابة، وهذا لشرف منزلة النبي (عليه الصلاة والسلام) أعطوا لكل من رآه حكم الصحبة، وقال إنَّ اسم الصحابي من حيث اللغة، والظاهر يقع على من طالت صحبته للنبي، وكثرت مجالسته له عن طريق التبعية له والأخذ عنه" (112).

إذا نستنتج من كل ما سبق أنَّ أولئك الصحابة الذين صاحبوا الرسول (عليه الصلاة والسلام)، ورووا عنه الأحاديث، هم القدوة التي يمكن من خلالها أخذ الدروس والعبر في بناء الشخصية الإسلامية.

وتناول الشعراء على مر الزمان تلك الشخصيات، وذكرها مناقبهم، وصفاتهم، وما قاموا به من أعمال، ومن أولئك الشعراء الشاعر (حكمت صالح) الذي ذكرهم في أشعاره.

"وذلك يعود إلى أنَّه لم تنجب أمة من الأمم على مر التاريخ رجالاً عظاماً ضربوا بسهم وافر في كل أدب جَمٍّ، وخلق رَفِيع، وتجرّد لله في الأقوال والأعمال، وجهاد في سبيل الله، وتضحية بالمال والنفس، وبكل ما يملكه الإنسان- كالأمة المسلمة التي أنجبت رجالاً ربّتهم المحاريب، وصقل قلوبهم القرآن، وزكى نفوسهم قيام الليل، فهم مفخرة كل مسلم" (113).

إذا أصبح من الضروري الوفاء لهؤلاء الرجال أن نكتب عنهم، ونقتدي بهم، ونتعلم من سيرهم، ونعلم الأجيال القادمة تاريخهم الزاهر، ونحاول غرس القيم، والأخلاق الحميدة في نفوسهم، لكي يقتدوا بهم ويأخذوا عنهم.

فكان لذلك كله أثر كبير في تتبع تلك الشخصيات، التي استمد منها الشاعر (حكمت صالح) الهامه وحسه المرهف من خلال ما قدمته تلك الشخصيات، وما

(111) حنبل، فضائل الصحابة، 1/ 5.

(112) عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، الشهرزوري، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر (السعودية: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، 1966)، 263.

(113) حكمت صالح جرجيس، أحفاد الرسول، (الموصل: جامعة الموصل دار الكتب، 1999)، 4.

تركوه من أثر طيب، وبقية خالدة إلى يومنا هذا وهي من المصادر المهمة، بل الأساسية في إعداد النصوص الأدبية للشاعر التي يمكن من خلالها بناء جيل قوي قائم على العقيدة الصافية.

كما أفاد الشاعر من خلفيته التاريخية في إثراء مخيلته الشعرية؛ لأنها تزوده بكل ما يحتاجه في أعماله الأدبية، فهو يوظف تلك الأحداث، والشخصيات، بما يخدم العمل الأدبي وظهوره بالمظهر الجيد؛ لكي يستمتع به المتلقي، إذ يقوم الشاعر بنقل الأحداث والشخصيات من الماضي إلى الحاضر بطريقة أدبية مناسبة تناسب الذوق العام للقراء حسب رؤيا الشاعر الأدبية، وطريقة توظيفه للأحداث، والشخصيات، وعلى هذا الأساس "يعد التاريخ رافدا مهما ومرجعا غنيا بالمعلومات الصالحة للتوظيف التسجيلي، والتحليل الفني، بفضل ما تحمله من تفاصيل للأحداث، وطرح للصراعات والمعضلات، وما تتوصل إليه تلك الأحداث من نتائج، عبر المجرى التعاقبي للزمن" (114).

ويبدو أن من الشعراء مَنْ وُظف التاريخ لصالح عمله الأدبي كل حسب رأيه، ورؤيته للحدث التاريخي فلكل منهم أسلوبه الخاص في توظيف التاريخ وإظهاره بصورة تتلاءم مع الشخصيات التي تناولها في شعره، فكل شخصية إسلامية لها حضور بارز في أعمالهم الأدبية، وأخص هنا تلك الشخصيات القدوة، التي كان لها دور بارز في تاريخ الأمة الإسلامية، التي تناولها الشاعر في أعماله الأدبية، "وإنَّ استدعاء مثل هذه الشخصيات ليس مجرد ظاهرة عابرة، فإلى جانب دلالاتها التاريخية فقد حملها الشعراء دلالات المعاصرين، دلالات وإيماءات ورؤى جديدة ومعاصرة قابلة لتأويلات مختلفة" (115).

إذا لابد أن يكون الشاعر ملما بالأحداث التاريخية، ويربط الماضي بالحاضر؛ لأنَّ الشعوب تعتز بماضيها المشرق، وبطولات الشخصيات عبر

(114) بدران عبد الحسين محمود البياتي، *التناص في شعر العصر الأموي*، (الموصل: كلية الآداب جامعة الموصل، 1996)، 288

(115) علي عشري زاده، *استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر*، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر، 2006)، 93.

التاريخ، وخصوصا الشخصيات المسلمة التي كان لها دور متميز، فهي تمثل قوة دافعة تعزز بها الشعوب، "وهذا لا يعني أن يكون المبدع عبدا للتراث يشده إلى العصور الخوالي ومشكلاتها، ولكن ذلك يعني أن الشاعر يستدعي التراث إلى عصره وتجربته، فيوظفه توظيفاً معاصراً، ذا علاقات بالواقع الذي يعبر عنه، وبالماضي أداة للتعبير، وبالمستقبل الرؤية" (116).

2.2.2 المطلب الثاني: شخصية الصحابة (رضي الله عنهم).

1. شخصية أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) (ت13هـ).

إنَّ الشعر العربي عبر العصور لم يتعامل مع المعطيات التاريخية تعاملًا جامداً، وذكره للأماكن والأحداث لم يكن عابراً، وإنما كان ينطلق من عمق الصلة لتلك الأحداث وما تحمله من ذكريات، وتظهر الخلفية التاريخية للشاعر (حكمت صالح) بشكل كبير في أعماله الأدبية، وذلك يعود إلى اطلاعه الواسع على التاريخ في مراحل الأولى، وتفهمه للدلالات التاريخية، ودراستها، وتأثره بتلك الأحداث والشخصيات، والوقائع التاريخية التي لا يكاد يخلو منها ديوان من دواوينه، ويمكن الاستدلال على ذلك في تناولنا لتلك الشخصيات، وخير شخصية نتناولها بعد النبي (عليه الصلاة والسلام) هي شخصية سيدنا (أبو بكر الصديق) الخليفة الأول، صاحب رسول الله السابق للإسلام رفيق الهجرة، فيصور لنا الشاعر صورة الكرم ورفعة النسب له فيقول الشاعر:

عَنْ أَبِي بَكْرٍ، وَأَكْرَمِ مِنْ أَبٍ شَرَفْنَا مَكَّةَ

بِالنَّسَبِ

أَيْنَ مَنَّا سَيِّدٌ فِي النُّخَبِ نَحْنُ صِدِّيقُونَ مَنْ عَهْدِ

النَّبِيِّ (117)

(116) خليل الموسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، (دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003)،

17-16.

(117) حكمت، أحفاد الرسول، 21.

ويبدو من خلال تحليل كلام الشاعر أنه أراد أن يظهر مناقب الصديق، والكرم والجود الذي بذله في سبيل الله، فيقول هو نعم الأب، ونحن نتشرف أن يكون لنا أبا؛ لأنه من السابقين إلى الإسلام وتصديقه بالرسالة، ويقول أن مكة زادته شرفاً على شرف والمقصود أنه من نسب طيب وأصيل، ويتصل بنسبه إلى النبي (عليه الصلاة والسلام)، ويستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام الذي يراد منه الفخر بذلك النسب الرفيع، وليس هناك أحسن من هؤلاء المؤمنين، فهم كرماء الأصل، وهو أفضل المؤمنين بعد النبي، ويصفه بالصديق وهي من صفات المبالغة في الشيء أي كان كثير التصديق برسول الله، وكان يصدق به أي شيء حتى وإن كان لا يقبله العقل، مثل حديث الإسراء والمعراج، فأطلق عليه النبي الصديق، فهو أول من صدّق بالنبي فيستحق ذلك اللقب بجدارة، يقول تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ⁽¹¹⁸⁾) ولقبه النبي (عليه الصلاة والسلام) حينما أصبح،

"الناس يتحدثون بذلك فارتد ناس كانوا قد آمنوا به سابقاً وصدقوه، وسعى رجال إلى أبي بكر فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ أنه يزعم أن أسري به إلى بيت المقدس! قال: أوقد قال ذلك: قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك، فقد صدق، قالوا: أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال: نعم، إني لأصدقته فيما أبعد من ذلك، أصدقته بخبر السماء في غداة، أو روحة، فلذلك سمي الصديق"⁽¹¹⁹⁾

ويقول الشاعر: (شرفتنا مكة بالنسب) لأنه يلتقي بنسبه بنسب سيد الخلائق

عند الجد السادس مرة بن كعب، فذكر نسبه واسمه فقال: "هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تميم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي"⁽¹²⁰⁾، ويقول الشاعر عن أبي بكر حينما أعتق بلالا:

هَجَعَةُ اللَّيْلِ وَذَا (التَّيْمِي) فِي حَيِّ (بَنِي جَمَحٍ) دَلَفَ
أَغْلَقَ الْبَابَ وَرَاءَ الْقَمَرِ الْبَاهِتِ
مُنْسَلُ الرُّؤْيَى فِي حَبْوِهِ

⁽¹¹⁸⁾ الحديد، 19/57.

⁽¹¹⁹⁾ علي محمد محمد الصلابي، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، (دمشق: دار ابن كثير،

(2019)، 16.

⁽¹²⁰⁾ مجدي فتحي السيد، سيرة وحياة الصديق، (مصر: دار الصحابة للتراث، 1996)، 27.

خَلْفَ جِدَارٍ (ابْنُ خَلْفٍ)
هَامِسًا.. لَمْ تَسْمَعْ النَّسَمَةَ حِسًّا مِنْهُ إِلَّا:

يَا بِلَالُ

يَا بِلَالُ

يَا بِلَالُ

رَعْدَةٌ أَفْرَعَتْ الشَّحَنَةَ بَيْنَ الْفَقَرَاتِ

لَا تُزْعِ.. إِنِّي آتٍ

يَا بِلَالُ

إِنَّ إِفْضَاءً، بِمَكُونٍ يَرُدُّ الْمَاءَ لِلْوَجْهِ

إِلَيْكَ، الْيَوْمَ قَدْ دَاهَمَ أَسْوَارَ الْقِلَاعِ⁽¹²¹⁾

وَيصور الشاعر مشهد عتق سيدنا (بلال بن رباح) من الرق، وأشار إلى التيمي وقصد به (أبو بكر الصديق) ولقبه بالتيمي نسبة إلى غالب القرشي التيمي جده، ويصف لنا ذلك المشهد ويقول: بعد أن هجع الليل جاء (أبو بكر) إلى حي (بني جمح) وهو يمشي رويدا رويدا ويقارب بين خطاه وقت المغيب عند نزول الشمس، ويصور لنا مجيء (أبو بكر) منسلُّ الرؤى ينظر يمينا وشمالا، ويتلفت من حوله قرب جدار بيت (أمية بن خلف) وينادي على سيدنا (بلال)، ويهمس بصوت منخفض وينادي (يا بلال)، (يا بلال) قد جاءت البشري التي يحملها (أبو بكر) إلى (بلال) ليبشره بالعتق، ويصور لنا الشاعر فرحة سيدنا (بلال) كأنها رعدة أيقظته من سبات عميق، وهو يشير إلى الراحة النفسية التي شعر بها عند سماعه خبر عتقه، وكان (أبو بكر) يبشره بأنِّي آتٍ إليك لأحررك مما أنت فيه من العذاب، فلا تتعجل، ويقول سيدنا (أبو بكر) لبلال: سوف نرد لك اعتبارك بعتقك من العبودية، ونعيد إليك كرامتك المهدورة مع (أمية بن خلف)، ويبشره بأنَّ أمرا ما سيحصل قريبا ويوصيه بالصبر ولعله يشير إلى زوال الشرك، وظهور الإسلام عليه ويقول الشاعر:

فَلَقَدْ أَصْدَقْنَا الْكَاهِنُ زَعْمًا

بِإِنْدِقَاقِ الْفَجْرِ مِنْ مَكَّةَ⁽¹²²⁾

(121) حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 70.

ويبدو أنَّ الشاعر يشير إلى (ورقة بن نوفل) بقوله أصدقنا الكاهن، الذي بشر بنبوّة سيدنا محمد (عليه الصلاة والسلام)، وعندما رأى بلالا يتعذب، وأبو بكر (رضي الله عنه) يريد أن يحرره، ويبشره، ويقول له أنت من اليوم حرّ (يا بلال)، وإنَّ الفجر سوف يشرق من مكة وهي كناية على ظهور الإسلام، وتغلبه على المشركين.

وكان أبو بكر من خيرة الناس في الملمات والشدائد فكان مشهوراً بالدعة والتواضع مألوفاً لقومه محباً سهلاً، من ذوي الشرف في قريش، ولكنه لم يكن من قبائلها الساطية التي تستطيل بالبغي والطغيان، وكان متفتح الذهن، وكان لمحا ذكياً ويسبق الحاضرين في الفهم، ويكره ما شاع في الجاهلية من عبادة الأوثان، فلم يكن متعصباً للجاهلية وعباداتها، فهو من نسب طيب ومن خيرة أهل الأصل والكرم⁽¹²³⁾.

2. شخصية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (ت23هـ).

ويذهب الشاعر إلى شخصية أخرى من الشخصيات الفذة القوية في الإسلام، التي كان لها دور بارز فيه، ألا وهي شخصية الصحابي الجليل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ويصور الشاعر مروءة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، وعدله وحكمته فيقول الشاعر:

إِنَّ فِينَا عُمَرًا رَمَزَ الْعَدْلَةَ
مَنْ مِنَ الْحَكَّامِ قَدْ جَارَى
خَصَالَهُ

جُمِعَتْ فِيهِ الْمُرُوءَاتُ وَيَأْلَهُ
إِنْ دَعَا دَاعِيَ حَزْمٍ لَنْ
يَطَّالَهُ⁽¹²⁴⁾

⁽¹²²⁾ حكمت، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، 70.

⁽¹²³⁾ عباس محمود العقاد، عبقرية الصديق، (مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2005)،

75.

⁽¹²⁴⁾ حكمت، أحفاد الرسول، 22.

والراجح أنَّ الشاعر يريد إظهار صفات سيدنا (عمر الفاروق)، رمزا للعدالة، فهو خير ما يضرب به المثل في العدل، الذي يمكن الاقتداء به لعدله وأمانته، والرمز هنا بأنه يستحق الإشارة إليه مما يحمل من الصفات القويمة، ويصفه أنه يلتزم الحق والعدل، ولا يحيد عنهما، ولا يخاف في الله لومة لائم، ولذلك سمي (عمر العادل) لعدالته قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا)⁽¹²⁵⁾، واستخدم الشاعر أداة الاستفهام (مَنْ) ويراد به النفي، أي ليس من الحكام مَنْ هو أعدل منه، ويشبهه بالحكم والعدل، ويقول ليس هناك من الحكام مَنْ يستطيع مجازاة خصاله في الطبع والأخلاق الحميدة، أو الصفات فهو يتمتع بصفات قل من يتمتع بها غيره، فقد جمعت فيه كل المروءات والشمائل الإنسانية الحسنة، وصحوة الضمير فيه، فكان لا يحابي ولا يداهن، واستخدم الشاعر (ويا له) وهي من أساليب التعجب التي تخرج من معناها الحقيقي إلى المجازي، والتي أراد بها الشاعر المديح، وخصوصا إذا دعا الداعي إلى أمر جلل، أو إلى الجهاد في سبيل الله، أو إحقاق الحق، فهو حازم مجتهد في الأمر غير متهاون فيه، وبعد كل هذه الصفات يقول الشاعر: (لن يطاله) وأراد بذلك أنه لن يدركه أحد من الخلق بهذه الصفات الحسنة،

"وكان عمر قوي النفس بالغاً في القوة، ولكنه على قوته البالغة لم يكن من أصحاب الطمع، ولم يكن ممن يندفعون إلى الغلبة والتوسع في الجاه والسلطان، بغير دافع يحفزهم إليه وهو كاره؛ لأنه كان مفطوراً على العدل وإعطاء الحقوق، والالتزام بالحرمان ما التزم بها الناس من حوله، وكان من الجائز أن يهيجه خطر على قبيلته، أو على الحجاز ومحارمه المقدسة في الجاهلية؛ فينبري لدفعه، ويبلي في ذلك بلاء يتسامع به العرب في جيله وبعد جيله، ولكنه لا يعدو ذلك النطاق، ولا هو بيالي أن يمضي في بلائه حتى يعدوه"⁽¹²⁶⁾.

وينتقل الشاعر إلى مشهد فتح القدس أيام الفتوحات الإسلامية في خلافة

(عمر) فيقول الشاعر:

"إِلْيَاءُ" الْيَوْمَ قَدْ جَاءَكَ وَعَدُّ اللَّهِ حَقًّا

⁽¹²⁵⁾ النساء، 58/4.

⁽¹²⁶⁾ عباس محمود العقاد، عبقرية عمر، (مصر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2006)، 7.

قِيلَ صِدْقًا
إِنَّ لِلْحَقِّ خَلِيفَةً
فَمَقَاتِيحُكَ لَا تُعْطَى
- كَمَا صَرَّحَتْ الْأَسْفَارُ -
إِلَّا لَخَلِيفَةٍ (127)

ويبدو أنَّ الشاعر يصور مشهد الخليفة وهو ذاهب إلى بيت المقدس، وأشار إلى لفظة (إيلياء) وهي من أسماء مدينة (القدس) قديماً عند الرومان، ويقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: "اسم مدينة بيت المقدس؛ وقيل: معناه بيت الله، وقال أبو علي: وقد سمي بيت المقدس إيلياء بقول الفرزدق إذ يقول:

وَبَيَّتَانِ بَيْتُ اللَّهِ نَحْنُ وَلَآتُهُ وَقَصْرٌ بِأَعْلَى إِيلْيَاءٍ مُشْرِفٌ

وقيل سميت إيلياء باسم بانيها، وهو إيلياء بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أخو دمشق، وحمص، وأردن، وفلسطين، وقال بعض الأعراب:

فَلَوْ أَنَّ طَيْراً كُفِّتْ مِثْلَ سَيْرِهِ إِلَى وَاسِطٍ، مِنْ إِيلْيَاءٍ لَكَلَّتْ (128)

ويبدو أنَّ الشاعر يبشر مدينة (القدس) بالفرج القريب ويقول قد جاءك أمر الله، أي قد سخر الله الخليفة (عمر بن الخطاب) بالذهاب إلى القدس ليشهد فتحها؛ وليثبت إيمان المجاهدين في سبيل الله، ويثبت المقاتلين المخلصين لعقيدتهم؛ التي جاءت هدى للناس؛ لتخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم، وهذا الكلام صدق وواقع؛ لأنَّ للحق حليفه، أي أنَّ الحق يجب أن ينتصر؛ لأنَّ الله قد هيا لهذه المدينة من يحررها، وكما صرحت الأسفار عند النصاري أنَّ مدينة القدس لا تعطى مفاتيحها إلا لخليفة، وهذا ما جاء في كتابهم المقدس حسب قولهم، وذكر أيضاً صفات ذلك الخليفة فهذا أمر واقع لا محال، ويصف الشاعر الخليفة (عمر بن الخطاب) ويصف هيئته وملابسه ويقول:

مَلَكٌ يَلْبَسُ أَخْدَاقَ الْيَلَى
وهي سَرَابِيلُ

(127) حكمت صالح جرجيس، ديوان نفق تحت سنايك البراق، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2011)، 24.

(128) شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، 1977)، 1/293.

بِهَا قَدْ رَقَعَ الدَّهْرُ صُرُوفَهُ
يَعْبُرُ الصَّحْرَاءَ
يَحْدُو بِبَعِيرٍ يَمْتَطِيهِ خَادِمٌ
يَحْمِلُ فِي الْخَرْجِ رَغِيفَهُ
يَقْطَعُ اللَّيْلَ
يُؤَافِي النَّاسَ صُبْحًا⁽¹²⁹⁾

والراجح أنَّ الشاعر وصف الخليفة بالملك؛ لأنَّه ملك زمام الأمور، وهو يلبس ملابس قديمة بسيطة ولعلها كانت مرقعة، وذلك يعود إلى زهده بالدنيا، ويقول: إنَّ هذا الخليفة يعبر الصحراء على بعير يمتطيه خادمه مرة، وهو مرة، ويتناوبون على ركوب البعير، وعندما نزل الخليفة عند أسوار المدينة، "خرج إليه بطريقها، وتعرف عليه، وقال: هذا والله الذي نجد صفته، ونعته في كتبنا، ومَنْ يكون فتح بلادنا على يديه"⁽¹³⁰⁾، ويصف الشاعر زاد أمير المؤمنين وهو يحمل معه رغيفا من الخبز الذي يعينه على السفر؛ لكي يتزود منه وهو يسير أثناء الليل ليصل إلى بيت المقدس في الصباح؛ ليوافي الناس صباحا.

ويبدو أنَّ النص يدل على قدوم أمير المؤمنين (عمر) واستحضار الشاعر للمكان وهو (بيت المقدس) مما يدل أنَّ الشاعر استطاع من خلال هذا الحديث أنَّ يستحضر الزمان والمكان ويوظفهما في قصيدته، واستدلال الشاعر على ماضي الأمة المجيد الزاهر، وشخصياتها الفذة وربط ذلك الحدث العظيم في زمن العزة والكرامة للمسلمين في الماضي، وربطه بحاضر الأمة الضبابي وما تعانيه الشعوب اليوم من اضطهاد واحتلال ونهب للثروات، فهذا هو تصور الشاعر لماضي الأمة المشرق فهو يجمع بين كل صفات النبل، والعزة، والتواضع، والرحمة، والإنسانية⁽¹³¹⁾، ويستمر الشاعر في سرد قصيدته ويروي لنا حال أمير المؤمنين وهو يدعو ربَّه في الطريق إلى القدس ويقول:

⁽¹²⁹⁾ حكمت، ديوان نفق تحت سنايك البراق، 25.
⁽¹³⁰⁾ علي محمد محمد الصلابي، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، (بيروت: دار ابن كثير، 2019)، 496.
⁽¹³¹⁾ الجبوري، حكمت صالح سيرته ومرجعيات شعره، 65.

وهو يَتْلُو حَاشِعاً
 " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا "
 أَكْرَمِي مَثْوَى عَزِيزٍ
 لَا تُطِيلِي الْآنَ بِالْبَابِ وَقُوفَهُ
 إِنَّهُ (الْفَارُوقُ) يَا قُدْسُ
 وَهَذَا جَيْشُهُ يُغَمِّدُ فِي الْأُفُقِ سَيْوِفَهُ⁽¹³²⁾

وها هو الشاعر يوظف النصوص القرآنية ويقتبس الآية الأولى من سورة الفتح، التي نزلت لتبشر رسول الله، والمسلمين بما حققوه من نصر، وما سيأتي من خير بعد فتح مكة، وهو يصف الخليفة وهو يدعو ربه في الطريق إلى القدس ويسأله الفتح المبين المؤزر ويتلو (إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا) فهذا فضل من الله العزيز القدير لسيدنا عمر، أَنْ فَتَحَ اللهُ الْقُدْسَ عَلَى يَدَيْهِ، وهنا يبشر بقدم (الفاروق) ويقول: أَنَّهُ الْفَارُوقُ يَا قُدْسُ فابشري بالخير، وافتحي أبوابك لاستقباله، ولا تجعليه يقف ببابك كثيراً ولعله أراد بذلك خروج أهل (القدس) لاستقباله، وإكرامه، ويقول ها قد جاءك الخليفة ليخلصك من الروم، ويصف الشاعر جيش المسلمين، بأنه جيش قوي وجرار وسيوفه تملأ الأفق وهو كناية عن الفتوحات الإسلامية شرقاً وغرباً، التي أجراها الله على أيدي المسلمين في خلافته، وينتقل بنا الشاعر إلى مشهد آخر، ويصور لنا مشهد العدالة، والمساواة، والرحمة، في قلب سيدنا (عمر) ويصف رحمته برعيته وهو يتفقدهم، ويتفقد أحوالهم ليلاً ويقول:

وَإِذَا مَا اللَّيْلُ طَالَ
 فَاسْأَلُوا عَنْ عُمَرَ الْفَارُوقِ؛ يَأْتِ
 بِطَحِينٍ
 يَا صِغَاراً جَائِعِينَ
 فِي خِيَامٍ تَتَأَلَمُ
 تَسْفَحُ الْبُؤْسَ دُمُوعاً وَبُكَاءً⁽¹³³⁾

⁽¹³²⁾ حكمت، ديوان نفق تحت سنايك البراق، 25.

⁽¹³³⁾ حكمت صالح جرجيس، "أبو نر وجيوش الجائعين"، مجلة الجامعة 6، (1974)، 58-60.

ويبدو أنَّ الشاعر يصور مشهد الفقر والجوع في عام الرمادة، حين أمسكت السماء عن المطر، وهو يصف الفقر والناس البسطاء الجائعين في وقت شَحَّ فيه الغذاء، ويصور لنا الخليفة العادل وهو يتفقد خيام الفقراء، ويطوف عليهم في الليل ليتفقد أحوالهم، ويأتيهم بما يسد رمقهم، ويصف تلك الخيام أنَّ فيها أناسا تتألم من الجوع، والأطفال يبكون وهم يتجرعون مرارة البؤس، والرجال مرابطون في الثغور، فلم يبق إلا (عمر العادل) الذي ينصفهم من الجوع، وهذه الواقعة كانت في خلافته عندما سمع طفلا يبكي في الليل من الجوع، فأسرع إلى بيت المال وجلب لهم الطحين، وصنع لهم (العصيدة) وأطعمهم منها، فهذا هو سيدنا (عمر العادل) الذي لا يوجد أحد بعدالته، وليس هناك أحد من الأمراء، والملوك، والحكام، يجاريه في العدل، وقد جمع كل الأخلاق الحميدة التي استمدتها من الإسلام.

3. شخصية عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (ت35هـ).

وينتقل الشاعر إلى شخصية أخرى من الشخصيات العظيمة، التي كان لها دورا متميز في الإسلام، ألا وهو الخليفة الراشد (عثمان بن عفان) ذو النورين (رضي الله عنه)، ويصفه الشاعر بصفات كانت فيه حقا، فكيف لا وهو صهر النبي (عليه الصلاة والسلام) الذي كانت تستحي منه الملائكة فيقول الشاعر:

وَبِذِي النُّورَيْنِ يَزْدَانُ اللِّقَاءُ بِشَبَابٍ كَمَصَابِيحِ السَّمَاءِ
فِي صُفُوفٍ لَوْ تَرَاهُمْ سُجَّدًا قُلْتَ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ⁽¹³⁴⁾

ويصف الشاعر الصفات التي اتصف بها سيدنا (عثمان)، ويصف خلقه، وكان يلقب بذي النورين؛ لأنه تزوج من بنات النبي (عليه الصلاة والسلام) (رقية، وأم كلثوم) وكانتا متزوجتين من (عتبة، وعنتبة) أولاد أبي لهب، فلما نزلت سورة المسد بزم (أبي لهب وزوجته أم جميل)، فارقا ابنتي النبي (عليه

⁽¹³⁴⁾ حكمت، أحفاد الرسول، 23.

الصلاة والسلام)، وعندما سمع (عثمان) بذلك الخبر بادر إلى خطبة رقية بنت النبي فزفها إليه النبي، وبعد أن توفيت (رقية) خطب أختها (أم كلثوم) فزوجها النبي لسيدنا (عثمان)⁽¹³⁵⁾.

ويقول الشاعر إنَّ سيدنا (عثمان) يتزين ويتجمل كما تتجمل السماء بالكواكب والنجوم، كيف لا وهو من العشرة المبشرة بالجنة، وكان سباقاً للإسلام، فيصفه كالنجم اللامع في السماء، وقصد بذلك، أنَّ اللقاء يتزين ويتجمل كما تتزين السماء بالنجوم.

ويبدو أنَّ الشاعر أراد أن يقول، أنَّ كل لقاء، أو تجمع بين الرجال، أو الشباب يتزين ويحلو ذلك التجمع، إذا كان فيه سيدنا (عثمان)، وذكر الشاعر صفوف الصلاة عندما يصطف المسلمون في الصلاة، فهو يزين تلك الصفوف الرحمانية، التي جاءت لعبادة الله وحده، ويصفهم في تلك اللحظات الإيمانية وهم في السجود، وأراد بذلك كثرة السجود لله وعبادته، (وسجدا) صيغة مبالغة في كثرة السجود لله قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا)⁽¹³⁶⁾، فأولئك الذين يبيتون لله سجداً ويشرح صدورهم للإيمان، ويثبتهم، ويأخذ بأيديهم، فهذا فضل من الله، للذين اصطفاهم لعبادته؛ لأنَّ الله يهدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم قال تعالى: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)⁽¹³⁷⁾، ويطالعنا الشاعر في قصيدة (العواصم والثغور) في ديوان (أهازيج المسلم الصغير) ويصور لنا سيدنا (عثمان) بإسلامه كيف شد عضد الإسلام، والمسلمين، وساند الرسول (عليه الصلاة والسلام) كيف لا وهو مَنْ جهز نصف جيش العسرة وأوقف للمسلمين بئر (رومة) ويقول الشاعر:

وجاء الصَّادِقُ المَصْدُوقُ وفَتَّقَتِ السَّمَاءُ بُرُوقُ

⁽¹³⁵⁾ علي محمد محمد الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، (بيروت: دار ابن كثير، 2019)، 19.

⁽¹³⁶⁾ الفرقان، 64/25.

⁽¹³⁷⁾ القصص، 65/28.

و(عُثْمَانُ) غَدَاً عَضُدًا

يَشُدُّ بِعِزِّهِ

الأُمَّةُ⁽¹³⁸⁾

ويبدو أنَّ الشاعر يصف لنا كيف عاضد سيدنا (عثمان) الإسلام بعد إسلامه، وبعد مجيء النبي (عليه الصلاة والسلام) بالرسالة، فيصفه أنَّه أصبح سنداً قوياً للإسلام، وشد عضد الأمة بعزمه، فهو لم يدخر جهداً قط في خدمة الدين، فقد جهز نصف جيش العسرة، وأوقف للمسلمين بئر (رومة).

"عندما قدم النبي (عليه الصلاة والسلام) إلى المدينة المنورة، وجد أنَّ الماء العذب قليل، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر (رومة)، فقال رسول الله: (مَنْ يَشْتَرِي رُومَةَ، فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة؟) وكانت رومة قبل قدوم النبي لا يشرب أحد منها إلا بئس، فلما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عينٌ يقال لها: (رومة)، وكان يبيع منها القرية بمُدٍّ، قال له النبي: (تبيعها بعين في الجنة؟) فقال: يا رسول الله ليس لي، ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه وأرضاه فاشترها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: نعم، قال: قد جعلتها للمسلمين" ⁽¹³⁹⁾.

4. شخصية علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (ت40هـ).

وينتقل الشاعر إلى شخصية أخرى من الشخصيات العظيمة في الإسلام، والتي كان لها دور فعال فيه، ألا وهو الخليفة الراشد سيدنا (علي) أبو الحسين (رضي الله عنه) الذي وقف بوجه الأعداء في المحن، وقاتل في سبيل الله، وساند النبي (عليه الصلاة والسلام) وكان من السباقين إلى الإسلام، وهو أول فتى يدين دين الحق من الصبيان، وتربى على يدي رسول الله، وكانت له صولات وجولات في الإسلام على العدو، ومكث في سرير رسول الله ليلة الهجرة، وضحى بنفسه من أجل إعلاء كلمة (لا إله إلا الله) وأخى النبي (عليه الصلاة والسلام) بينه وبين علي في الهجرة إلى المدينة، وقال له: أنت أخي، فذلك سيدنا علي البطل الشجاع فيقول الشاعر:

لعليّ في رسول الله أسوةً مَنْ سِوَاهُ شَبَّ فِي حِضْنِ النَّبِيِّ

⁽¹³⁸⁾ حكمت صالح جرجيس، أهازيج المسلم الصغير، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2008)،

50.

⁽¹³⁹⁾ الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، 40.

ذُو فَقَارٍ فَآخَرَتْ بِهِ الْفُتُوَّةُ
كَبُوءَةً⁽¹⁴⁰⁾ بَاسِلٌ لَمْ يَكُبْ فِي الْمَيْدَانِ

وهنا يصور الشاعر مشهداً من مشاهد التخلق بالأخلاق النبوية، ويصف سيدنا علي (رضي الله عنه) كيف كان ينهل من منهل النبوة المطهرة؛ ليتخلق بالأخلاق الحميدة، فكان رسول الله أسوة حسنة له، فهذا المثل العظيم الذي قصده الشاعر، واتخذهُ سيدنا علي (رضي الله عنه) المثل الأعلى له في الخلق قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ)⁽¹⁴¹⁾،

"كان أبو طالب ذا عيال كثير، فقال رسول الله للعباس عمه: يا عباس إنَّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد ترى ما أصاب الناس من هذه الأزمة، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله، فأخذ رسول الله علياً فضمه إليه، وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه، فلم يزل علي (رضي الله عنه) مع رسول الله حتى بعثه الله نبياً، فاتبعه (علي)، فأقر به، وصدقته، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه"⁽¹⁴²⁾.

واستخدم الشاعر أسلوب الاستفهام الذي يخرج من معناه الحقيقي إلى المعنى المجازي الذي أراده الشاعر، وهو النفي، أي ليس هناك من تربى مثل سيدنا علي (رضي الله عنه) في بيت النبوة، نشأ وترعرع في كنف النبي، ويا له من كنف عظيم، وكان من أسماء سيدنا علي (رضي الله عنه) ذو الفقار نسبة إلى السيف الذي كان يحمله، وكانت فيه نتوءات بارزة وانحناءات على طول السيف لذلك سماه (بذي الفقار) ويقول الشاعر قد فاخرت به الفتوة؛ لأنه خير فتيان زمانه، وأحسنهم في الفروسية، وصدق القائل حين قال: (لا فتى إلا علي) أي لا فتى يشبهه في أفعاله، ووصفه الشاعر بالبسالة في الميدان، فهو فارس مغوار لا يهاب شيئاً؛ لأنه صاحب عقيدة صحيحة، وهنا قصد الشاعر أنه يستमित في القتال في الدفاع عن الإسلام، ووصفه أنه لم يكبُ كبوة واحدة في ميادين القتال، ويدل ذلك أنه لم يسقط يوماً من على ظهر جواده، فهذا هو البطل المغوار يجوب

⁽¹⁴⁰⁾ حكمت، أحفاد الرسول، 24.

⁽¹⁴¹⁾ الأحزاب، 21/33.

⁽¹⁴²⁾ علي محمد محمد الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، (بيروت: دار ابن كثير، 2019)، 34.

ساحات الوغى، ويصول ويجول على الأعداء، ويقول الشاعر إنه كان سنداً
لرسول الله ويقول:

وَعُثْمَانُ غَدَا عَضُدًا يَشُدُّ بَعْزِمِهِ الْأَمَّةُ
وَكَانَ (عَلَيْنَا) سَنَدًا وَكُلُّ مِنْهُمْ مَقَمَةٌ (143)

ويبدو أنَّ الشاعر قصد أنَّ سيدنا علي (رضي الله عنه) كان سنداً قويا للنبي
ولصحابته، ويدل ذلك من كلامه (وكل منهمو قِمَّة) وهذا يعني أنَّ الصحابة من
الخلفاء الراشدين كلُّ منهم كان قمة شامخة، وكل واحد منهم كان سنداً للآخر،
وكلهم سنداً للإسلام كما كان سيدنا علي (رضي الله عنه)، ويسترسل الشاعر
ويصف لنا شجاعة سيدنا علي حينما تدثر بالبسالة ومكث في فراش النبي ليلة
الهجر ويقول:

وَفِي جُنْحِ الدُّجَى
ارْتَفَعْتُ إِلَى سَبَحَاتِ رَبِّ الْعِزَّةِ الصَّلَوَاتِ
فَذَلِكَ (ذُو الْفَقَارِ) تَدَثَّرَ بِالْبِسَالَةِ
إِنَّهُ الْإِيمَانُ
تَصَدَّى لِلْسَيُوفِ الْبَيْضِ وَالْفِتْيَانِ
عُيُونُ بَنَاهَا الْأَخْلَافُ فِي الطُّرُقَاتِ
وَتَحْتَ سَتَائِرِ الظُّلُمَاتِ (144)

ويصور الشاعر ليلة الهجرة، وكان (عليه الصلاة والسلام) يصلي لربه
ويدعوه الخير، فطلب من سيدنا (علي) وكناه الشاعر في القصيدة (بذي الفقار)
أنَّ ينام في مكانه، ويلبس برده الحضرمي الأخضر؛ لكي لا تشك قريش أنَّ
النبي قد هاجر، وأخبره أنَّه لا يصيبه مكروه، هذا هو الإيمان الذي تسلح به
سيدنا علي (رضي الله عنه)، والتضحية في سبيل إقامة هذا الدين، وتصدى
للرهط الذي جاء لكي يطفئ نور الإنسانية قال تعالى: (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ

(143) حكمت، أهازيج المسلم الصغير، 50.

(144) حكمت صالح جرجيس، ديوان الفرار إلى الله، (الموصل: مكتب كشكول للطباعة والنشر، 2000)،
108.

اللَّهُ بِأَقْوَاهِمَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ⁽¹⁴⁵⁾، أمر النبي (عليه الصلاة والسلام) علياً أن ينام مكانه ليلة الهجرة، وكان الأعداء يحيطون بالبيت ويتربصون به ليقتلوه، فقال له رسول الله: "نم على فراشي وتسبح ببردي هذا الحضرمي، فم فيه، فأنته لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم"⁽¹⁴⁶⁾، وكانت قريش تريد تضييع دم النبي (عليه الصلاة والسلام) بين القبائل، بجلب أولئك الرجال من كل قبيلة رجل، ويفعلوا فعلتهم بإطفاء نور الحق، ولكن إرادة الله أبت إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، فنجى الله رسوله مما كادوا له.

5. شخصية حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) (ت3هـ).

وينتقل الشاعر إلى شخصية أخرى من الشخصيات البطلة التي كان لها دور متميز في الإسلام، وكان لها صولات وجولات في بداية الدعوة الإسلامية، ألا وهو الصحابي الجليل عم النبي (عليه الصلاة والسلام)، (حمزة بن عبد المطلب)، وهو أحد سادات قريش، وأبطالها في الجاهلية، والإسلام، وكان أول لواء عقده النبي (عليه الصلاة والسلام)، (لحمزة)، وكانت ريشة النعام تميزه في الحرب، كان يضعها على صدره، ولقبه النبي (عليه الصلاة والسلام)، (بأسد الله)، قاتل في بدر وستشهد في أحد ويقول الشاعر:

بَطْلُ الْأَبْطَالِ فِي بَدْرِ تَنَزَّهَ
عَنْ نِزَالٍ مَعَ مَنْ أَعْلَنَ
عَجْزَهُ

وَبِإِسْلَامِهِ زَادَ الْحَقُّ عِزَّهُ
إِنَّهُ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ
حَمْزَةٌ⁽¹⁴⁷⁾

وأشار الشاعر هنا إلى معركة بدر التي انتصر فيها المسلمون على كفار قريش في السنة الثانية للهجرة قال تعالى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا

⁽¹⁴⁵⁾ التوبة، 32/9.

⁽¹⁴⁶⁾ الصلاحي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، 41.

⁽¹⁴⁷⁾ حكمت، أحفاد الرسول، 29.

اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ⁽¹⁴⁸⁾، ويقول الشاعر: قد تنزه عن نزال مَنْ أعلن عجزه، أي إنّه لم ينازل خصما عاجزا ضعيفا، فلم ينازل إلا الأبطال، وهذه هي شيمهم، فترفع وتنزه عن مقاتلة الجبناء والضعفاء، وبإسلام سيدنا حمزة زاد الإسلام عزة، ورفعة، ومهابة، وأشار الشاعر بلفظة (الحق)، والمقصود به الإسلام، أو القرآن، فكلاهما حق، وهي معركة الحق ضد الباطل، إنّ إسلام حمزة سيُغري كثيرين من الصفوة بالإسلام، وسيجد النبي (عليه الصلاة والسلام) من الصفوة، والبأس، ما يعزز دعوته، ويشد أزره، وتصحو قريش ذات يوم على هدير المعاول تحطم أصنامها وآلهتها، لقد أعز الله الإسلام بحمزة، ووقف شامخا يزود عن الإسلام، والمستضعفين، وعندما رآه (أبو جهل) في معركة بدر يقف في صفوف المسلمين أدرك أنّها الحرب لا محالة، وكان إسلامه وقاية، ودرعا، كما كان إغراء ناجحا لكثير من القبائل التي قادها إسلام حمزة أولا، ثم إسلام عمر بن الخطاب ثانيا، ومنذ أن أسلم حمزة نذر كل عافيته، وبأسه، وحياته لله حتى خلع عليه النبي لقب (أسد الله، وأسد رسوله)، وأول سرية من المسلمين خرجت في سبيل الله ضد قريش، كان أميرها حمزة، وأول راية عقدها رسول الله، كانت لحمزة⁽¹⁴⁹⁾.

6. شخصية الحسن بن علي (رضي الله عنه) (ت50هـ).

ويختار الشاعر شخصية أخرى من الشخصيات المهمة التي كان لها دور في الإسلام، وضحت بالغالي، والنفيس؛ من أجل الإسلام، ومنع وقوع الفتنة بين المسلمين، ألا وهو (الحسن بن علي بن فاطمة الزهراء) من آل بيت النبي الأطهار قال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)⁽¹⁵⁰⁾ وهو سيد شباب أهل الجنة، وسبط النبي، وهو أول أحفاد النبي،

⁽¹⁴⁸⁾ آل عمران، 3/ 123.

⁽¹⁴⁹⁾ خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000)، 122-

123.

⁽¹⁵⁰⁾ الأحزاب، 33/33.

وأول أولاد الزهراء، كان (الحسن) حليماً سريع البديهة، قال عنه النبي (عليه الصلاة والسلام): "إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ يَصْلَحُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ" (151).

بعد استشهاد سيدنا (علي) بابعه أهل العراق بالخلافة، لذلك عدّه بعض المؤرخين بالخليفة الخامس، وحقنا لدماء المسلمين تنازل عنها (لمعاوية) في بيت المقدس سنة (41) هجرية، درءاً للفتنة ووحدة كلمة الأمة، وحقن دماؤها، وسمي ذلك العام بعام (الجماعة)؛ لاجتماع كلمة المسلمين، ويقول الشاعر عن الحسن:

مَنْ مِنَ الْحُكَّامِ ضَحَّى كَالْحَسَنِ أَنْقَذَ الْأُمَّةَ مِنْ شَرِّ
الْفِتَنِ
زَالَ مُلْكُ الْخُلَفَاءِ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ بِالْأَفْضَالِ بَاقٍ
كَالزَّمَنِ (152)

بدأ الشاعر بأداة الاستفهام (مَنْ) وهي اسم استفهام للعاقل، وهي أسم استفهام خرج في هذه العبارة إلى النفي والإنكار؛ أي لا يوجد هناك رجل أفضل من سيدنا الحسن، ولا أعقل، ولا أحكم منه من بين الحكام، وهو يضحى بالخلافة والسلطة إلى غيره، من أجل الحفاظ على أرواح المسلمين، وخشية وقوع الفتنة، إذا هو أفضل من ضحى عن سواه، وذلك لأجل إنقاذ الأمة الإسلامية، والدين من شر الفتن، والحروب، فها هو الحسن الحليم العاقل سريع البديهة تنازل عن ملك أبيه وجده؛ بسبب درء الفتن، والافتتال بين المسلمين، والفتنة هي الاختبار، وتطلق على الخلافات، والمشاكل التي تقع بين الناس، والفتنة المقصودة هنا فتنة الخلافة قال تعالى: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) (153) وهو بالأفضال باقٍ كالزمن، أي في عمل الخير، والإحسان الذي يقدم للغير، فهذه

(151) البخاري "كتاب فضائل الصحابة" 9.

(152) حكمت، أحقاد الرسول، 48.

(153) الأنبياء، 35/21.

صفة الكرام الذين يجودون بما عندهم لغيرهم؛ من أجل السلام وعدم وقوع الفتن، والحروب بين الأهل، والأصحاب، ويصفه الشاعر أنَّه صاحب الفضل العظيم، الذي ليس بعده فضل، ويشبهه كالزمن في امتداده، وخلوده، فيبقى هذا الفضل ما بقي الزمان.

وبعد أن تولى سيدنا الحسن الخلافة اكتسب رضا العرب المسلمين جميعاً، وكان بوسعه خوض حرب لا هوادة فيها ضد معاوية، وكان مَنْ حوله رجال يتصفون بالسياسة والحنكة، والأخلاق الحميدة؛ التي تساعد على خوض المعركة، والانتصار فيها، إلا أن الحسن أثر السلم، ومال إلى الصلح؛ لحقن الدماء، وتوحيد الأمة، وزهده بالملك، على الرغم من أنَّ جبهته العسكرية كانت هي الأقوى من جبهة الخصم، وكان في موقع قوة، والدليل على ذلك أنَّ معاوية فاولضه ووافق على شروط الحسن (رضي الله عنه)، وأخذ الحسن منه الضمانات؛ لدرء الحرب وويلاتها، فقد قاد سيدنا الحسن (رضي الله عنه) مشروع الإصلاح الذي توجه بوحدة الأمة⁽¹⁵⁴⁾.

7. شخصية الحسين بن علي (رضي الله عنه) (ت 61 هـ).

ويطالعنا الشاعر بشخصية أخرى عظيمة من الشخصيات التي خلد اسمها في التاريخ، وكان لها دور في الدروس والعبر في حياة المسلمين، على مر القرون، ألا وهو سيد شباب أهل الجنة، وسيد الشهداء، الحسين (رضي الله عنه)، قال النبي (عليه الصلاة والسلام): "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"⁽¹⁵⁵⁾، ولد سيدنا الحسين في بيت النبوة، من أم وأب من أشرف أسياد العرب، وجده الرسول (عليه الصلاة والسلام)، تخلف (الحسين) عن مبايعة (يزيد بن معاوية) بالخلافة، ودعا أشياعه إلى الكوفة؛ ليبايعوه، ف وقعت الحادثة الأليمة على قلوب المسلمين، التي يعتصر القلب عند سماعها، ألا وهي استشهاد

⁽¹⁵⁴⁾ علي محمد محمد الصلابي، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب، (بيروت: دار ابن كثير، 2019)، 287.
⁽¹⁵⁵⁾ الصلابي، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب، 57.

سيدنا الحسين (رضي الله عنه)، ومن ثم أرسل برأسه، ونسائه، وأطفاله إلى عاصمة الأمويين في دمشق، وبقي هذا اليوم يوم حزن لدى المسلمين، وكان استشهاده أحد أسباب انهيار الدولة الأموية، ويقول الشاعر:

إِتَّبَعْدُ يَا كَرْبُ، واحْذَرْ يَا بَلَاءُ
لَنْ تَرَوْعَا مَنْ ثَوَى فِي كَرْبَلَاءُ

بِحُسَيْنٍ سِبْطُ خَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ ضَاقَتْ الْأَرْضُ، فَحَقَّتْهُ السَّمَاءُ⁽¹⁵⁶⁾

ويبدو أنَّ الشاعر يشير إلى الكرب العظيم الذي حل بسيدنا الحسين (رضي الله عنه)، وآل بيته الأطهار من ظلم، وقسوة، وحزن شديد عليه، وعلى آل بيته الطاهرين، ويقول الشاعر وهو يحذر البلاء، احذر يا بلاء ولعله يحذره من الكرب العظيم، وأراد به الاختبار، والبلاء، لآل بيت النبي قال تعالى: (إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَلُؤُاَ الْمُبِينُ)⁽¹⁵⁷⁾، ويقول الشاعر لن ترؤعا وقصد هنا (الكرب، والبلاء) بأنكم لن تفزعا ولا تخيفا مَنْ ثوى في كربلاء، وقصد الإقامة في كربلاء، وأراد ألا يفزعا سبط رسول الله، الذي قتل مظلوما فيها؛ من أجل القيم، والمبادئ، والدفاع عن المظلومين، وأراد بالسبط أي حفيد النبي (عليه الصلاة والسلام) من ابنته (فاطمة الزهراء)، ويقول ضاقت به الأرض بما رحبت، ولكن السماء حفته ورفعت روحه الشهيدة إلى بارئها، وحزن عليه من في السماوات والأرض، واستشهد الحسين (رضي الله عنه) في يوم عاشوراء من شهر المحرم الحرام سنة (61) هجرية بكربلاء في أرض العراق، وأكد الرسول (عليه الصلاة والسلام)، على محبته له وقال: (أَحَبُّ اللَّهِ مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا) فَإِنَّ محبته تؤدي إلى محبة الرسول، ومحبة الرسول تؤدي إلى محبة الله⁽¹⁵⁸⁾.

8. شخصية عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) (ت32هـ).

⁽¹⁵⁶⁾ حكمت، أحفاد الرسول، 53.

⁽¹⁵⁷⁾ الصافات، 106/37.

⁽¹⁵⁸⁾ الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، 93.

ويختار لنا الشاعر شخصية أخرى من الشخصيات الإسلامية، ومن العشرة المبشرة بالجنة، وأحد الستة من أصحاب الشورى الذين رشحهم سيدنا عمر (رضي الله عنه) للخلافة من بعده، وقيل هو ثامن السابقين إلى الإسلام، وكان (رضي الله عنه) شجاعاً، كريماً، ومن عقلاء العرب، شارك في معركة بدر، وأحد، وأكثر المعارك، وكان موسراً يحترف التجارة، تصدق يوماً بقافلة فيها سبعمائة حمل من الحنطة، والطحين، وأصناف الطعام الأخرى، هذا هو سيدنا (عبد الرحمن بن عوف)؛ الذي لم يدخر جهداً في خدمة الدين، فيقول الشاعر:

سَلْسَبِيلًا لَمْ يَشُبْ صَفْوُهُ زَيْفٌ بِقَوَارِيرَ سَقَى اللَّهُ ابْنَ عَوْفٍ
وَلَهُ فِي جَنَّةِ الْفُرْدُوسِ قَصْرٌ آمَنَ اللَّهُ بِهِ مِنْ كُلِّ
خَوْفٍ (159)

يصف الشاعر حال سيدنا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) ويقول إنَّ له منزلة عظيمة في الجنة، وله عين ماء يشرب منها وتسمى (سلسبيلاً) من عيون الماء العذب وإنَّ هذه لمنزلة عظيمة، ولم يَشُبْ إيمانه أي زيف، أو غش، أو فساد، أو شك، لم يخالطه أي شيء من المنكرات، قويا بالله، ويصف صفوه أنَّه نقي، وخالص من كل العيوب، ويصف الشاعر شربه من ماء عذب بقوارير من زجاج رقيق، أو يدعو له، أنْ يسقيه بتلك القوارير قال تعالى: (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنِيَّةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا) (160)، وجعله الله آمناً في جنة الفردوس، وأمنه من كل خوف.

"قدمت ذات يوم إلى المدينة عيّر سبقتها الريح بأمواج من الغبار الأصفر الناجم عن الرمال الناعمة، وحسبها الناس عاصفة رملية، ولكنهم سرعان اكتشفوا أنَّها قافلة لابن عوف، ولم يمض وقت طويل حتى رأى الناس القافلة التي بلغ عدد رواحها السبعمائة من الجمال المحملة بكل ما يحتاجه أهل المدينة من البضائع المختلفة، وحين علمت أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بالخبر سألت قائلة: لمن هذه الرواحل السبعمائة؟ جاءها الجواب: هي (لعبد الرحمن بن عوف)، فقالت عائشة (رضي الله عنها): فلقد سمعت رسول الله يقول:

(159) حكمت، أحفاد الرسول، 43.

(160) الإنسان، 15/76.

يدخل عبد الرحمن بن عوف الجنة حبوا، وكان قول: الرسول (عليه الصلاة والسلام) يا بن عوف أنت من الأغنياء.. وإنك ستدخل الجنة حبوا، فأقرض الله يطلق لك قدميك" (161).

9. شخصية الزبير بن العوام (رضي الله عنه) (ت36هـ).

يطالعنا الشاعر بشخصية أخرى من الشخصيات الإسلامية، وهو أحد المبشرين بالجنة، من البوأسل الأبطال الذي لم يدخر جهدا في الدفاع عن دين الله، كان رضي الله عنه من الشجعان، وهو ابن (صفية) عمة النبي (عليه الصلاة والسلام)، وزوج (أسماء بنت الصديق)، وهو أول من سل سيفه في الإسلام ضد الكفار، وشهد بدرا، وأحدا، وغيرهما من المعارك في سبيل الله فيقول الشاعر:

عَلِّقُونِي، واضرموا حَوْلِي الحَصِيرَا
فَقَدْ اخْتَرْتُ الدِّيَ أَبْغِي
مَصِيرَا
وَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَنْ قَدْ سَلَ سَيْفَاً
فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلْحَرْبِ
الزُّبَيْرَا (162)

يصور الشاعر مشاهد البطولة والبسالة، وشجاعة الصحابي الجليل (الزبير بن العوام)، وهو لا يخشى أي شيء في سبيل الله، ويقول: علّقوني إلى جذع الشجرة، واجعلوني متدلّيا إلى الأسفل وأضرموا في جسدي النار، وافعلوا ما تشاءون، وكان ذلك من العذاب الذي لقيه من قريش عند إسلامه، فيقول: إني قد اخترت دين الإسلام ولن أراجع عنه حتى وإن أضرمتم من حولي النار في الحصيرا، وهذا كان أسلوب تعذيب (الزبير)، ويقول مهما فعلتم بي لن أراجع عن الحق، وقصد به دين الإسلام، ولا أبغي غير هذا الدين، قال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (163)، وهذا مطلب ليس فيه تراجع بل فيه إصرار على الحق، وفي بداية إسلامه، وعلى الرغم من نسبه الرفيع من قريش "إلا أنه حمل من اضطهاد قريش وعذابها،

(161) عمر محمد البابا، عبد الرحمن بن عوف، (حلب: دار ربيع للنشر، (د، ت))، 14.

(162) حكمته، أحفاد الرسول، 45.

(163) آل عمران، 85/3.

وكان الذي تولى تعذيبه عمه كان يلفه في حصير من القصب، ويدخن عليه النار؛ كي تزهق أنفاسه، ويناديه وهو تحت وطأة العذاب: اكفر برب محمد أدرأ عنك هذا العذاب" (164)، ويقول الشاعر أنه أول من سل سيفه في سبيل الله للدفاع عن الرسول (عليه الصلاة والسلام)، والإسلام، وفي أحد الأيام شاع بين الناس مقتل النبي (عليه الصلاة والسلام)، فما كان من الزبير إلا أن استل سيفه وسار فيه في مكة على حداثة سنه كالإعصار، وذهب يتبين الخبر، إن كان صحيحا فسوف يعمل سيفه في رقاب قريش حتى يظفر بهم أو يظفروا به (165)، وهذا أول سيف يشهر في سبيل الله ورسوله؛ لذلك قالوا (الزبير) أول من سل سيفه في الإسلام.

10. طلحة بن عبيد الله (رضي الله عنه) (ت36هـ).

أراد الشاعر (حكمت صالح) أن يظهر خصال سيدنا (طلحة) في الكرم والجود، وكيف كان عزيزا غاليا في زمانه، ويصفه بالبطل المغوار وهو كذلك بطل مغوار لا يهاب الموت في سوح القتال، وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة، ودافع عن النبي (عليه الصلاة والسلام)، وأصيب ببضع وسبعين طعنة، وضربة، وقطعت إصبعه، وأشار النبي إلى طلحة وقال: أنه مشمول بقوله تعالى: (مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) (166) وقال (عليه الصلاة والسلام) فيه "من أراد أن ينظر إلى رجل يمشي على الأرض قد قضى نحبه فليُنظر إلى طلحة" (167)، وكان طلحة (رضي الله عنه) من أغنياء المسلمين وأثريائهم.. وكانت ثروته كلها في خدمة الدين.. وكان ينفق منها بغير حساب، وكان الله ينميها له بغير حساب، ولقبه رسول الله (عليه الصلاة والسلام) (بطلحة الخير)،

(164) خالد، رجال حول الرسول، 269.

(165) خالد، رجال حول الرسول، ص268.

(166) الأحزاب، 23/33.

(167) محمد صالح عوض، العشرة المبشرون بالجنة، (القاهرة: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1999)،

(وطلحة الفياض) و(طلحة الجود)، وعن قبيصة بن جابر قال: "ما رأيت قط رجلا أعطى لجزيل من المال من غير مسألة من طلحة بن عبيد الله" (168)، وكان شجاعا لا يهاب الموت أبدا، وكان موسرا كريما تجمعت فيه صفات الكرم والشجاعة، واستشهد في معركة الجمل، واستشهد معه ابنه (محمد السجاد)، وقال الشاعر:

يُغْدِقُ الْمَالَ إِذَا عَزَّ النَّدَى وَبُسُوحِ الْحَرْبِ لَا يَعْصِبُ
جُرْحَهُ
إِنْ تَجَدُّ نَفْسٌ بِمَا قَدْ مَلَكَتْ فَهِيَ أُخْرَى بِكَرِيمٍ مِثْلُ
(طَلْحَةَ) (169)

والراجح أنَّ الشاعر يصور لنا سقاء سيدنا (طلحة)، وجوده بالمال، ويبذله رخيصة إذا ما ألفت الخطوب في الناس، أي كلما كان المال عزيزا هو يبذله في سبيل الله، ولا يخشى الفقر أبدا، ويقول الشاعر: أنَّه في سوح القتال شجاع لا يهاب الموت يصول ويجول ويجندل الفرسان في المعركة، وإذا أصيب بجرح لا يعصبه، أي يبقيه مكشوبا، ويصور لنا كيف كان يجود بالمال، ويقول: ليس هناك من يجود بأكثر مما يجود به (طلحة) فوصفه بالكريم، وهذه الصفة لا تليق إلا به، وكان ينفق المال بلا حرص عليه، ويعطيه بدون حساب ويقول ذلك أليق، وأجدر بالكرماء.

11. شخصية سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) (ت55هـ).

ويطالعنا الشاعر بشخصية أخرى حُفِرَ اسمها في ساحات المعارك، ووثقها التاريخ، لأخذ الدروس والعبر منها، ألا وهو البطل الشجاع (سعد بن أبي وقاص)، وهو أحد العشرة المبشرة بالجنة، كان قائدا عظيما في المعارك، وخاصة معركة القادسية، التي أذاق فيها الفرس ألوان العذاب، ودمر

(168) عوض، العشرة المبشرون بالجنة، 97.
(169) حكمت، أحفاد الرسول، 46.

إمبراطوريتهم، وهو أول مَنْ رمى سهمًا في سبيل الله، "إِنَّ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ
لَأَمْجَادَ كَثِيرَةٍ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبَاهِيَ بِهَا وَيَفْخَرُ، أُولَهُمَا: أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ رُمِيَ أَيْضًا، وَثَانِيَهُمَا: أَنَّهُ الْوَحِيدُ الَّذِي افْتَدَاهُ الرَّسُولُ بِأَبْوِيهِ
فَقَالَ لَهُ يَوْمَ أَحَدٌ: "إِرمِ سَعْدَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي فَكَانَ دَائِمًا يَتَغَنَّى بِهَاتَيْنِ النِّعْمَتَيْنِ
الْجَزِيلَتَيْنِ، وَيُلْهِجُ وَيُشْكِرُ اللَّهَ عَلَيْهِمَا فَيَقُولُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ
رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَيَقُولُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَفْدِي
أَحَدًا بِأَبْوِيهِ إِلَّا سَعْدًا فَإِنِّي سَمِعْتُهُ يَوْمَ أَحَدٍ يَقُولُ: إِرمِ سَعْدَ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي" (170)،
ولقب (بفارس الإسلام) وكان عمره (17) عامًا حين دخل الإسلام، وشهد أكثر
المعارك في سبيل الله، فيقول الشاعر:

كَفَّ سَعْدٌ أَطْفَأَتْ نَارَ الْمَجُوسِ ثُمَّ أَعْطَتْهُمْ هُدًى اللَّهُ
هَدِيَّةً

فَاطَمَأْنَنْتَ لِلْهُدَى تِلْكَ النُّفُوسُ بَعْدَ نَصْرِ اللَّهِ يَوْمَ
الْقَادِسِيَّةِ (171)

يصور الشاعر هنا معركة القادسية، وفتح بلاد فارس، على يد القائد الهمام
(سعد بن أبي وقاص) وجاءهم بالإسلام، خير لهم من عبادة النار، فاطمأنوا لذلك
الدين، فكان الإسلام هدية لهم، ويصور الشاعر كيف أَنَّ يد (سعد) هي من
أطفأت تلك النار التي كان يعبدها المجوس، ويصور الشاعر كيف أبدلهم الله
بتلك العبادات الخاطئة، بعبادة الله وقدم لهم الهداية هدية، وأشار إلى معركة
القادسية التي أجبرت الفرس على الدخول في الإسلام، وهدى الله هو كتاب الله
المنير الذي يخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربه، أشار الشاعر إلى
تلك النفوس بأنها اطمأنت بعد أن انتصر المسلمون في المعركة، ونصر الله
جنده المجاهدون في سبيله، وكل ذلك في سبيل إعلاء (لا إله إلا الله).

(170) خالد، رجال حول الرسول، 85.

(171) حكمت، أحفاد الرسول، 51.

غرس أمير المؤمنين (عمر الفاروق) لواء القادسية في يمين (سعد بن أبي وقاص) ليرمي به الفرس المتجمعين في أكثر من مائة ألف مقاتل في القادسية وهم مدججون بالسلاح، وبأخطر ما كانت تعرفه الحروب آنذاك، وتقودهم أذكى عقول الحرب، ولكن يخرج إليهم (سعد بن أبي وقاص) - وببده راية الإسلام - القائد المؤمن بثلاثين ألف مقاتل يتسلحون بأسلحة بسيطة عبارة عن رماح وسيوف، ولكن في قلوبهم الإيمان، والإرادة القوية في نشر دين الله وهم مشتاقون إلى الشهادة في سبيل الله⁽¹⁷²⁾.

2.2.3. المطالب الثالث: شخصية الصحابييات (رضي الله عنهن).

1. شخصية خديجة بنت خويلد زوج النبي (رضي الله عنها) (ت3ق، هج).

تناول الشاعر (حكمت صالح) بعض نساء النبي وآل بيته الأطهار، وبعض الصحابييات ممن كان لهن دور متميز في الإسلام، فنبدأ بأُم المؤمنين (خديجة الكبرى) ووصفها الشاعر بما يليق بمنزلتها عند رسول الله، فقد وصفها بأوصاف حميدة، وخصال كريمة، فكانت خير معين للنبي في بداية الدعوة، وكانت امرأة ثرية من أثرياء مكة، عمل رسول الله في تجارتها قبل البعثة وأعجبت بأخلاقه فعرضت عليه الزواج فتزوجها، ولقبت أم المؤمنين، ولقد وفرت له بيئة ملائمة للتعبد والاستعداد لتلقي الرسالة السماوية، فأزرت به بمالها، وبمكانتها الاجتماعية في قومها، فهي أول من آمن برسول الله (عليه الصلاة والسلام)، وتوفيت رضي الله عنها في عام الحزن، وهو العام الذي قررت فيه قریش مقاطعة المسلمين، فكان لوفاتها أثر بالغ في نفس النبي (عليه الصلاة والسلام)، ويقول الشاعر:

بِالْفَرَاشَاتِ الَّتِي حَاكَتْ

أَيُّهَا السَّفْحُ الذِّي مَدَّ مَرْوَجَهُ

نَسِيجَهُ

(172) خالد، رجال حول الرسول، 88.

عَقَرَ الْقَبْرَ الَّذِي اسْتَنَارَ أَرِيحَهُ
بِخَدِيجَةٍ⁽¹⁷³⁾ إِنَّ عَامَ الْحُزْنِ أَوْدَى

وَيَصِفُ الشَّاعِرُ هُنَا الْمَكَانَ الَّذِي ضَمَّ جَثْمَانِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ (خَدِيجَةَ)، وَلَعَلَّهُ فِي مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، وَيَقُولُ إِنَّ الْأَرْضَ ازْدَهَرَتْ لِأَنَّهَا ضَمَّتْ ذَلِكَ الْجَسَدَ الطَّاهِرَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، وَإِنَّ الْقَبْرَ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ طَيِّبَةٍ زَكِيَّةٍ، وَلَعَلَّهُ وَصَفَهَا بِالزَّهْرَةِ الَّتِي يَفُوحُ مِنْهَا الْعَطَرُ، وَقَطَفَتْ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَبِيرُهَا يَمْلَأُ الْمَكَانَ بِالْعَطَرِ فَذُبُلَتْ، وَإِنَّ مَوْتَهَا أَثَرَ كَثِيرًا فِي نَفْسِ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) فَكَانَتْ خَيْرَ سَنَدٍ وَمَعِينٍ لَهُ فِي تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ وَمُقَارَعَةِ الْمُشْرِكِينَ، فَذَلِكَ الْعَامُ سَمِيَ بِعَامِ الْحُزْنِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ فَقَدَ أَعَزَّ أَثْنَيْنِ عَلَى قَلْبِهِ عَمَهُ (أَبُو طَالِبٍ)، وَزَوْجَتَهُ (خَدِيجَةَ) أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، فَكَانُوا أَحَدَ الْمَدَافِعِينَ عَنْهُ، قَالَ السَّهَيْلِيُّ: "إِنَّمَا بَشَرَهَا اللَّهُ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، يَعْنِي مِنْ قَصَبِ اللَّوْلُؤِ؛ لِأَنَّهَا حَازَتْ قَصَبَ السَّبْقِ إِلَى الْإِيمَانِ، وَلَا صَخْبَ فِيهِ وَلَا نَصْبَ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَرْفَعْ صَوْتَهَا فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) فَلَمْ تَتَعَبْهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ، وَلَمْ تَصْخَبْ عَلَيْهِ يَوْمًا، وَلَا آذَتْهُ أَبَدًا"⁽¹⁷⁴⁾، اخْتَارَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى (خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ) زَوْجَةً لِلنَّبِيِّ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) لِتَكُونَ خَيْرَ مَعِينٍ لَهُ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ، وَتَوَازَرَهُ، وَتَخَفَّفَ عَنْهُ مَا يَصِيبُهُ، وَتَعِينَهُ وَتَحْمِلَ عَنْهُ هُمُومَهُ، وَكَانَ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ⁽¹⁷⁵⁾.

وخديجة مثل طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، "إِنَّ أَصْحَابَ الرِّسَالَاتِ يَحْمِلُونَ قُلُوبًا شَدِيدَةَ الْحَسَاسِيَّةِ، وَيَلْقُونَ غَبْنًا بَالِغًا مِنَ الْوَاقِعِ الَّذِي يَرِيدُونَ تَغْيِيرَهُ، وَيَقَاسُونَ جِهَادًا كَبِيرًا فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ الَّذِي يَرِيدُونَ فَرْضَهُ، وَهُمْ أَحْوَجُ مَا يَكُونُونَ إِلَى مَنْ يَتَعَهَّدُ حَيَاتِهِمْ الْخَاصَّةَ بِالْإِيْنِاسِ، وَالتَّرْفِيهِ، وَكَانَتْ (خَدِيجَةُ) سَبَاقَةً إِلَى هَذِهِ الْخَصَالِ، وَكَانَ لَهَا فِي حَيَاةِ مُحَمَّدٍ (عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) أَثَرٌ كَرِيمٌ"⁽¹⁷⁶⁾.

⁽¹⁷³⁾ حكمت، أحفاد الرسول، 14.

⁽¹⁷⁴⁾ أبو الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملحم وعلي نجيب عطوي،

(بيروت: دار الكتب العلمية، 1985)، 1/ 125.

⁽¹⁷⁵⁾ علي محمد محمد الصلابي، السيرة النبوية، (بيروت: دار ابن كثير، 2019)، 1/ 71.

⁽¹⁷⁶⁾ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، فقه السيرة للغزالي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (القاهرة: دار الكتب الحديثة، 1965)، 78.

2. شخصية عائشة الصديقة أم المؤمنين (رضي الله عنها) زوج النبي (ت57هـج).

وينتقل الشاعر إلى شخصية أخرى من آل بيت النبي الأطهار، التي كان لها دور مهم في نقل رواية الأحاديث النبوية عن النبي (عليه الصلاة والسلام) ألا وهي الصديقة بنت الصديق أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها)، وهي من السباقات إلى الإسلام، وكان الوحي ينزل على النبي في بيتها، ونزلت بها آيات من القرآن الكريم في التنويه لقدرها ومنزلتها، فيقول الشاعر:

إِنَّ فِي نِسْوَتِنَا أَغْلَامٌ دِينَ
فَانْظُرُوا، لَوْ كَانَ يَدْرِي
الْجَاهِلُونَ
نَصَفُ دِينِ اللَّهِ عَنْ عَائِشَةَ
جَاءَنَا بِالْحِفْظِ وَالصَّوْنِ
الْأَمِينِ⁽¹⁷⁷⁾

وهنا يشير الشاعر إلى النساء المؤمنات من آل بيت النبي، اللواتي حملن ونقلن هذا الدين الحنيف، ونقل السنن عن النبي (عليه الصلاة والسلام) إلى المسلمين، فالشاعر يرفع من قدرهن ومكانتهن العظيمة في الإسلام، فيصفهن من الأعلام اللواتي ضحين بأنفسهم من أجل نقل هذا الدين، ويقول انظروا إلى الجاهلين لو يعلمون ما قامت به من مهمة عظيمة خدمت الأمة الإسلامية، وهناك من يطعن بآل بيت النبي الأطهار، ويقلل من شأنهم، فهؤلاء هم الذين نقلوا لنا الدين وحافظوا عليه على مر السنين إلى أن وصل إلى رواة الحديث فهم من استكمل نسخ الحديث الشريف، فيقول الشاعر نصف الدين نقلته أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بعدما حفظته عن النبي (عليه الصلاة والسلام)، فيقول جاءت به إلينا عن طريق الجهد الكبير الذي بذلته في سبيل إيصال الحديث إلينا عن طريق الحفظ، فكانت خير صائن وأمين على نقله، أي كانت صادقة وأمانة في نقل ما ورد عن النبي (عليه الصلاة والسلام) فهذه

⁽¹⁷⁷⁾ حكمت، أحفاد الرسول، 15.

(عائشة)، وقصد الشاعر بنصف دين الله، المقصود ما تحفظه السيدة الطاهرة العفيفة من كتاب الله وسنة نبيّه، والمحافظة عليه وعدم التصرف به بزيادة أو نقصان.

ولعل من حكمة الله أن تتعدد زوجات النبي (عليه الصلاة والسلام)، فتتعدد صلات المصاهرات بينه وبين مختلف القبائل، ولعل أكبر مصلحة دينية ودعوية في تعدد زوجات النبي، وزواجه من (عائشة) في السن المبكر هو أن مئات من الرجال قد سنحت لهم الفرصة لنيل شرف صحبة رسول الله، فاقتبسوا من أنوار فيوضه، أما النساء فلم يتيسر لهن ذلك، ولم تتوافر لهن هذه الفرصة، وبالتالي كان حظهن أقل بكثير من حظ الرجال، إلا أن الزوجات الطاهرات المطهرات وخاصة (عائشة) فقد متعها الله بهذه النعمة الكبيرة، وأكرمها بحفظ ما يتعلق بالنساء وغيره من الحديث الشريف، ومن ثم قامت بنقل هذا العلم ونشره بين الناس، وتكون من سفراء النبي إلى سائر النساء ونشر تفاصيل الرسالة⁽¹⁷⁸⁾، ولعل ذلك جعل الشاعر يقول: نصف دين الله عن عائشة، وخاصة فيما يتعلق بأمور النساء من حيض ونفاس وغيرها مما يخصهن.

3. شخصية فاطمة الزهراء (رضي الله عنها) بنت رسول الله محمد (ت11هـ).

السيدة (فاطمة الزهراء) من الشخصيات الإسلامية المهمة من آل بيت النبي فهي أم الشهيدين (الحسن والحسين) وزوجة سيدنا (علي (رضي الله عنه))، وابنة النبي (عليه الصلاة والسلام)، وريحانته، وزوجة أشجع الرجال، وهي أول من لحق برسول الله بعد موته، فقد عانت في حياتها شغف العيش؛ لانشغال سيدنا علي (عليه الصلاة والسلام) بالجهاد في سبيل الله، ومساعدة النبي (عليه الصلاة والسلام) في تدبير أمور المسلمين، وإدارة شؤون الدولة، فكانت تعيش حياة بسيطة بعيدا عن التعقيد، كانت معيشة (علي وفاطمة) وهما أحب الناس

⁽¹⁷⁸⁾ سليمان الندوي، الدر الثمين في سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين، (بغداد: إعداد مركز البحوث والدراسات الإسلامية الوقف السنّي، 2010)، 41.

إلى رسول الله (عليه الصلاة والسلام) معيشة زهد وتقشف، وصبر وجهد، فقد أخرج هناد عن عطاء، قال: "نُبئت أَنَّ علياً رضي الله عنه قال: مكثنا أياماً ليس عندنا شيء، ولا عند النبي (عليه الصلاة والسلام)، فخرجت فإذا أنا بدينار مطروح على الطريق، فمكثت هنيهة أوامر نفسي في أخذه أو أتركه، ثم أخذته لما بنا من الجهد، فاشتريت به دقيقاً، ثم أتيت به فاطمة فقلت: اعجني واخزي، فجعلت تعجن- وإن قُصَّتْها لتضرب حرف الجفنة من الجهد الذي بها- ثم خبزت، فأتيت النبي (عليه الصلاة والسلام) فأخبرته، فقال: كلوا فإنه رزق رزقكموه الله عز وجل" (179)، والراجح أنها عاشت حياة بسيطة ومتعبة لما لاقتة من قلة المال بسبب انشغالهم بالدين، والآخرة، وعزوفهم عن الدنيا، وملذاتها فيقول الشاعر:

يَا لَعَيْنِي لِلْحَيَاةِ النَّاعِمَةِ
لَمْ تُورِّقْهَا الشُّجُونُ
الدَّائِمَةُ
إِنْ بَكَتْ تَبْكِي بِعَيْنٍ بِاسِمَةٍ
هِيَ ذِي أُمِّ أَبِيهَا
فَاطِمَةُ (180)

ويصور الشاعر الحياة الصعبة للسيدة (فاطمة الزهراء) وما عانتها في حياتها، فكانت حياتها بسيطة هادئة، واستخدم الشاعر أسلوب الاستغاثة الذي يخرج إلى معنى التعجب، أي كيف كانت تعيش بهذه البساطة السهلة، وهذا من صفات الصالحات الزاهدات بالدنيا وما فيها من نعيم وتطلب ما عند الله من النعيم المقيم الدائم في الآخرة، ويصف لنا الشاعر حياتها بأنها كانت مستقرة لم يورقها الحزن أبداً فكانت حياة هادئة بسيطة، فلم تقلقها الأحزان، ولا المصاعب، والمصائب المتشعبة، ومع كل تلك الأحزان والمصاعب هي تعيش عيشة سهلة بسيطة، ويقول الشاعر: إذا ألم بها خطب أبكاها فهي تبكي وعينها باسمه لا تظهر الحزن أبداً؛ لأنها قدوة للنساء الأخريات، فيجب أن تُظهر القوة

(179) الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، 86.

(180) حكمت، أحفاد الرسول، 17.

وتواجه المصاعب، وتكابد الآلام، ومتفائلة بالمستقبل محتسبة صابرة تبغي أجراها من الله العلي القدير، وكان (عليه الصلاة والسلام) يناديها بأُمّه، وهذه كناية لشدة حبه لها فهي من أحب البنات على قلبه، وفي ذات يوم قال سيدنا علي لفاطمة الزهراء: "قد جاء أبوك ببعض السبي فاذهبي إليه واسأليه خادما يساعدنا في عمل البيت، وكان صدرها يؤلمها من العمل، وطحن الحنطة، فذهبت إلى أبيها، وسألها النبي (عليه الصلاة والسلام) ما جاء بك قالت: فاستحييت أن أسأله خادما فقالت: جئت أسلم عليك، فذهب علي وقال له ما يعانوه" (181)،

فقال (عليه الصلاة والسلام): ألا أخبركما بخير مما سألتما؟ قال: بلى فقال: "كلمات علمني هن جبريل عليه السلام، فقال: تسبحان دبر كل صلاة عشرا، وتحمدان عشرا، وتكبران عشرا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحان ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين فهو خير لكما من خادم" (182).

وكانت (فاطمة الزهراء) ريحانة النبي (عليه الصلاة والسلام)؛ لأنها أخرج أولاده يرضى إذا رضيت، ويسخط إذا سخطت، ولكن حنانها إلى أولادها وزوجها لم يحل دون تحمل المسؤولية، والقيام بأعمال البيت، فقد روى أنها كانت "تقوم وحدها بصنيع بيتها لا يعينها في أكثر أيامها أحد، وكانت تضمد جراح أبيها (عليه الصلاة والسلام) في غزوة أحد" (183)، ودخلت على النبي (عليه الصلاة والسلام)،

"في مرضه الذي توفي فيه فأسر لها فبكت، ثم أسر لها فضحكت، وكانت (عائشة) ترى ذلك فقالت في نفسها: كنت أحسب لهذه المرأة فضلا على النساء فإذا هي واحدة منهن بينما هي تبكي إذ هي تضحك، فلما توفي الرسول (عليه الصلاة والسلام) سألتها عن ذلك

(181) الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، 87.

(182) مسلم "الذكر والدعاء والتوبة" 19.

(183) عبد الرحمن رأفت الباشا، صور من حياة الصحابييات، (القاهرة: دار الأدب الإسلامي، 1996)، 37.

قالت: أسر لي فأخبرني أنه ميت فبكيت، ثم أسر لي أني أول أهل بيته لحوقا به فضحكت" (184).

وتبين في المبحث الثاني من الفصل الثاني أن الشاعر بدأ بإيضاح مفهوم الصحابي، وكيف تربوا في المدرسة النبوية، وكيفية الإفادة من تلك الشخصيات القدوة، ومعرفة أهم الأعمال التي قاموا بها وصفاتهم الأخلاقية والتربوية التي تربوا عليها في المدرسة النبوية التي يمكن من خلالها بناء الشخصية الإسلامية، ويتبين من كلام الشاعر أنه اختار أولئك الرجال الذين يصدق عليهم تسمية الشخصية الإسلامية القدوة، التي يمكن أن نبي شخصية أبنائنا من خلال أعمالهم وأقوالهم، فهكذا شخصيات تستحق أن نطلق عليها الشخصية الإسلامية القدوة بكل ما للكلمة من معنى؛ ولما قدمته من أعمال في سبيل الله، فتربوا في كنف النبي (عليه الصلاة والسلام) فلم يكن ذلك ضربا من الخيال، بل هو حقيقة واقعة، فهذه أهم الجوانب الإيجابية المهمة في الشخصية المثالية القدوة التي تناولها المبحث، التي تستحق أن يطلق عليها تسمية الشخصية الإسلامية والاقتداء بها.

الفصل الثالث

3: الشخصيات غير المصرح بها في شعر حكمت صالح.

توطئة

أجاب هذا الفصل عن الشخصيات المسلمة غير المصرح بها في شعر الشاعر (حكمت صالح) وتضمن الفصل دراسة وتحلل أشعاره، ومنها شخصية الفقير المسلم، والمؤثرات التي تؤثر في بناء شخصيته بسبب الفقر، وكيف يمكن

(184) (الباشا، صور من حياة الصحابييات، 44).

الإفادة من الشخصية الإسلامية القدوة في بنائها وتوجيه سلوكها بما يخدم الإسلام، وتضمن الفصل شخصية الطفل المسلم ونشأته وبناء شخصيته، من خلال اقتدائه بالشخصية الإسلامية القدوة وأخذ الدروس والعبر منها في مرحلة البناء وتقويم سلوكه، من خلال تحليل كلام الشاعر.

3.1 المبحث الأول: شخصية الفقير المسلم.

إنَّ الفقر من أكثر القضايا التي شغلت العالم والمنظمات الإنسانية العالمية في العالم، وما يعانيه الفقراء في العالم كافة، والعالم الإسلامي بخاصة، ويعد من أهم المشكلات التي تعاني منها المجتمعات في العالم، والتي حظيت بعناية بالغة من علماء الاجتماع؛ لأنها تؤثر تأثيراً مباشراً في شخصية الفقير، وما ينتج عنها من سلوكيات؛ ألا وهو الفقر وما يخلفه من آثار سلبية في شخصية الفقير، وشكلت هذه المشكلة إحدى المعضلات في عصر التكنولوجيا، والتطور، والتقدم في العالم، مما أخذت هذه المشكلة تؤرق كاهل الإنسانية جمعاء؛ لأنها أخذت بالازدياد يوماً بعد يوم، وبشكل لافت للانتباه؛ مما يؤدي ذلك الفقر إلى تأخر تطور المجتمعات، وتحسين وضعها الاقتصادي، والاجتماعي وكل ذلك؛ بسبب السياسات الرعناء للدول الرأسمالية.

وبسبب هذه الظاهرة أخذ الشاعر على عاتقه إنشاء قصائد تمس شخصية الفقير المسلم غير المصرح بها، التي تناولها بصورة عامة في شعره، ومعاناتها في العراق- بسبب الحصار الظالم المفروض عليها من قوى الشر في العالم- في ديوان (عودة أنهار الشمس)، وما يعانيه المسلمون في إفريقيا في ديوان سماه (على عتبة الجنة السمراء)، وأما الإسلام فقد جاء بتشريع نظام تكافلي؛ يكفل حق الفقير في الإسلام، ألا وهي الزكاة، إذ أنزل الله تعالى في كتابه الحكيم هذا التشريع لحماية وصيانة حق الفقير في أموال الأغنياء؛ التي وهبها الله لهم، وجعلهم وكلاء له في الأرض قال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَافَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ

السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ⁽¹⁸⁵⁾، وأخى النبي (عليه الصلاة والسلام) في الهجرة بين المهاجرين والأنصار، إذاً هو نظام تكافلي يصب في مصلحة الفقير.

مفهوم الفقر: "يعد الفقر من المفاهيم المجردة والنسبية التي تحاول وصف ظاهرة اجتماعية واقتصادية بالغة التعقيد والتشابك من جهة، وباختلاف المجتمعات، والأزمنة التاريخية، وأدوات القياس من جهة أخرى، واختلاف الخلفيات الفكرية، والأخلاقية لدراسته من جهة أخرى"⁽¹⁸⁶⁾. ولعل هذا ما يفسر عدم التوصل إلى تحديد علمي للفقر، وقد عرفه علماء الاجتماع على أنه "الحالة التي لا يكفي فيها دخل الأسرة في إشباع حاجاتها الأساسية؛ للمحافظة على بنائها المادي والنفسي والاجتماعي، وله نتائج خطيرة على الصحة السائدة في حياة الأسرة، وما يتوفر لها من فرص التعليم"⁽¹⁸⁷⁾.

والراجح أن الفقير هو ذلك الشخص الذي لا يملك الغذاء الكافي له ولأسرته، وتدني حالته المعاشية، والصحية بسبب الفقر وغلاء الدواء، والغذاء، وينخفض عنده المستوى العلمي، ورداءة السكن، والحرمان من امتلاك أي سلعة ضرورية في استمرار حياته، ولا يملك أي أموال كافية قد يدخرها لوقت الضرورة، كالأمرض والأزمات التي تحقيق به.

وعرف ابن منظور الفقير وقال: "الفقير الذي لا شيء له، والفقير الحاجة وفعله الافتقار والنعث الفقير"⁽¹⁸⁸⁾، ومن الملاحظ أن الفقير لا يستطيع أن يسد احتياجاته لامن الغذاء، ولامن السلع الضرورية الأخرى، فهو معدوم ومحروم من أبسط الحقوق التي يتمتع بها الإنسان في العالم. وتقول منظمة التنمية الدولية عن الفقير وتعدّه "الحالة التي يستطيع فيها الناس العيش فقط، حيث تكون

⁽¹⁸⁵⁾ التوبة، 60/9.

⁽¹⁸⁶⁾ عبد الرزاق الفارس، الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي، (بيروت: مركز دراسات الواجهة العربية، 2001)، 11.

⁽¹⁸⁷⁾ محمود حسين، الأسرة ومشكلاتها، (دب: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981)، 56-57.

⁽¹⁸⁸⁾ أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، (لبنان: دار صادر، 1949)، 60.

وجبة الطعام القادمة مسألة حياة أو موت، وإنَّ الآثار التراكمية لسوء التغذية والمجاعة؛ تضعف المجتمع وخاصة الأطفال؛ مما يزيد من معدلات وفياتهم مقارنة بغيرهم" (189).

وهذا ما حصل في العراق في ظل الحصار الظالم الذي فرضته عليه القوى الامبريالية في العالم؛ الذي أدى إلى آلاف من حالات الوفاة بين صفوف الفقراء، وما خلفه من آثار سلبية على المجتمع، وإفراز حالات الفقر الشديد في العراق، مما أثر ذلك في سلوك الفقير وظهرت بعض السلوكيات التي كانت غير موجودة سابقاً.

"وتشير إحصائيات البنك الدولي إلى أنَّ هناك نحو مليار شخص حول العالم يقل مستوى دخلهم عن دولار واحد في اليوم، وهناك أيضاً ما يقرب من (1,7) مليار شخص يعيشون في أماكن لا تتوفر فيها وسائل مناسبة للصرف الصحي، ومليار آخر من سكان العالم لا تتوفر لديهم وسائل الماء النقي، وهناك ما يقرب من (3,1) مليار من سكان العالم يتحملون تبعات استنشاقهم للهواء الملوث الذي يؤدي إلى انتشار الأمراض وحتى الوفاة" (190).

وكل هذه الحالات تشير إلى المعاناة والفقر المطلق حول العالم، إذ يمكن القول أنَّ الفقر هو عدم تمتع الفقير بما يحتاجه من غذاء كافٍ لإدامة الحياة، ناهيك عن الحاجيات الضرورية الأخرى، ويقول فاخر عاقل في موسوعته النفسية حول الفقر "هو فقدان شيء نحتاج إليه، كحرمان الجائع من الطعام والعطشان من الماء" (191)، وكان للإسلام دور فعال في تحديد أسباب الفقر وحددها بمصدرين:

"الأول سوء التوزيع، والظلم الاجتماعي؛ الذي يمارسه القائمون على الحكم، والثاني: عدم استغلال الطبيعة واستثمارها بشكل صحيح، بحيث لا يؤثر على حياة الآخرين، والإسلام لا يرى مشكلة الفقر في قلة الموارد الطبيعية، وعدم كفايتها لإشباع حاجات جميع الناس، وتلبية مطالباتهم، كما تذهب إليه الرأسمالية؛ لتبرير مساوئها المتمثلة في خدمة مصالح الأقلية، والعبث بمصير الأغلبية" (192).

(189) اندرو ويست، لسوسيولوجية التنمية، (بغداد: سلسلة المائة كتاب، 1986)، 24.
(190) إسماعيل سراج الدين، ومحسن يوسف، الفقر والأزمة الاقتصادية، (الإسكندرية: دار الأمين للنشر، 1989)، 155.
(191) فاخر عاقل، معجم علم النفس، (بيروت: دار العلم للملايين، د.ت)، 33.
(192) محمد الغروي، الفقراء في ظل الرأسمالية والماركسية والإسلام، (بيروت: دار المعارف للمطبوعات، 1981)، 95.

والراجح أنَّ المشكلة تكمن في انحياز القوة الرأسمالية المسيطرة على الثروات، وعدم توزيعها بشكل عادل على الناس، على الرغم من توفرها في الطبيعة، وقد سخر الله للإنسان إمكانيات كبيرة للعيش الكريم، قال تعالى: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)⁽¹⁹³⁾، نستخلص من كل ما سبق أنَّ الفقير: هو الشخص المعدم الذي لا يستطيع أن يؤمن قوته، ولا قوت عائلته، مما يؤثر ذلك سلباً في تكوين شخصية الفقير، وإنَّ المؤمن لا يتقبل الحياة على علاقتها؛ ولكن وجب عليه أن يضع الحلول المناسبة لمعالجة المشكلة.

ويبدو أنَّ الشاعر استطاع أن يوضح معاناة الفقراء، ووصف حالهم ومعاناتهم؛ بسبب الفقر، وتوثيق هذه المعاناة شعراً؛ لكي تصل إلى العالم فهذه جزء من الرسالة الإنسانية للشاعر المسلم؛ لأنَّ الشعر الإسلامي يمتاز عن غيره بأنَّه يصدر عن رؤية إسلامية، وي طرح التصورات الصحيحة وفقاً لذلك، كما أنَّه يعالج قضايا الإنسان، والحياة، والطبيعة، والعالم، بمنظور إسلامي متبعاً أساليب فنية مؤثرة، وهو بذلك يكون شاهداً على ما يدور في العالم الإسلامي، وفضح مخططات الغرب بادعائهم حقوق الإنسان، فهم أول من ينتهك حقوق الإنسان في العالم ولكنها ادعاءات مزيفة تفضحها الممارسات غير الأخلاقية تجاه الشعوب الفقيرة، وما فعلوه بالعراق كان خير دليل على ادعائهم الكاذب.

ويصور الشاعر معاناة تلك الأزمنة الغابرة في العراق، التي طالت الفقراء زمن الحصار الظالم؛ الذي طال كل مرافق الحياة فلم يسلم منه أحد، وأثر بدوره على الطبقة الفقيرة بخاصة، بينما الأغنياء لم يتأثروا به كثيراً، فهذه الحرية المزيفة التي ينادي بها الغرب، وحقوق الإنسان المنتهكة أمام أعين الناس في العالم فعن أيِّ حقوق يتحدثون؟

(193) آل عمران، 92/3.

وكان الشاعر (حكمت صالح) يعالج قضايا التمييز العنصري من خلال أشعاره، ويبين مأساة المسلم الأسود في إفريقيا ويقول الأديب أحمد إبراهيم: "إنَّ الشعر الإسلامي يحمل رسالة إيمانية هادفة، والشاعر ملزم بكلمة التقوى، فيجب عليه الارتقاء إلى مستوى المسؤولية، فهو يحرص على أن يوازن خطابه بين توصيل المضمون الذي تضمنته الرسالة الأخلاقية، وبين ترسيخ القيم والمبادئ بالدعوة إلى الله وبين جمالية الشكل الفني"⁽¹⁹⁴⁾. إذا يمكن القول أنَّ الشعر الإسلامي يمتاز بالالتزام بالقيم والمبادئ، والأخلاق الحميدة في عرضه للشعر الإسلامي، فنجدته متفائلاً يسعى إلى إشاعة السكينة وروح الطمأنينة، بغرس جذور الإيمان في النفوس المحبة، ويعالج أيضاً مشاكل الإنسان، وعلى الرغم من التناقضات في المجتمع.

"إنَّ المؤمن لا يتقبل الحياة على عاهاتها، ومساحاتها المعتمدة، وبقعها الموحلة، ولما كان الشاعر أرهف إحساساً بما تحدثه أيادي السنين من تشويه لنسيج الحياة، وتكدير لدمائها النفيسة، ومسح لوجهها النقي الأصيل؛ فإنَّ الشاعر لم تعجبه - وكثير في وجدانه اللهفة، والتوق، والنبض اللطيف المموسق لإيقاع الحياة - إلا صورة الحياة الحرة الكريمة في ظلال الحق، سواء كانت صورة مرتسمة على صفحات تاريخنا الوضاء؛ أم كانت صورة شاخصة ماثلة من صور واقعنا العتيد الذي يتمخض في كل لحظة عن مولود نور"⁽¹⁹⁵⁾.

ويذهب الشاعر إلى تصوير معاناة المسلم الفقير في العراق في قصيدة يوميات في سفر الفاقة من ديوان عودة أنهار الشمس، "سفر الفاقة أليم المشاهد، حزين الصور، مأساوي اللقطات، فإنَّه حافل بمقطوعات شعرية ترسم لوحات لأغنياء التعفف؛ الذين يتأكلون بصمت، وينزفون بوجع مكبوت، ويتحسرون على وجود الأثرة، والقسوة، والسرف، والنزف، في قطاعات اجتماعية متخمة؛ كفرت بأنعم الله، وتنكرت لشريعته الاجتماعية العادلة؛ فهم الذين يدفعون ثمن جحود هؤلاء ولا أبايتهم، وهم يموتون في كل نازلة تنزل، وفتنة تحل؛ بما كسبت أيدي هؤلاء"⁽¹⁹⁶⁾.

ويطالعنا الشاعر في قصيدته (يوميات في سفر الفاقة) وهو يصف حال المسلم الفقير الذي أصبح يصد البرد ب صدره العاري وجسمه الهزيل ولم يملك

⁽¹⁹⁴⁾ أحمد إبراهيم آل خميس آغا، دراسات نقدية في ديوان الإبحار في ماء الموضوع، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2011)، 149.

⁽¹⁹⁵⁾ محمد رشدي عبيد، "محاوَر من الشعر الإسلامي المعاصر"، مجلة المنعطف 11، (1995)، 63.

⁽¹⁹⁶⁾ محمد رشدي عبيد، "محاوَر من الشعر الإسلامي المعاصر"، مجلة الإيمان 17-18، (2004)، 91.

أي شيء، ويقول جردوني من أبسط الأشياء التي يحتاجها الإنسان الحر الكريم،
وجعلوني عاريا في الشتاء ويقول:

بَاعُوا ثِيَابِي
عَارِيًّا أَصْبَحْتُ
لَمْ أَمْلِكْ سِوَى مَهْرِي وَلَوْ دَمِي
وَطَبَعْتُ كَفِّي
بَصْمَةُ الْحِنَاءِ ضَمَخَهَا احْمِرَارُ النَّارِ وَالْأَلَمِ
فَقَلَّوْنَتْ قَسَمَاتُ أَوْجُهِهِنَّ
وَانْحَسَرَ الشُّحُوبُ مَعَ الْمَسَاءِ
صَارَتْ ظِلَالُ النَّارِ لِلْعُزِيِّ الرَّدَاءِ
وَعَمَامَةٌ سَوْدَاءُ بَدَّدَهَا بُرُوقُ
فِي انْعِكَاسَاتِ الْمَرَايَا وَالضِّيَاءِ⁽¹⁹⁷⁾.

ويصف الشاعر حال الفقيرة من النساء التي لم يبق لها أي شيء من
مستلزمات الحياة، وحتى الثياب تمزقت وأصبح جسمها مكشوفاً بسبب الفقر،
ولم يبق لها إلا شرفها التي تحافظ عليه بكل قوة، وأصبح لون كفيها مثل لون
النار أي اللون (الأحمر) من البرد، ويقول أن النار أصبحت للفقير رداء يتدفأ به
من قلة الثياب، وتنتظر الفرج من صاحب الفرج، وتحسب أن هناك خيراً قادماً،
أو أحداً يجلب لها الطعام ولكن كلها تخيلات وانعكاسات تذهب أدراج الرياح،
ولاشيء يلوح في الأفق.

وينتقل إلى مشهد آخر من المشاهد المؤلمة، ويصور لنا معاناة الفقراء في
تلك الأزمنة الغابرة، وهو يتلفت يمينا وشمالا، باحثا عن الأمل الذي ينقذه ويسد
جوعه ويقول:

فِي زَوَايَا الْأَرْضِ أُسْتَلْفُ الرِّيحَ
أُبْحَثُ الْيَوْمَ عَنِ الْكَنْزِ الدَّفِينِ
فِي صُخُورٍ تَنْبُتُ الصَّفَصَافُ مِنْ بَيْنِ الشُّقُوفِ

⁽¹⁹⁷⁾ حكمت صالح جرجيس، "اليوميات في سفر الفاقة"، مجلة المشكاة 21-22، (1995)، 148.

أَعْيُنِي صَارَتْ قَنَادِيلَ بَرِيقٍ
مِنْ مَوَاوِيلِ الْحَزَائِي؛ وَهِيَ تَرْتَادُ الْبِطَاحَ⁽¹⁹⁸⁾.

ويعصف الشاعر حال رب الأسرة وهو مثقل كاهله؛ من أعباء الحياة ومتطلبات الأهل، فهو يتنقل في الأرض بحثاً عن أي شيء يأكله، ويبحث بين الصخور من شدة الألم فوصف حاله كالذي يبحث بين الصخور لعله يجد ما يسد جوع أهله، والصخور كناية عن قسوة الأغنياء تجاه الفقراء وتحجر قلوبهم، وعيونه من كثرة البكاء والتحسر شبهها بالقناديل؛ لأنها دائماً تبكي بسبب الألم والحزن، فهو مجبر على أن يبحث في البطاح لعله يجد شيئاً، فهذه صورة مألوفة في زمن الحصار؛ مما أثر ذلك سلباً في شخصية الفقير ودفعه إلى فعل سلوكيات يرفضها الدين والمجتمع.

ويطالعنا الشاعر ليصف مشهداً آخر من مشاهد الألم؛ الذي يعتصر القلب منه وهو مشهد واقعي نراه في بعض البلدان الفقيرة، يصور سيارة مجهولة - قد تكون من سيارات الإغاثة الدولية- تحمل طعاماً أو خبزاً، فنشاهد تزاحم الناس حولها؛ لأنهم جياع لينالوا منها كسرة خبز، وهم يعيشون على أرض مباركة مليئة بالخيرات، والثروات، والمياه، ولكن هناك من اصطنع هذه الأحداث؛ لكي يضعف هذا الشعب الأبى المسكين، ويذله بسبب سياسات رعاء ليس له فيها لا ناقة ولا جمل، وهذه الأوضاع كتبت على الفقراء أن يقتاتوا خبز الذل، وتسحق أكتافهم في زحمة التوزيع، بينما تمرق سيارة متبختره بفخر استفزازي مقيت⁽¹⁹⁹⁾، فيقول الشاعر:

تَسْتَوْقِفُنِي قَبْلَ الظُّهْرِ الصُّورَةُ
الْأَذْرُعُ تَمْتَدُّ.. تَطُولُ
الْأَكْتَاْفُ تُغْرِبُهَا الزَّحْمَةُ
يَتَبَاكِي الْأَطْفَالُ
انْفَضُّوا.. انْفَضُّوا

⁽¹⁹⁸⁾ حكمت، "يوميات في سفر الفاقة"، 148.

⁽¹⁹⁹⁾ محمد رشدي عبيد، "محاور من الشعر الإسلامي المعاصر"، 90.

تَنْبَخْتُرُ فِي الشَّارِعِ سَيَّارَةً
آخِرُ مَا يَبْدُو مِنْهَا رَقْمٌ أَبْيَضُ
وَرَغِيْفٌ يَتَدَحَّرُ فِي الشَّارِعِ⁽²⁰⁰⁾.

فهذا مشهد آخر أليم من تلك المشاهد التي وصمت وجه التاريخ بالعار؛ من الذين ينادون بحقوق الإنسان حتى بحت أصواتهم، وعندهم الحيوان له حقوق، وحقوقه مصانة عندهم؛ ولكن الإنسان المسلم كرامته ودمه مهدوران، فالشاعر يصور لنا هذا المشهد من شدة الزحام على سيارات الإغاثة الدولية؛ بسبب الفقر والجوع، فترى الأكتاف متزاحمة؛ لأجل الحصول على لقمة العيش فهذا مشهد أليم حقا .

ويرسم الشاعر هنا صورة أخرى من صور الجوع المقرون بالرعب والخوف من القتل وقسوة الطبيعة، "فالجوع يمزق الأمعاء، والمطر يبيل الثياب ويخترقها حتى الجلد.. والرهب يربك الشعور، ويشتت الأمن، ومطر النار الممزوج بنكهة الثلج وإسفلت الشوارع، يتحول إلى بركان يغلي يهشم الفكر، ويفجر أعمدة الذاكرة"⁽²⁰¹⁾ ، ويقول:

إِنَّهُ الْجُوعُ الَّذِي يَكْتَسِخُ الْيَوْمَ
نُسَيْمَاتِ الْمَرَاعِي وَالْمَرَاعِ
طَارِدَتْهَا وَخَشَةُ الرُّعْبِ وَأَشْبَاحُ الْوَهْنِ
قِرْمِزِيًّا كَأَنَّ صِرَاحُ الْمَدْنِ
مَطَرُ النَّارِ شَائِبٌ تَرَامَى
فِي اللَّيَالِي الْمَاطِرَةِ
مَنْحَنُهُ نَكْهَةُ الثَّلْجِ وَإِسْفَلَتِ الشُّوَارِعِ
صَارَتْ الْأَمْطَارُ بُرْكَانًا تَعَالَى حُمَمًا فِي الذَّاكِرَةِ⁽²⁰²⁾

ويصف حال المدن التي رزحت تحت مطرقة الحصار، ويقول هذا هو حال الفقير الخائف من المجهول والمرباع جفت ولم تعد تنتج؛ لأنَّ الحصار طال كل شيء حتى حليب الأطفال لم يسلم منهم، وحتى المرباع أصابها الحصار

⁽²⁰⁰⁾ حكمت، "يوميات في سفر الفاقة"، 148.

⁽²⁰¹⁾ محمد رشدي عبيد، "محاور من الشعر الإسلامي المعاصر"، 90

⁽²⁰²⁾ حكمت، "يوميات في سفر الفاقة"، 149

والوهن حالها حال الإنسان، وكنى الشاعر صراخ المدن باللون القرمزي من شدة الألم، والحزن، وإنَّ الأمطار الشديدة لا تجدي نفعاً؛ لأنَّ الأرض أصابها الحصار أيضاً، ويسترسل الشاعر ليصور مشهداً آخر من مشاهد البؤس ويصور لنا الفقير المطارد، الشاحب، الهارب من خوفه ويستل سيفه ليقا تل وينتقم من الذين أوصلوه إلى هذا الحال، فهو متعب جداً لا يتوانى عن فعل أي شيء من شأنه أن يسد رمق جوع أهله الجياع المنهكين؛ بسبب الفقر ويقول الشاعر:

رَاحَ يَسْتَلُّ مِنَ الْجُعْبَةِ سَيْفَهُ
ثُمَّ يُخْفِي فِي مَهَاوِي الْعُنْفِ خَوْفَهُ
لَمْ يَغْدُ قَامُوسُهُ يُعْطِي دَلَالَاتٍ لِأَلْفَاظِ الْخُنُوعِ
رَتَّقَ الْأَكْفَانَ

يَسْتَأْقُ مَعَ النَّوْرِسِ؛ تَرْزِيمَ الْكَرَامَةِ⁽²⁰³⁾.

وها هو يبين حال الفقير إذا ما استل سيفه، فسوف لا يهاب الموت، وهو مطارد شاحب لونه هارب من خوفه متقلدا سيفه ليقا تل وينتقم ويمزق الأكفان؛ لأنَّه لا يعود يملك أي شيء يخاف عليه، وليحارب الظلم والجوع؛ ولكنه لا يقوى من شدة الفقر الذي ألم به، وبعد أن وصل إلى مرحلة النهاية، وهي أن يموت ويمزق الأكفان، ولا يهتم للموت لأنَّه ميت فعلاً، يريد الكرامة والعيش الرغيد مثل النوارس، ويصور لنا الشاعر حال الفقير لا يستطيع مقاتلة الفقر؛ لكي ينبت الخير وباقات الخزامى في ثنيات الوجود فيقول:

أُنْبَتَ الْخَيْرَ.. وَبَاقَاتِ الْخُزَامَى
فِي ثَنِيَّاتِ الْوُجُودِ، أَطَّرَ الصُّورَةَ بِالْعِزِّ
عَلَى بَوَابَةِ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ⁽²⁰⁴⁾.

ويقول الشاعر كل فعله ذلك بسبب أن ينبت الخير من جديد في ربوع الأرض ويحل الرخاء، ويزهر زهر الخزامى الذي استعاره الشاعر للخير

⁽²⁰³⁾ حكمت، "يوميات في سفر الفاقة"، 149.

⁽²⁰⁴⁾ حكمت، "يوميات في سفر الفاقة"، 149.

الوفير الذي فيه الشفاء من كل العلل، وهذه صورة مغايرة لسابقتها يصور لنا فيها صورة عزيزة من الرخاء والوفرة على بوابة العيش الرغيد؛ الذي يطمح إليه، ويمضي الظالمون دون إشارة إلى المواجهة المحتدمة.

وتناول الشاعر المجتمع وهمومه ومشكلاته وواقعه، التي صورتها قصائد ديوانه (الأمطار السوداء) فوقف "مجسداً فيه معاناة الشعب العراقي أيام الحصار الظالم الذي فرض عليه، ولعل الذي يريد أن يطلع على أوضاع العراق في ذلك الزمن عليه أن يقرأ ديوان الأمطار السوداء"⁽²⁰⁵⁾، فهو تصوير مؤلم لما جرى في العراق في زمن الحصار من قتل وتجويع وتشريد شعب بأكمله، ويصور الشاعر تلك الحالة قائلاً:

أغلقَ بَابَ العُرْفَةِ الْمُعْتَمَةِ الكَنِيَّةُ
بَعْدَ مَسَاءٍ لَيْلَةٍ يَخْنُقُهَا اليَأْسُ
بَلَا عَنَاءُ
وَالضَّجَرُ المَقِيْتُ
وَاللَّيْلُ الَّذِي يَعْجُجُ بِالْعَوَاءِ⁽²⁰⁶⁾.

ويصور الشاعر الليلي الموحشة الصعبة التي عاشها فقراء العراق وكيف كانوا يقضون ليلهم بالخوف والجوع وانقطاع الكهرباء بسبب القصف الوحشي على المنشآت الخدمية، ووصلوا إلى درجة اليأس من تلك الظروف المقيتة الصعبة، ويبدو أن الحصار طال حتى الحيوان، فإن كان العواء حقيقياً يعكس أثر الحصار على الحيوان أيضاً، وجاع كما جاع الإنسان، وإن كان مجازاً فهو يدل على بكاء الأطفال وعويل النساء؛ من سوء الحال وانقطاع الكهرباء، في الليلي الحالكة الباردة، وقلة الغذاء الذي لا يكاد يسد الجوع، وينتقل بنا الشاعر إلى صورة أخرى من صور إفرازات الحصار التي أثرت سلباً في تكوين شخصية الفقير فيصور لنا السراق واللصوص الذين يسرقون قوت الفقراء ويقول:

⁽²⁰⁵⁾ الجبوري، حكمت صالح سيرته ومرجعيات شعره، 42.
⁽²⁰⁶⁾ حكمت صالح جرجيس، ديوان الأمطار السوداء، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2003)، 28.

يَا زَمَانَ السَّبْيِ .. يَا سَارِقَ قُوتِ الْقَافِلَةِ
 قَدْ يَدُومُ الْبَحْرُ بِالرَّرْقَةِ
 قَدْ تَبَقَّى عُصُونُ مُورِقَةِ
 غَيْرَ أَنَّ الصَّفَقَاتُ
 وَشَابِيبَ الصُّرَاخِ
 تُعَدِّمُ الْيَوْمَ وَرَمِيًّا بِالرِّصَاصِ
 تَنْقُبُ الْفَاقَةَ جَيْبَ الْإِخْتِلَاسِ
 فَيَسِيلُ الدَّمُ مِنْ جُرْحِ الْقِصَاصِ⁽²⁰⁷⁾

وهنا تذكير للسارق الذين نهبوا الثروات، ويذكرهم بأنه يمكن أن تدوم زرقة البحر وكذلك خضرة الأغصان؛ ولكن السارق لا يمضي سالما ولا يدوم الظلم أبداً، وإن سرقة قوت الفقراء لا يمكن أن يستمر إلى الأبد، والظالم لن يسلم من ثورة الجباع إذا ما ثاروا ضده، إذا لابد أن يأتي ذلك اليوم الموعود وتتعدم الصفقات وتنتهي-الصفقات المشبوهة- ولولا هذه الصفقات المشبوهة ما كان للجوع أن يتمكن من الفقير، وسوف تمزق الفاقة المختلسين وسارقي الأقوات من الفقير، ولا بد أن يأتي اليوم الذي يثار فيه الفقير من شدة الصراخ والألم ويصرخ بوجه الظلم، ويحاسب من تسبب بهذا الوضع الأليم، وتسيل دماء القصاص من السراق، وفي النهاية يجب أن تمزق الفاقة جيب الاختلاس وهذه نتيجة حتمية في النهاية، يبين الشاعر حال الفقير في فصل الصيف وهو يصارع الحر الشديد الذي يؤدي الرئة من شدة حرّه ويقول:

بِشَطَايَا الرِّيحِ أُطَارِدُ ظِلِّي
 فِي أَقْبِيَةِ الْمَوْتِ الْأَبْنُوسِيِّ
 يَا فُقَرَاءَ الصَّحَرَاءِ التَّهْمُوا لَفَحِ الرَّمْلِ
 شُدُّوا بِالرَّيَّةِ الْمُتَهَجِّجَةِ الْأَنْفَاسِ
 وَحَيْفَ الرِّيحِ الصَّحْرَاوِيِّ⁽²⁰⁸⁾.

ويبدو أن الشاعر يريد أن يوصل هذه الرسائل إلى العالم وما يعانيه الفقراء في فصل الصيف وهم يحاولون أن يستظلوا بظلمهم؛ لأنه لا يوجد ما يستظلون به

⁽²⁰⁷⁾ حكمت، "يوميات في سفر الفاقة"، 150.

⁽²⁰⁸⁾ حكمت، "يوميات في سفر الفاقة"، 150.

غير ظلالهم، ويصف الشاعر الحالة المأساوية التي يعيشونها كالموت الأبنوسي وقصد به الموت الصعب الأسود، أي ليس موتاً اعتيادياً؛ ولكن فيه مرارة وقسوة، وهاهم الفقراء يتنفسون لفح الصحراء الحار الجاف، ويقول أن هذا الهواء الحار الجاف يصعب على الرئة الانتفاع به، فهو بالنهاية سوف يعرض حياة الفقير للخطر.

وها هو الفقير لا يعلم ماذا يفعل بهذه الحالة الصعبة؛ ولكنه يتحملها؛ لأنَّ الجوع أمرٌ من هذه الظروف، ويحلم بكسرة خبز وينتظر في باب خيمته أو داره المهدم ويمضغ شفاهه ويواصل رحلته المتعبة⁽²⁰⁹⁾ مع حاله ويقول:

حَلِمْتُ بِكَسْرَةِ خُبْزٍ عَلَى عَتَبَةٍ

مَضَغْتُ شِفَاهِي

وَوَاصَلْتُ رَحْلَتِي الْمُتَعَبَةَ⁽²¹⁰⁾.

وهذا هو حال الفقير المعدم الذي لا يطلب أكثر من كسرة الخبز لتدوم حياته، ويبقى يمضغ شفاهه ويتمنى لو يأتيه أحد بما يأكله ويسد رمقه؛ لأجل مواصلة رحلته الصعبة المتعبة، ويقول الشاعر إنه سيستعيد قواه وعافيته، ويشتر نزع قلبه، وتهب عليه رياح التذمر، وتراه يزفر بشدة مما هو فيه وإنه في النهاية يستسلم لربه الذي لا ينساه ويفوض أمره إلى الله ويلتجئ إليه بالطلب أفضل من التجأه بالطلب إلى الإنسان الذي لا يرحم ويقول:

رُؤْيَدَكَ كَيْ اسْتَعِيدَ قَوَايَ

وَأَشْتَارُ ثَانِيَةً نَزَفَ قَلْبِي

فَتَنْشَقُّ عَنْهُ رِيَّاحَ التَّذْمُرِ

تَحْدُو أَعَانِي الرَّفِيرُ

تَخَفُّفُ عَنِّي وَخُشَّةَ دَرْبِي

إِلَى اللَّهِ رَبِّي

وَبَيْنَ الضُّلُوعِ نَقَاءَ الضَّمِيرِ⁽²¹¹⁾.

⁽²⁰⁹⁾ محمد رشدي عبيد، "محاوَر من الشعر الإسلامي المعاصر"، 92.

⁽²¹⁰⁾ حكمت، "يوميات في سفر الفاقة"، 150.

⁽²¹¹⁾ حكمت، "يوميات في سفر الفاقة"، 150.

وها هو يستعيد قواه من جديد ويرى قلبه النازف الذي ذهب عنه التذمر من هذا الوضع البائس، ويستسلم لأمر الله وقدره مناجيا ربه مطمئنا إلى عدالة الله، ومرتاحا لنقاء ضميره لأنه لم يظلم أحدا، بعد أن ألتمت به الملمات؛ وأصابه الجوع وتمكن منه، يحاول أن يستعيد قواه الخائرة من قلة الطعام؛ بسبب الفقر الشديد؛ ولكن إيمانه بالله وثقته بربه بأنه لن يضيع حقه ويعود إلى خالقه، ويدعوه وهو يعلم أنه الرزاق ذو القوة المتين، ولا ينسى عباده حاشاه من النسيان، فيوكل أمره إليه ويطلب المساعدة منه؛ بسبب ضميره النقي الذي لا يحمل الحقد والكراهية لبني جلدته، على عكس أولئك الذين تسببوا بفقره وجوعه هو وعائلته ومنعوه أبسط حقوق العيش ألا وهي الخبز، وينتقل الشاعر إلى مأساة جديدة من المآسي التي عاناها الفقراء في زمن الحصار ويقول:

الطُّبُّ فِي مَدِينَتِي
كَغَيْرِهَا مِنْ مَدُنِ الْعِرَاقِ
يَعْتَصِرُ الْأَنْيُنُ
وَيَبْتَنِّي مِنْ دَمِنَا الْمُرَاقِ
فَوْقَ سَدْيَةِ الْمَحَاقِ
طَوَائِقُ الْعِمَارَةِ⁽²¹²⁾.

ويبدو أن الشاعر يريد أن يصور الوضع المأساوي في ذلك الزمان، وأن الطب أصبح تجارة، وقد خرج عن إنسانيته، وكل العراق حاله واحد، ويغص القلب بالحزن؛ بما حل بنا من تجارة مهنة الطب الإنسانية؛ بحيث تكسب بعض الأطباء من جراء تلك الأزمة وأصبحوا أغنياء إلى حد التخمة، وعمرؤا القصور والعقارات وكل ذلك بدماء الفقراء، وعلى أكتافهم شمخت هذه القصور والعمارات، ويعود الشاعر ويسرد أبيات قصيدته ويقول:

الطُّبُّ فِي مَدِينَتِي إِلَهُهُ التُّقُودُ
صِرَاطُهُ يَرْدِي الْفَقِيرَ الْمَعْدَمَا
هَلْ يَمْتَرِي الْفَقِيرُ مِنْ آلَامِهِ دَمًا؟

(212) حكمت صالح جرجيس، "الطب في مدينتي"، جريدة الثورة العراقية 508، (1970)، 6.

فَالطَّبُّ فِي مَدِينَتِي عَهْدُهُ تِجَارَةٌ⁽²¹³⁾.

إذا أصبحت هذه المهنة الإنسانية التي فيها إنقاذ لأرواح الناس إلى تجارة بالأرواح، وانحرفت عن مسارها الإنساني الصحيح، وأصبحت مهنة للتكسب حالها حال التجارة بالبضائع، أي أصبح الفقير بضاعة للتكسب والتجارة، وهذه رسالة يرسلها الشاعر إلى العالم مفادها، أن الطب أصبح تجارة بحتة؛ لأنَّ الفقراء لا يملكون قوت يومهم، ومعرضين أكثر من غيرهم إلى الأمراض بسبب حالة الفقر التي عصفت بهم.

وفي قصيدة نغمات على قيثاره الريح من ديوان الشاعر حكمت صالح (عودة أنهار الشمس) يصف المعاناة والجوع والتشرد بسبب القصف الأمريكي، ودول التحالف على العراق (1991) ويقول:

هُوَ الْجُوعُ قَيْثَارَةٌ دُونَمَا وَتَرٍ

شَدَّ لَحْنَ الْحَيَاةِ

إِذَا بُحَّتِ الْحُنْجَرَةُ

بِلَيْلَاءٍ تَغْبِثُ؛ كَالْأَخْطَبُوطِ بِحَلْقِ الْمَدِينَةِ

فَكَيْفَ يُغْنِي الصِّغَارُ⁽²¹⁴⁾.

ويبدو أنَّ الشاعر يصف مشهد الجوع والفقر في تلك المدة الغابرة، وكأنَّه لحن يعزف في كل بيت وشبهه بالقيثارة التي تعزف، وأراد الشاعر بذلك الجوع الذي أصبح مصاحباً للفقير وأصبح مثل القيثارة التي لا تتوقف عن العزف، أو لعله اتخذها رمزاً لتوقف الفرحة؛ لأنَّها من دون وتر، ويقول هذا هو حال الفقير يتطلع إلى مَنْ ينقذه من الجوع، وأصبح الجوع لحن الحياة مثل الأخطبوط يمد أذرعه في كل مكان، ولم يسلم أحد منه فكيف يفرح الصغار؟ "فها هو الجوع يتحول إلى أَلَم صامت أخرس في نوات المساكين كقيثارة بلا وتر"⁽²¹⁵⁾. يعزف عليه الفقير، ومن ثم يدعو الشاعر إلى إيجاد حل، ويدعو إلى تأميم مهنة الطب، ويعود بالتضرع إلى الله؛ لكي ينقذ الفقراء من بين تجار الحروب ويقول:

⁽²¹³⁾ حكمت، "الطب في مدينتي"، 6

⁽²¹⁴⁾ محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، (الموصل: منشورات البراق الثقافية،

2008)، 85.

⁽²¹⁵⁾ محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 92.

حَتَّامٌ يَبْقَى الْحَالُ فِي مَرَابِضِ الْجَشَعِ

أَهْذِهِ شَرِيعَةُ الْحَضَارَةِ ؟

أَمْ أَنَّ (جَالِينُوسَ)

اتَّخَذَ الطِّبَّ لَهُ تِجَارَةً ؟

رُحْمَاكَ هَلْ لِلطِّبِّ أَنْ يُؤَمِّمًا ؟

فَالطِّبُّ فِي مَدِينَتِي عَهْدُتُهُ تِجَارَةٌ⁽²¹⁶⁾.

ويبدو أَنَّ الشاعر يستتجد بمن بيديه الأمر، ويسأل الله أَنْ يهدي المسؤولين إلى تأميم مهنة الطب؛ لأنَّها انحرفت عن مسارها الإنساني، ويقول إنها شريعة الحضارة أي أَنَّ هذه ضريبة الحضارة التي يدفعها الفقير من دمه، ويسأل إلى متى يبقى هذا الحال على ما هو عليه، ويبدو أَنَّ الشاعر أصبح متشائماً كثيراً مما يعانیه أهل المدينة من الفقراء؛ من جراء الحصار ويرى أَنَّ كلماته تهرب منه ولا تسعفه في وصف حال إخوانه الفقراء، ولا يستطيع أَنْ يقدم شيئاً لهم، إلاَّ أَنْ يصف حالهم ويوثق ما هم فيه في أشعاره ويقول:

عَلَى حَدِّ سَيْفٍ طَرَحْنَا الْمَصِيرَ وَوَجْهَ الْمَمَاتِ

فَمَاتَ الشَّقَاءُ؛ لِكَيْ تُسْعَدُوا

شَرِيعَةُ غَابَ إِذْ مَا تَرَدَّى الْفَقِيرُ

وَزَيْفُ أَسَاطِيرٍ، أَيُّ مَعَانٍ لِهَٰذِي الْحَيَاةِ

إِذَا جَاعَ فِيهَا الْفَقِيرُ⁽²¹⁷⁾.

ونلاحظ أَنَّ الشاعر يصف مشهد حال الفقير الذي أصبح مصيره معلقاً على حد السيف الذي ينتظر الموت المحتم؛ لكي يعيش الأغنياء فيستفهم أيَّ شريعة هذه التي تزعمون؟ إذا جاع فيها الفقير، ونلاحظ أَنَّ الشاعر قد رفض هذه الشرائع التي لم ينزل الله بها من سلطان، وكفر بالشرائع التي تُخَلِّفُ الجوع والفقر والشقاء، ولا شك أَنَّها شرائع الإنسان وأهوائه، لأنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ

⁽²¹⁶⁾ حكمت، " الطب في مدينتي " ، 6.

⁽²¹⁷⁾ محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 84.

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ⁽²¹⁸⁾، وإنَّ شريعة الإنسان على عكس شريعة الله، تدعو إلى أن يكون المال بيد شريحة معينة وتتكسب على حساب الفقراء ليزيد غناها ويزداد الفقير فقرا، ويسترسل الشاعر بتصوير المشاهد المؤلمة؛ التي يعاني منها الأطفال ويعلم الشاعر بأنَّ هذا الحال يؤثر سلبيا في شخصية هؤلاء الأطفال ولعلمهم ينحرفون عن المسار ويقول:

طُيُورُ السُّنُونُو تَحُومُ جَوَارَ مَسَائِلَ حُزَنِ
بِسُوقِ الشَّهَامَةِ
وَتَبْكِي مَوَاسِمَ تَيْنٍ وَلَا مِنْ عِلَامَةٍ
قُلُوبُ الْأَيَامَى
تَخَطَّفُهَا الطَّيْرُ فِي قَرْيَةِ الْمُدَقِّعِينَ
فَحَالَتْ فَرَاغًا وَصَمْتًا⁽²¹⁹⁾.

فيقول الشاعر هذا حال الفقير وما آلت إليه ظروفهم الصعبة الموحلة، ويشبه الأطفال بطيور السنونو التي تبحث عن معاشها في سوق الشهامة فليس هناك شهامة، وتبكي الخير الذي ضاع منها، وترجو خيرا حتى وإن كان قليلا، ولكن ليس هناك فرج أو علامة تدل على الانفراج، فهاهم الأيامي يتخطفهم الموت وصوتهم لم يصل، ولعله قصد بلفظة (الأيامي) شريحة معينة من النساء الفقيرات، ويبقى الشاعر يتنقل بنا من مشهد إلى مشهد آخر أشد إيلا من قبله، ويبين حال الرجال الذين ضاق بهم الفقر ذرعا وهم يتلهفون إلى غمامة، أو غيث يبلى لهم هذه الأرض الجرداء؛ لعلها تنبت من جديد ويعم الخير ويتجدد الأمل بالحياة، ويتخلصون من الفقر المدقع، فليس هناك أمل إلا بالرجوع إلى الله وترفع الأيادي بالتضرع إلى خالقها؛ لعله يستجيب الدعاء، ويبدو أنَّ الشاعر يريد أن يحرض الفقراء على هذا الوضع المزري إلى رفض هذا الوضع واسترجاع الحقوق المسلوبة ويقول:

نَحْنُ الْفُقَرَاءُ نَشْتَقُ أَحْرَفَ هَذَا الْفَقْرِ

⁽²¹⁸⁾ النحل، 90/16.

⁽²¹⁹⁾ محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 86.

على حدّ الشُّفَرَاتِ
ونَحْطُ على شُرَفَاتِ قُصُورِ الشُّرَفَاءِ
وعلى الْحَدَقَاتِ الْمَرْمِيَّةِ
فَوْقَ الْإِعْلَانَاتِ الضَّوئِيَّةِ
في الطُّرُقَاتِ
نَحْنُ الْفُقَرَاءُ
مِنْ حَقِّ الْإِنْسَانِ يَنْشُمُ عَيْبَرِ كَرَامَةٍ
أَوْ فَيُثُورُ
قَسَمِ جِسْمِي
في أَجْسَامِ الْفُقَرَاءِ
يَا صَوْتًا يَدْعُو لِلثَّوْرَةِ كُلَّ الْفُقَرَاءِ! (220).

والراجح أنَّ الشاعر يدعو إلى الثورة ضد هذه المأساة وضد الظلم والفقر، وسوف يكون قدوتهم في تلك الثورة، ويكون في الطليعة إذا استجابوا لهذا النداء، ويشنفوا أحرف الفقر على حد الشفرات ويتخلصوا منه إلى الأبد، ويخطون إعلان ثورتهم ويجهروا بها في كل مكان؛ ليرى العالم ثورتهم المنتظرة، وهي أشبه بالإعلانات الضوئية التي تلفت الأنظار؛ ليتمكن الجميع من رؤيتها، وليتحقق العدل الاجتماعي وإنصافهم وانتشالهم من هذا الفقر، ويدعوهم بأن يصرخوا بأعلى أصواتهم بأننا ثرنا بسبب الفقر والجوع، ويقول هذا حق مشروع لكل إنسان أن يثور من أجل الكرامة، والعزة، واسترجاع الأرض التي استأثر بها الأغنياء والإقطاعيون، والمتنفذون، ويقدم جسده قربانا؛ ليكون لهم قدوة، ويكسر عندهم حاجز الخوف، وهو قدوتهم في هذه الثورة ضد الظلم، ومن ثم ينتقل إلى عرض حال الموظف الفقير الذي لا يملك قوت يومه؛ لأنَّ ما يتقاضاه من أجر لا يكفي في وسائل النقل، وإنَّ أثر المشي على الأقدام لن يكفي أجره لمدة عشرة أيام، فهذا هو حال الموظف الفقير مما أثر في شخصيته وأصبح مهانا بسبب طلب الحاجة ويقول الشاعر:

جَرَبْتُ حَظِي كَيْ أَبْرَهِنَ أَنَّ إِنْثَابَ الْوُجُودِ

(220) حكمت صالح جرجيس، "فاصلة بين الثروة والثورة"، جريدة الثورة العراقية 1640 (1974)، 8.

مَا كَانَ يَوْمًا فِي الْيُوتِ وَلَمْ يَكُنْ رَهْنَ الْقُعُودِ
فَأَغْلَقَ عَلَى الْكُتُبِ النَّوَافِذَ وَاطْوَى أَوْرَاقَ الْجَرِيدِ
وَذَرَى الْبَيَانَ، وَمُعْجَمَ الشُّعْرَاءِ، وَالْعَقْدَ الْفَرِيدِ
وَدَعَ الثَّقَافَةَ جَانِبًا وَابْدَأَ بِتَكْوِينِ الرَّصِيدِ
فَالسُّوقُ يَفْتَحُ لِلطَّمُوحِ مَشَارِفَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ⁽²²¹⁾.

والراجح أنَّ الشاعر تأثر كثيرا بهذا الموقف المأساوي وهو يصور المعلم كيف يتخلى عن رسالته الإنسانية في تعليم الأطفال وتركها، وترك كتب العلم؛ لأنها لاتجدي نفعا في هذه الظروف السوداوية المعتمدة، وإنَّ الثقافة لاتطعم الجائع، ولكن العمل الحر في السوق لعله يسد رمقه وينتشله مما هو فيه.

وهذا هو حال الكثير من الموظفين في زمن الحصار، ووظيفة التعليم هذه أشد هما وأدعى إلى السأم في تلك الظروف الصعبة، لأنَّ المدرس يوميا على مدار السنة يعيد تلك المواد المقررة، ويستهلك عمره وعواطفه مع الأطفال، وتمضي سنوات عمره من حيث لا يشعر، ولولا الشعور بالمسؤولية، والهدف السامي من التعليم لما استطاع المعلم إيصال رسالته الإنسانية عبر الأجيال⁽²²²⁾ ويقول الشاعر:

فُصُولٌ بَدَأْنَاهَا وَسَوَّفَ نُعِيدُهَا
حَنَانِيكَ فَالْحَنُ الْمُكَرَّرُ
يَسَامُ⁽²²³⁾.

وفجأة ينتبه الموظف الفقير إلى حاله، وإنَّه في سبيل إنجاز الهدف وتحقيق الرسالة التي يحملها؛ نسي نفسه وأهملها وخسر جزءاً كبيراً من حياته في الوظيفة، ولم يحقق شيئاً سوى الفقر؛ ولكنه فقد حريته وصدأ؛ بفعل القعود فهو لا يستطيع أن يسد أبسط احتياجاته اليومية، فجيئه نظيف أنظف ما يكون في بداية كل شهر؛ ليتناثر بين الأقساط والديون المتراكمة ولم يحقق شيئاً⁽²²⁴⁾ فنلاحظ أنَّ الموظف المسكين يتخلى عن قيمه ومبادئه في العلم - بسبب الحيف

⁽²²¹⁾ حكمت صالح جرجيس، "هموم العمل الوظيفي"، جريدة الراية المغربية 30، (1998)، 10.

⁽²²²⁾ محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 93.

⁽²²³⁾ حكمت، "هموم العمل الوظيفي"، 10.

⁽²²⁴⁾ محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 94.

الذي أصابه من جراء الحصار- وينبذ الشعر والأدب والثقافة فإنّها لا تطعمه الخبز فحظه تعيس في تلك الكتب، ويرى أنّ القعود في البيوت لا يجدي نفعا، فيترك الكتب وينزل إلى السوق؛ لأنّ الكتب لا تسمّن ولا تغني من جوع في مثل هذه الظروف، ولكن السوق هو مرتع جمع الأموال لا ابتغاء العيش الرغيد وسد رمق أطفاله الجياع.

وينتقل الشاعر إلى مشاهد أخرى مؤلمة من مشاهد الفقر والجوع التي ألقاها الفقراء في مدينة الموصل، وهي مستوحاة من حدث حقيقي في الموصل، وهو يصور التفاوت الطبقي فيها، وكان قد استوحى الحالة النفسية التي تمخضت عنها القصيدة من خلال "مشاهد منطقة (النبي يونس) في الموصل في أواخر الستينيات حيث كانت البيوت الطينية والأزقة الضيقة توحى بالبؤس، حيث مستنقعات الماء الأسن مدعاة لانتشار الأوبئة ويدعو الشاعر هذه الشريحة إلى رفض هذا الواقع المعاشي المزري"⁽²²⁵⁾.

وينتقل الشاعر إلى مشهد جديد ويتخذ من الصحابي الجليل (أبي ذر) رمزا لهؤلاء الفقراء الجياع ويقول الشاعر:

عسكر الفقر وخيم
في ضَوَاحي بِلَدَتِي؛ يَا أَبَا ذَرٍّ
وَخِيَامُ الْجُوعِ كَالْمَوْجِ ازْدِحَامًا فِي الْعَرَاءِ
وَسَطَهَا كُوخٌ مُهَدَّمٌ
فِيهِ أَطْفَالٌ جِيَاعٌ
وَعَجُوزٌ بَرَّغِيفِ الْخُبْزِ تَحْلُمُ⁽²²⁶⁾.

وهنا يرسم الشاعر لوحة الفقر المؤلم، ويصف مشهدا من مشاهد الجوع، ويتخذ من (أبي ذر) رمزا للجياع، ويصف الفقر، أنّه موجود في كل مكان من تلك المنطقة التي تعج بالفقراء، واستعار كلمة الموج للدلالة على كثرة هذه الخيام المزدحمة بالفقراء، الذين يسكنون حول مرقد نبي الله (يونس) في الموصل؛ للتبرك ويصورها لنا وفي وسطها كوخ مهدم لا يصلح للسكن،

⁽²²⁵⁾ حكمت صالح جرجيس، ما بعد النص، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2008)، 94.

⁽²²⁶⁾ حكمت صالح جرجيس، "أبو ذر وجيوش الجائعين"، مجلة الجامعة، 6، (1974)، 58-60.

وبالرغم من ذلك فيه أطفال جياع، وجدتهم العجوز تحلم وتنتظر من يأتيها
برغيف الخبز وتصبرهم، ويسترسل في قصيدته ويقول:

وصِغارٍ في مَغارٍ في انتِظارٍ يا صِغارَ
هو آتٍ رَبُّكُمْ رَبُّ الْعِيَالِ
نَمْلَةٌ تَجْمَعُ ذَرَّاتِ التُّرَابِ
تَنْشُدُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ
رَبُّكُمْ رَاحَ

سَيَأْتِيَكُمْ بِرِزْقٍ.. بِثَرَابٍ.. بِطَحِينٍ⁽²²⁷⁾.

والراجح أنَّ الشاعر يصف حال العجوز مع أحفادها الصغار وهي تصبرهم
على الجوع، وتبعث فيهم الأمل وتصبرهم، أنَّ أباهم سوف يأتيهم بالطعام،
وشبه الشاعر رب الأسرة بالنملة في بطنها في جمع الرزق، وهو يبحث في
مناكب الأرض عن الرزق؛ لأنَّه ينشد الرزق الحلال، ولا يريد أن يطعم عياله
الحرام، والعجوز تحاول جاهدة تصبير الأطفال، وتمنيهم بأنَّ أباهم لن يخذلهم
ولا بد من أن يأتي ويجلب لهم ما يسد جوعهم، فنلمس من كلام الشاعر في هذا
المقطع،

"تكثيفا صوريا، وانسجاما بين جرس الكلام وإيقاعه وبين معناه، ولا يمكن أن يكون إلا
مسايرة للقصيدة الحديثة، فخيام الجوع تتحول إلى موج، ولعل شكل الخيام بهذه الصورة،
خاصة إذا نُظر إليها من الأعلى، وفي خضم هذا الجوع الموحش يتحول الأب كلُّ أبٍ إلى
نملة تلتقط التراب لأبنائها.. وماذا يجدي النمل والتراب في وجه الموج العاتي؟! وهنا تنبع
دلالة الرمز الذي وظفه الشاعر وهو (أبو ذر الغفاري) ليوحى – من خلاله- إلى البديل
المنشود لجيوش الجائعين"⁽²²⁸⁾.

ونلاحظ أنَّ الشاعر يقف "في أكثر من مكان عند المشكلة الاجتماعية التي يعاني
منها العصر، عند التفاوت المذل بين الترف والفقر، ويشير إليها بكلتا يديه في (يوميّات في
سفر الفاقة) و(نغمات على قيثارة الريح) و(أبوذر)"⁽²²⁹⁾، ويبدو أنَّ الشاعر يستحضر

⁽²²⁷⁾ حكمت، "أبو ذر وجيوش الجائعين"، 58.

⁽²²⁸⁾ محمد إقبال عروي، جمالية الأدب الإسلامي، (المغرب: المكتبة السلفية، 1986)، 79.

⁽²²⁹⁾ عماد الدين خليل، "قراءة في ديوان شعر إسلامي"، مجلة المشكاة، 1، (1983)، 32.

أفعال سيدنا عمر الفاروق (رضي الله عنه) عندما كان خليفة وهو يقارن بينه وبين من يحكمون الفقراء ويقول:

فاسألوا عَنْ عُمَرَ الْفَارُوقِ يَأْتِ
بَطْحِينُ

يَا صِغَاراً جَائِعِينَ
فِي خِيَامٍ تَتَأَلَّمُ
تَسْفَحُ الْبُؤْسَ دُمُوعاً وَبُكَاءً⁽²³⁰⁾.

ويبدو أَنَّ الشاعر استحضر تلك الحادثة - ليقارن بين حكام الأمس واليوم- التي حدثت مع أمير المؤمنين عندما كان خليفة للمسلمين وهو يتفقد الرعية ليلاً؛ فوجد طفلاً يبكي من الجوع فقال: ثكلتك أمك يا عمر خوفاً من السؤال يوم القيامة، فجلب بيده الشريفة الطعام وأطعمهم بيده، فكم من جائع الآن يبكي ويتألم ويسكن الخيام؟ فمن المسؤول الآن؟ ويصور الشاعر هؤلاء الفقراء الجياع بئسين ويكون من شدة الفقر، وينتقل الشاعر إلى مشهد آخر ويقول:

يَا أَبَا ذَرٍّ مَجَاعَاتٍ هُنَا
وَسَطَ جَمَاعَاتٍ لَهَتْ بَيْنَ الْقُصُورِ
فَهَقَّهَاتٍ تَتَعَالَى مِنْ شَبَابِيكِ الْهَنَاءِ
وَكُؤُوسِ الشُّرَفَاءِ
نُصِبُ فَوْقَ رَصِيفٍ مِنْ دِمَاءٍ⁽²³¹⁾.

ويعود الشاعر من جديد ويستعمل رمز (أبي ذر) شعرياً شاكياً ما آلت إليه الحياة في ظل الثروات، وفي وسط الأغنياء الذين لا يبالون بما يدور حولهم، فقد اتخذوا من الفقير بضاعة يقتاتون عليها، وهم يعيشون في القصور الضخمة، ويتنعمون بما أنزل الله من النعم؛ ولكنهم تناسوا الفقراء الذين يسكنون حولهم واستغلوا ظروفهم الصعبة، وهم يضحكون ولا يبالون، ويصور الشاعر هذا الترف والغنى بأنه لولا الفقراء؛ ما وصل هؤلاء إلى ما هم عليه؛ لأنهم سرقوا

⁽²³⁰⁾ حكمت، "أبو ذر وجيوش الجائعين"، 59.

⁽²³¹⁾ حكمت، "أبو ذر وجيوش الجائعين"، 59.

قوتهم، وبنوا ما بنوه بدماء الفقراء، وبالرغم من كل ذلك نرى أنَّ الشاعر يستنجد (بأبي ذر) ولكن (أبا ذر) لم يجب ولا يجرد سيفه بالرغم من كثرة النداءات ويقول الشاعر:

أَيْنَ أَنتَا ؟
يَا أَبَا ذَرٍّ .. أَبَا كُلِّ فَقِيرٍ
كَتَرُوا الْأَمْوَالَ فِي ظُلُمَاءِ سِرْدَابِ الْأَيْنِ
صَلَبُوا كُلَّ فَقِيرٍ جَائِعٍ فَوْقَ الرِّمَاحِ
عَارِيًّا؛ فِي الْبَرْدِ؛ يَلْتَفُّ بِأَصْدَاءِ الصِّيَاخِ⁽²³²⁾

والواضح أنَّ الشاعر يصف صورة من الصور المؤلمة للفقير، وكيف خزن الأغنياء الأموال وكنزوها وتنعموا بها، بينما الفقير المعدم تراه يموت جوعاً، أو من المرض عارياً في الشتاء القارص لم يجد ما يستر به جسمه الواهي، ويقول هذا حال الفقير، ومن ثم يتعالى صوت الشاعر وهو لا يتحمل تلك المشاهد المهينة لمن عنده دينٌ وأخلاق، وتحرك ما بداخله من شعور لموازرة أولئك الفقراء المساكين، ثم نلاحظ أنَّ الشاعر استخدم الآيات القرآنية ووظفها بشعره ويقول:

سَمِعْتُ الْفَقْرَ يَتَلَوُّ
((لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ))
غَيْرَ أَنَّ الْجُوعَ قَدْ أَرْدَى الصِّعَارَ⁽²³³⁾

ونلاحظ عودة النزعة الدينية عند الشاعر فهو لا ينفك يستخدمها؛ لأنها تنطبق على ذلك الواقع المرير الذي يصوره الشاعر، والذي أراد من خلاله تنبيه الأغنياء إلى أنَّهم لن يؤمنوا حتى ينفقوا مما أعطاهم الله من فضله، ولكن هيهات، القلة ممن يستجيب ويستمع إليه، ونلاحظ الشاعر يعود إلى (أبي ذر) ويستصرخه ويناديه ويتخذ نبرة الخطاب القوي المستثير ويقول:

يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا فَاجَمَعَ جُيُوشَ الْجَائِعِينَ
قَوْضِ الصَّرْحِ وَأَنْذِرْهُمْ بِشَعْوَاءِ سَتَجَتَّاحِ الْمَدِينَةِ

⁽²³²⁾ حكمت، "أبو ذر وجيوش الجائعين"، 59.

⁽²³³⁾ حكمت، "أبو ذر وجيوش الجائعين"، 59.

كَسِرَ الْمَجْدَافَ مِنْ فَوْقِ السَّفِينَةِ
 أَنْذِرَ الْقَوْمَ بِإِعْصَارٍ سَيَهْوِي
 بِشِرَاعِ الْمَالِ فِي عَرْضِ الْبَحَارِ لَا لَشِيءٍ
 غَيْرَ أَنَّ الْجُوعَ قَدْ أَرْدَى الصِّغَارَ
 تَحْتَ آلافٍ يَا أَبَا ذَرٍّ؛ أَلَا فَاجْمَعْ جُيُوشَ الْجَائِعِينَ
 قَوْضِ الصَّرْحَ وَأَنْذِرْهُمْ بِشَعْوَاءِ تَجَنَّحِ الْمَدِينَةَ⁽²³⁴⁾.

والراجح من كلام الشاعر أنه يريد أن يثور ضد هذا الوضع المأساوي فينادي على (أبي ذر) ويطلب منه أن يجمع جيوش الجياع، ويثور على الظلم؛ لكي يصحح معادلة الثورة، ويقرب الهوة بين المحرومين، والواجدين وينذر الظالمين الذين منعوا قوت الفقراء بدهماء مظلمة؛ إذا ما استمر هذا الوضع، وهددهم بإعصار يجتاح المدينة عن بكرة أبيها يهوي بالمجتمع؛ وكل ذلك بسبب ما يعانيه الفقراء ولعل ذلك بسبب؛ "الانسياق وراء المادة ورأس المال، ذلك أن هذا المجتمع يسيره شرع المال ويتحكم به، وعلى هذا يمكن تخريج الصورة المتمردة على أنها مواجهة الجشعين من المترفين المتنفيين"⁽²³⁵⁾.

وما كان للشاعر الإسلامي المعاصر إلا أن يفتح عينيه ويتنبه إلى الفوارق الطبقيّة في المجتمع، ويسهم في تيار الحياة الأبدي تكويناً وتلويناً فيزيده حلاوة، وما كان للشاعر إلا أن يكون واقعياً بالمفهوم الشامل للكلمة، وبعدها الاصطلاحي، وأن قيم الإسلام ورؤاه يتوجب أن تمتطي كل مركب أنيق جميل لكي تصل إلى شواطئ التقبل والمعاناة⁽²³⁶⁾.

ولا يزال الشاعر يطالعنا في أشعاره ومستمرنا بعرض هذه المشاهد الأليمة محاولاً أن يفند المبادئ التي جاء بها الغرب من حريات وحقوق الإنسان، التي تدافع عنها المنظمات الدولية، ويحاول أن يفند أقوالهم التي تخالف أفعالهم فيها

⁽²³⁴⁾ حكمت، "أبو ذر وجيوش الجائعين"، 60.

⁽²³⁵⁾ محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 96.

⁽²³⁶⁾ عماد الدين خليل، سبعة مدخل إلى الشعر الإسلامي المعاصر، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2003)، 54.

هم المسلمون في إفريقيا، يعانون ما يعانون من ذل، وقهر، وجوع، وتفشي الأمراض؛ وذلك كله لأنهم فقراء سود ومسلمون.

واستطاع الشاعر - في ديوان على عتبة الجنة السمراء- "أن يسبر غور التجربة الإنسانية، وأن يعيش معاناة هذه الشريحة من البشر، وأن يتقمص شخصية السوداني والزنجي، ويتمثل مكابذاتهم ومن ثم يترجم تلك الأحوال شعرا- لحمل مصداقيته بكامل حرارتها- متحدثا بلسان هذه النماذج البشرية " (237).

وتحدث الكثير من الشعراء بالعالم منهم السود، أو البيض، أو العرب، أو الأجانب وأغلب هؤلاء ينتهي مطافهم عند موانئ الإحباط النفسي، فلا يستطيعون إعطاء صورة واضحة عن حال الفقير المسلم الإفريقي، وحتى الشعراء الأفارقة المسلمين الذين كتبوا بهذا الموضوع كانوا على مجموعات عدة، ولكن ممكن أن نقسمهم قسمين الأول: "أغلب الشعراء المقلدين من المسلمين انتهجوا الصوفية المعزولة عن الواقع السياسي" (238)، وهذا هو منهج الصوفية دائما يناون بأنفسهم عن السياسة، ولا يريدون التدخل بها، والقسم الثاني: "المحدثون نجدهم ضيقوا على أنفسهم، بالتعصب للعنصرية، سواء من الأفارقة أم الأمريكيين السود" (239).

ويبدو أن الشعراء في العالم لم يتعرضوا تعرضا مباشرا إلى موضوع الفقراء المسلمين في إفريقيا، ولكن الشاعر حكمت صالح افرد لهم ديوانا خاصا سماه على (عتبة الجنة السمراء)، عرض فيه معاناة الفقراء المسلمين السود في إفريقيا، وسياسة التمييز العنصري التي تنتهجها بعض الدول التي تدعي الحرية، فإذا كان الإنسان الأسود قد بنى الأهرامات في الماضي، فإن مشاركته

(237) حكمت صالح جرجيس، ما بعد النص، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2009)، 5.
(238) شيخو أحمد سعيد غلادنت، حركة اللغة العربية وأدبها في نيجيريا، (مصر: دار المعارف بمصر، 1982)، 176.
(239) كولين ليجوم، الجامعة الإفريقية دليل سياسي موجز، ترجمة أحمد محمود سليمان، (القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966)، 16.

في العصر الحديث تتمثل في بناء ناطحات السحاب، وهذا كله من خلال الاستعمار الجديد الذي رقد الغرب نهضته العمرانية، ونمى ثرواته الاقتصادية على حساب الشعوب المختلفة، والمجتمعات المستضعفة، من المسلمين في إفريقيا وغيرها من الدول الفقيرة.

ومابين عصر الأهرامات، والتطور الصناعي الذي يشهده العالم، وغزوه للفضاء، نلاحظ سلسلة من الممارسات غير الإنسانية التي نبذها الإسلام، وتركها بالتدريج فعتق بها الرقاب من العبيد؛ ولكننا نرى اليوم هذه الممارسات الشنيعة في الغرب، واستلاب حقوق السود في العالم، ونهب ثرواتهم الاقتصادية، ولعل من أهمها ما كان من تجار الرقيق الأسود منذ عصر النهضة الصناعية في الغرب الأوروبي، ومنذ عصر الاستكشافات الجغرافية، وجدت تجارة الرقيق الإفريقي أسواقا رائجة في العالم الجديد، وأخذت هذه الممارسات غير الإنسانية البعيدة كل البعد عن الإسلام، والأخلاق الحميدة، بالتزايد⁽²⁴⁰⁾.

ومن الواضح أنَّ الشاعر حكمت صالح قد تأثر بهذه المشاهد الحزينة للفقراء، والتي شاهدها في إفريقيا عندما كان مشاركا في حملة التعريب في الجزائر، ونشر اللغة العربية، وتعاليم الدين الإسلامي، ولكنه شاهد فظاعة الإنسان الغربي، الذي يدعي حقوق الإنسان فيقول الشاعر:

مَنْ أَبْشَعَ مَفْهُومٍ لِلْوَحْشِيَّةِ
مَنْ كَهَفَ كَوَالِيسَ الْبَشَرِيَّةِ
يَنْطَلِقُ الْأُورُبِيُّ الْمَلَّاحُ
يَتَجَسَّمُ بَحْرَ الظُّلُمَاتِ
لَيْسْتَ عِبْدَ آلَافِ الْأَطْفَالِ الْإِفْرِيْقِيِّينَ
الْأُورُبِيُّ.. الْأَمْرِيْكِيُّ.. الْأَبْيَضُ
وَالْوُسْطَاءُ الْمَاجُورُونَ
يَفْتَنُّونَ بِكَلْبِ الصَّيْدِ الْمَشْدُودِ إِلَى الْعَرَبَاتِ

⁽²⁴⁰⁾ حكمت، ما بعد النص، 57

طِفْلاً.. شَاباً.. رَجُلًا.. مَفْتُولَ الْعَصَلَاتِ⁽²⁴¹⁾

ونلاحظ أنَّ الشاعر يرسم لوحة جديدة مليئة بالذل، والهوان للمسلم الفقير الأسود الذي يتحكم برقابهم الأوروبيون، والأمريكيون الذين جاءوا من وراء البحار، واجتازوا المحيط الأطلسي، وتكبدوا عناء الرحلة؛ من أجل التكسب وجمع الأموال من تجارة الرقيق، ويصور الخونة المأجورين الذين يربعون الأطفال، والرجال بكلابهم المسعورة، وهذا ما يكشف زيف ادعائهم باتهامهم الإسلام بذلك، فقد قضى الإسلام على هذه الظاهرة من خلال العقوبات- الحدود التي فرضها الله في كتابه العزيز- التي فرضها على المسلمين بعق الرقاب، ويكشف الشاعر زيف ادعائهم لأنَّ استرقاق إفريقيا لم يكن يوماً عربياً، أو إسلامياً، ولكن كان على العكس، فهو من دعا إلى تحرير الإنسان من العبودية، وإنَّ خلاص إفريقيا من الرق لن يكون إلا بالإسلام، والآن تنبّهت الأمم المتحدة إلى ذلك وأصدرت قراراً لا يسمح باستعباد الإنسان، ويسترسل الشاعر في قصيدته ويوضح كيف أنَّ الإنسان المسلم الأسود أصبح بضاعة تباع وتشترى فيقول:

عَادُوا بِالْأَسْرَى لِلشَّاطِئِ
وَالشَّمْسُ تَلْفُ عَلَى الْأَفْقِ خِيُوطَ الْحَسَرَاتِ
بَاعُوا الْإِنْسَانَ بِمَشْرُوبَاتِ رُوحِيَّةٍ
بِزُجَاجَاتٍ نَبِيذٍ.. وَبِجُرْعَةٍ خَمْرٍ
بَاعُوهُ بِدَرَاهِمٍ مَعْدُودَاتٍ⁽²⁴²⁾.

والراجح من كلام الشاعر أنَّ الإنسان أصبح يباع بسعر رخيص لا يساوي زجاجة خمر، إذا نستطيع القول أنَّ الإنسان الفقير أصبح سلعة تباع وتشترى، وإذا لاحظنا ذلك نجده بكثرة في المجتمعات الفقيرة المسلمة الإفريقية، وفي الأماكن الفقيرة من العالم بالنسبة لغير المسلمين، فهؤلاء بسبب لونهم، وهؤلاء بسبب فقرهم، بحيث لا يساوي الإنسان دراهم معدودة.

وهكذا نجد الشاعر ينشد مع الرجال السود في إفريقيا أناشيد إلى الحياة الإنسانية الكريمة ويعيش مأساتهم، وتهوله جرائم دعاة الحرية والديمقراطية في إهدار حقوق الإنسان في الحياة الكريمة، ويبيعون ويشترى بكرامة الإنسان الفقير،

⁽²⁴¹⁾ حكمت صالح جرجيس، ديوان على عتبة الجنة السمراء، (الموصل: منشورات البراق الثقافية،

2009)، 41.

⁽²⁴²⁾ حكمت، ديوان على عتبة الجنة السمراء، 42.

فالشاعر يدين هذا العمل المنحرف، وتقام المهرجانات العقيمة؛ التي تدعي حقوق الإنسان، ويعرّب السكارى في الحانات ويتاجر بالرقيق الأبيض والملون فهذه هي حقيقتهم⁽²⁴³⁾، ويستمر الشاعر في فضح زيف ادعاء المنادين بالحرية وحقوق الإنسان، ويصورهم كيف يفتادون العبيد وأيديهم مشدودة فيقول:

الْأَيْدِي الْمَشْدُودَةُ بِالْعَصَبِ الصُّلْبِ
تَنْجُبُ مَوْلُودَ حَضَارَاتِ الْغَرْبِ
وَعَلَى الْأَكْتَافِ الزَّنَجِيَّةِ
شَمَخَتْ نَاطِحَةُ السُّحْبِ الْأُورَبِيَّةِ
وَمَحَطَّاتُ فُضَاءٍ أَمْرِيكِيَّةٍ⁽²⁴⁴⁾.

وعلى هذا الموقف الإنساني، أو ذاك نجد أنفسنا إزاء ما يمكن تسميته "(بالإدانة الشعرية للابتزاز) الذي مارسه الغربي الأبيض، ولا يزال في الإفريقي الأسود إهدار لقيمة الإنسان في الإنسان نفسه، للاستلاب الذي يبني ناطحات السحاب من جماجم الملونين، ويقيم مزارع، ومصانع، ومؤسسات، ومدنا من آلامهم، وأوجاعهم"⁽²⁴⁵⁾، ولا تزال هذه الحضارة غارقة في ذنب التمييز العنصري المقيت ويقول الشاعر:

وَعِنْدَ السَّاحِلِ الْمَوَّارِ
فِي أَنْيُيُورِكْ
نَصَبُ طَاوِلِ الْجَوَزَاءِ
لِيَجْعَلَ مِشْعَلَ الْخُرَيْيَّةِ الصَّفْرَاءِ
يُشْعِشِعُ فِيهِ نَارُ الزَّيْفِ مُرْتَفِعًا
أَلَا رَفَضْتُ دُنُوبَ حَضَارَةٍ
قَدْ أَتَخَمَّتْهَا لَذَّةُ التَّمْيِيزِ بِالْأَلْوَانِ⁽²⁴⁶⁾.

والراجح أنَّ الشاعر يحاول كشف زيف ادعاء الحرية بنصبهم ذلك التمثال الضخم الذي يشير إلى الحرية، ويقول أنَّه قد استنفذ أغراضه بأفعالهم المخالفة

⁽²⁴³⁾ محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 64.

⁽²⁴⁴⁾ حكمت، ديوان على عتبة الجنة السمراء، 43.

⁽²⁴⁵⁾ عماد الدين خليل، "مدخل إلى ديوان على عتبات الجنة السمراء"، مجلة الفرقا 11، (1408 هـ)، 52.

⁽²⁴⁶⁾ حكمت، ديوان على عتبة الجنة السمراء، 115.

لقولهم، فلا نور فيه يضيء السبيل للمتلمسين لطريق الحرية، وإنَّ هذه الحضارة المادية قد عميت ولم تعد تهدي أحداً إلى الرشاد، فلتكف عن هذا الإعجاب، والانبهار بجسدها المتورم الممتلئ بالدماء، فيجب أن تراجع نفسها، ولا ترمي غيرها بالعبودية، وإنَّ ما يملكه الإسلام من قيم، ومبادئ إنسانية، ورؤية كونية، ومناهج حياتية، واتجاهات حضارية، لهو خير وأفضل مما يدعون.

ويبدو أنَّ الشعر الإسلامي المعاصر قال كلمته في كثير من القضايا، والمعضلات الراهنة، التي تتعلق بشخصية المسلم الفقير في أنحاء العالم، وإنَّ وضع السود في العالم - وليس في إفريقيا وحدها- لهو واحد من أكثر المسائل إثارة في العالم، التي تتناقض فيه الرؤية الغربية، مع ما تطرحه الرؤية الإسلامية، لموقع الإنسان في العالم، وإنَّ الجميع سوف يقف أمام الله كأسنان المشط لا تفصلهم طبقة عن طبقة، ولا يعزلهم لون عن لون، لا لشيء إلاَّ أنَّه خلق بهذا اللون الداكن، أو لأنَّه خلق يحمل لون قشرة تختلف بدرجتها اللونية عن سائر المخلوقات⁽²⁴⁷⁾، وعند الله لا فرق بين عربي وأعجني إلاَّ بالتقوى، ولا فرق بين أبيض، أو أسود أمام الله يوم الحشر، يقول تعالى: (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ)⁽²⁴⁸⁾، وقال تعالى: (يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)⁽²⁴⁹⁾، وقال عليه الصلاة والسلام: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا لأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّاَّ بالتَّقْوَى إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ"⁽²⁵⁰⁾، إذاً هذا هو منهج الدين الإسلامي، لا يفرق بين أي لون أو عرق وإنما يعتمد ذلك على تقوى الإنسان لا شكله ولا لونه.

⁽²⁴⁷⁾ عماد الدين خليل، مدخل إلى ديوان علي عتبات الجنة السمراء، 50.

⁽²⁴⁸⁾ المؤمنون، 101/23.

⁽²⁴⁹⁾ الحجرات، 13/49.

⁽²⁵⁰⁾ مسند الإمام أحمد، "باب حديث رجل من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام" 23489، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة 2700.

وها هو الشاعر يستحضر شخصية بلال الحبشي ذات اللون الأسود الذي وصل إلى أعلى المراتب في الإسلام، واختاره الشاعر لكي يمثل صوت الفقير المؤمن الحر، وهو يرفع نداء العبودية لله وحده، فهذا هو الإيمان والحرية التي ينادي بها الإسلام، لا حرية الغرب التي يزعمون، ويكون سيدنا (بلال) الحبشي الأسود هو سيد المسلمين في مشارق الأرض ومغربها، وهو من المسلمين الأوائل الذين دخلوا الإسلام، ليكون رمزا للعبودية، وقد تولى كبر المسؤولية التي ألقاها عليه الدين الإسلامي برفع النداء الأبدي- إلى يوم يرث الله الأرض ومن عليها- الذي يضع الناس جميعا قبالة الله تعالى، ويكون رمزا لحرية السود في العالم، وهذا ليس صدفة في المسيرة النبوية على الإطلاق، وإنما منهج الإسلام القائم على المساواة بين الألوان، والأجناس، وكل شيء يتحرك وفق هدف واضح ومرسوم، ويستمر الشاعر في سرد الأحداث المؤلمة، والصور التي رسمها في شعره، ويقول في قصيدة البانوراما من ديوانه (على عتبة الجنة السمراء) يقول فيها:

شريعة غاب أوروبا
وثورتها الصناعات
شريعة غاب ما خلف البحار
تمزّد الإنسان
بأسواق النخاسة
صلفة النزوات.. وحشية
وتسرق كل زنجي
إذا انغرزت جوانحه
على الربوات في إفريقيا النكلى
تفسّر جلده بالخنجر الهمجي
تطمس بين منحنياته الشكلا⁽²⁵¹⁾

ويبدو أنّ الشاعر ما ينفك أن يفصح زيف الحضارة الغربية ويقول من "العار أن تكتفي الحضارة الغربية بدور المراقب، أو المتفرج، ورصد البذخ

(251) حكمت، ديوان على عتبة الجنة السمراء، 110.

الأوروبي، والتترف الأمريكي من جهة، في مقابل مآسي مجاعات الإنسان الإفريقي، وابتزاز خيراته الوطنية من جهة أخرى⁽²⁵²⁾، وهو يصور قطار الموت والجوع والعوز المدمي بسكينه؛ كل الأقطار السمر في العالم، وهكذا يدين الشاعر من خلال قصيدته حضارة الغرب القائمة على التمييز العنصري الواضح المخالف بما تنادي به، وهكذا نرى أنَّ الغرب أصبح سجنا كبيرا للإنسان الإفريقي، إذاً هذه هي أوروبا التي تتبع الإنسان الأسود الفقير في المزايدات؛ لكي تستخدمه في خدمتها، وتستعبده ويصفها بأنها لا تستحي من ذلك الفعل الشنيع، وتقتل كل من يشذ عما تريد، فهذه هي الحرية التي ينادي بها الغرب، ومن ثم يعود بنا الشاعر إلى سيدنا (بلال الحبشي) ويستكمل معنا تلك المشاهد ويقول:

أنا زنجي
وبمفهوم اصطلاح العصر
لكني إنساناً
بروحي
وبفكري
بضميري
ولبوني الأبنوسبي

لأني قيمٌ تعشقُ حرِّيَّةَ إنسانيتي⁽²⁵³⁾

والشاعر من خلال هذه الكلمات يقول أنَّ (بلال) الإنسان يبحث عن إنسانيته؛ التي تتحدى جميع السقف مهما كان ارتفاعها، إنسانية لا يشعر معها بأدنى تمايز تجاه الآخرين ويقول:

أيُّها النَّاسُ.. بلالٌ
شَتَمَ اللَّاتِ
دَوِيَّ الكُفْرِ والطَّاغُوتِ دالٌ
إنَّ في أنيويورك تمثالاً على أعقابِهِ يَهْوِي

⁽²⁵²⁾ حكمت، ما بعد النص، 58.

⁽²⁵³⁾ حكمت، ديوان على عتبة الجنة السمر، 102.

فَقَدْ أُحْمِدَ فِي مِشْعَلِهِ جَذْوَةٌ نَارُ
 مَاتَ إِيْمَاضُ الشُّعَاغِ
 فَتَّهَآوَى
 وَتَهَآوَتْ حَوْلَ بَيْتِ الْكَعْبَةِ الْأَوْثَانُ
 سَقَطَ الْمِشْعَلُ
 مَا عَادَ الذَّرَاغُ
 يَحْمِلُ الْجَذْوَةَ
 وَعَلَا صَوْتُ بِلَالٍ⁽²⁵⁴⁾

والشاعر يصف زيف الحرية في الغرب، وسوف تسقط الأقنعة عن الوجوه،
 وتتكشف الحقائق، لأنَّ ما نراه يخالف ما نسمعه فهم ينادون بالحرية، ونحن
 ننادي بها أيضا فأيهما على حق؟! ويُشبه الزمن الماضي بالحاضر، زمن
 عبودية قريش، وما فعلوه بسيدنا (بلال) عندما أسلم، وكفر بهبل كبير الأصنام،
 ويشبه الشاعر ذلك الزمن الذي سقطت به الأصنام وتهوت، بتمثال الحرية
 فسوف يسقط تمثالهم، فلم تعد تلك الكذبة الكبيرة تنطلي على ذي لب، وإنَّ تمثال
 الحرية،

"ذلك التمثال الذي تحول من رمز مفخرة واعتزاز - بالنسبة للأمريكيين؛ باعتبارهم دعاة
 حرية - إلى وثن، وقد خمدت جذوة شعاعه في المشعل، وأما هبل الذي قطعت يده أو
 كسرت؛ فصنع له الوثنيون العرب قبل الإسلام يدا من ذهب اعتزازا به فتقابلت - لدى
 الشاعر - مسألة ذات بعدين زمنيين: الماضي المتمثل ب (هبل)، والحاضر المتمثل (بتمثال
 الحرية) المريض الذي غدا عقيما؛ لذا هو مهدد بالتحطم، إذ هو يهوي ساقطا؛ كما تساقطت
 الأصنام، وتحطمت الأوثان في مكة"⁽²⁵⁵⁾

ويبدو أنَّ الزمانين متشابهان بالأحداث، مثلما قريش تمسكت بالأصنام وهي تعلم
 أنَّها لا تنفع، ولكن كبرياء، وتكبر، وعنجهية، وكانت لمصالح تجارية، ومنافع،
 لأن من غير الأصنام لا يوجد تجارة، وأرباح فاتخذوا الأصنام وسيلة للتكسب،
 وما نلاحظه اليوم أنَّ تمثال الحرية أيضا انطبقت عليه تلك المواصفات التي
 وصفنا بها هبل قريش، فالأكاذيب تتكشف شيئا فشيئا لما نلاحظه من هضم
 حقوق الإنسان، خصوصا في الدول الديمقراطية التي تدعي الحرية.

⁽²⁵⁴⁾ حكمت، ديوان على عتبة الجنة السمراء، 104.

⁽²⁵⁵⁾ غانم محمد محمود، العبودية والانعقاد بين بلال الأمس وبلال اليوم، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2009)، 93.

وكشف الشاعر عن زيف الازدواجية في تعامل الرجل الأبيض/ الأوربي، مع تلك الشعوب "فهو يلقنها مبادئ التسامح والمحبة، وفي الوقت ذاته يسرق خيراتهم، ويمحق حريتهم بكل أساليب القمع والاضطهاد، ويصور الشاعر الصراع بين الحضارة الغربية والقيم التي تختزنها تلك البلاد، وتأثير الحضارة العربية الإسلامية التي تقف على النقيض من توجهاتها في الحياة" (256).

وإنَّ استحضار الشاعر لشخصية (بلال) الصحابي الجليل "رمزا له أبعاد متعددة في السياق وقد اختاره الشاعر ليقدم من خلاله صورة عن التوجه الإسلامي لمفهوم الحرية، وممارسة القيم الدينية في أعلى درجاتها في النظرية والتطبيق، ثم وازن بين موقف الرجل الأبيض، الذي يتبجح بالمبادئ والحرية" (257)، ونلاحظ الحس الديني عند الشاعر في قصيدة (ثلاثية الهرم، والسيرك، وغابة الأبنوس) فيقول فيها:

فِي فِي حَلَاوَةٍ أَدْعِيَةٍ قُدْسِيَّةٍ
أَمْضِي لَيْلِي فِي حَلَقَاتِ الذِّكْرِ
أَتَرَأَى فَوْقَ (الْأُورَاسِ) وَأَصْنَعِي مُرْتَقِبًا

رَجَعَ بِلَالُ

يَتَهَادَى مَا بَيْنَ سُهُولٍ وَجِبَالٍ

يُوقِظُ إِفْرِيقِيَا لِصَلَاةِ الْفَجْرِ (258)

والراجح أنَّ الشاعر استلهم في قصيدته (بلال) رمزا للحرية التي منحها له الإسلام، فهو تحرر بفضل عدالة الإسلام، ويرى الشاعر في بلال كل إفريقي يخرج على أحكام السادة الذين استلبوا حريته، وأهانوا كرامته، وهدروا كبرياءه، فيراها الشاعر في شخصية بلال العبد، الذي انتزعه الشاعر من التاريخ لكي يكون للفقراء رمزا، ويشده إلى هذه المجتمعات البشرية التي تعاني الفقر والحرمان؛ بسبب لونه الأسود، ولقد وجد سيدنا (بلال) من يعتقه في سبيل الله، فمن يعتق الفقراء في العالم الآن؟ إذا لا بد أن يجد المسلم الفقير ذو اللون

(256) غانم سعيد حسن، "الحس الديني في شعر حكمت صالح"، مجلة موصليات 10، (2005)، 57.

(257) غانم سعيد حسن، "الحس الديني في شعر حكمت صالح"، 57.

(258) حكمت، ديوان على عتبة الجنة السمر، 160.

الأسود من يعتقه؛ لكي يخرج إلى عالم الحرية الحقّة، ويتنفس عبق الحرية فهم بشر قبل أن يكونوا سودا، لهم ما لغيرهم، يمتلكون حق الحياة بعز وشرف، كما فعل سيدنا (بلال)، حين حمل جذوة الإيمان، ودعا إلى حياة حرة كريمة، ولا بد أن تسمع دعوته، ويصل صداها إلى العالم الحر؛ لكي يرد اعتبار من انتهكت حقوقهم عبر السنين في العالم تحت مسمى الحرية والديمقراطية، ويجب علينا موازنة أهل الحق بأن نرفع صوتنا الإسلامي عاليا لصالح الفقراء السود في العالم، كامتداد طبيعي للموقف الإسلامي تجاه المظلومين في العالم، وتحريرهم من تلك الممارسات غير الإنسانية، وأن نقف بصفهم، ونقاتل معهم بالكلمة الحرة؛ لأنّهم في النهاية بشر مثلنا،

"ولأنّ الإسلام هو- قبل الماركسية وبعدها، وقبل الوطنية والعرقية وبعدها - كان وسيظل الصوت الأكثر وضوحا ونقاء وامتدادا، والأعمق أصالة، والأشد إلحاحا على ما يعد ضرورة من ضرورات الحياة البشرية على الأرض؛ أن يعيش الناس سواسية لا يفرقهم لون، أو طبقة، أو نسب، لا يفرقهم إلا عملهم، وألا يسمح البتة العبث بمكانة الإنسان في الأرض، وتفرد على العالمين" (259).

إذا نستطيع القول أن أدبنا الإسلامي أدب يصلح لكل زمان ومكان، وأنّ الدين الإسلامي كفيل في حفظ حقوق الإنسان في العالم؛ لأنّ الجميع عنده سواسية، لا فرق بين غني وفقير، وأسود وأبيض الكل متساوون أمام الله، فالغرب هو من انتهك حقوق الإنسان، وإنّ الشاعر (حكمت صالح) ذكر مواقف حقيقية في شعره عن معاناة الفقراء في العالم، وتحدث عن الحضارة الغربية التي ابتلعت فقراء إفريقيا، ومزقتها تحت مسمى الحرية والديمقراطية، فقد أشاع الشاعر جوا نفسيا يبعث على المقت وإنكار هذه الممارسات غير الإنسانية تجاه فقراء العالم (260).

وتبين من المبحث الأول من الفصل الثالث الشخصيات غير المصرح بها، أنّ الشاعر عرض لشخصية الفقير المسلم، فوصف حالته، وما يتعرض له، مما يؤثر سلبا في بناء شخصيته، وعرض للمدة العصبية التي مر بها العراق أثناء

(259) عماد الدين خليل، مدخل إلى ديوان على عتبة الجنة السمراء، 51.

(260) ينظر غانم سعيد حسن، "الحس الديني في شعر حكمت صالح"، 58.

الحصار الظالم عليه، وما نتج عنها من سلوكيات غير صحيحة، التي تؤثر بدورها في بناء الشخصية الإسلامية، وتعرض بناء الشخصية إلى انتكاسة بسبب انهيار البنى التحتية، وانحدار التعليم، والصحة، والخدمات، وانتشار الفقر، والفوارق الطبقيّة، وأثرت بدورها على سلوك الشخصية وبُعدها عن القيم، والمبادئ، والأخلاق الحميدة، التي دعا إليها الإسلام، وأدى ذلك إلى ظهور بعض الممارسات غير الصحيحة التي كانت غير مألوفة سابقاً، ونستطيع القول أنَّ الحصار كان مقصوداً في سبيل تغيير تلك المفاهيم التي تربي عليها المسلمون، فلعلها تكون جزء من المؤامرة الكبرى في العالم لصالح القوى الامبريالية التي تطمح من ورائها تغيير العالم لصالحها تحت مسمى الديمقراطية، والعولمة، والنظام الجديد، ونسوا أنَّ الإسلام أول من دعا إلى الشورى في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ)⁽²⁶¹⁾ فحاولت القوى العالمية تغيير تلك القيم النبيلة لدى المسلمين من خلال تجويعهم، وشراء ذممهم، ومساومتهم بالمال، والزاد، مقابل الانصياع لهم والعمل معهم بما يطلبون، والابتعاد عن الإسلام وقيمه.

واستحضر الشاعر شخصية سيدنا بلال الحبشي (رضي الله عنه)، ومعاناته بسبب العبودية وظلم المشركين، وجعله قدوة لقوى التحرر في العالم، فهذه أهم الجوانب التي ركز عليها الباحث في بناء الشخصية الإسلامية، التي يجب أن ينتبه إليها المعنيون بالتربية الإسلامية، والقائمون على العملية التربوية، فليس هناك بناء قوي للشخصية الإسلامية مع وجود الظلم، والفقر، والجهل.

3.2. المبحث الثاني: شخصية الطفل المسلم.

إنَّ من أهم المواضيع التي تناولها الشعر الإسلامي المعاصر هو (شخصية الطفل المسلم) وكيفية بنائها بناء صحيحاً قوياً سليماً من العيوب، وإذا ما حاولنا بناء أي شيء فلا بد أن نستحضر له الأرضية اللازمة للبناء وكذلك المواد التي

(²⁶¹) الشورى ، 38/42.

سوف نبني بها، إذا لابد من استحضار كل لوازم بناء الشخصية للطفل المسلم على أنه هو المستقبل الذي نصبوا إليه.

"وإذا أردنا أن نعرف أدب الأطفال فلا نجد له تعريفا مستقلا، بل نجده مندرجا في إطار الأدب العام"⁽²⁶²⁾ وقال نجيب الكيلاني: "أدب الأطفال لا يختلف في مفهومه عن الأدب العام الإسلامي، ألا في كونه موجها إلى فئة خاصة هي الأطفال"⁽²⁶³⁾

فقد تناول الشاعر شخصية الطفل في شعره محاولا بناء شخصية قوية وتنشئة جيل قوي يصلح لقيادة الأمة الإسلامية من خلال القدوة في شعر حكمت صالح، ويحمل عقيدة سليمة ذات أبعاد دينية، وقيم إسلامية تستمدها من كتاب الله، وسنة نبيه (عليه الصلاة والسلام)، وبعد أن طرأ ما طرأ على الشخصية الإسلامية من ميراث الشعوب التي دخلت الإسلام بعد الفتوح الإسلامية الكبرى، "لكن العقيدة الإسلامية بقيت مناط وحدتها الجامعة مما للدور القيادي للحضارة الإسلامية من منارات أنارت به العالم من بعد الظلام، وكان سر بقاء هذه الأمة أن بقي لها القرآن دليل مسارها"⁽²⁶⁴⁾.

والراجح أن الغزو الفكري قد اجتاحت الحضارات في العالم بعمامة، والعالم الإسلامي بخاصة؛ لأنه هو المقصود، والمستهدف من ذلك الغزو، إذا يجب علينا أن نحكم البناء إحكاما جيدا قويا، منيعا، وأن نبدا ببناء شخصية الطفل المسلم بناء صحيحا قائما على أسس ومفاهيم إسلامية يستمدها من العقيدة الإسلامية، الصحيحة واقتدائه بالقدوة الحسنة من الشخصيات التي تطرق لها الشاعر فهي خير معين في بناء شخصية إسلامية متزنة؛ لأنه هو القائد في المستقبل وكما "قال رجل للأعمش وهو يتعجب من وجود الأطفال والتفافهم حول الأعمش فقال الرجل: هؤلاء الغلمان حولك! قال: أسكت هؤلاء يحفظون

⁽²⁶²⁾ عبد القدوس أبو صالح، نحو منهج إسلامي لأدب الطفل، مجلة الأدب الإسلامي 40، (2004)، 4.

⁽²⁶³⁾ نجيب الكيلاني، أدب الأطفال في ضوء الإسلام، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986) 3.

⁽²⁶⁴⁾ عائشة عبد الرحمن، الشخصية الإسلامية دراسات قرآنية، (لبنان: دار العلم للملايين، 1986) 15.

عليك أمر دينك" (265)، والراجح أنَّ العناية بالأطفال كان منذ القدم؛ لأنَّ الجميع يعتمد عليهم في نقل الدين والتراث من جيل إلى جيل، وهذا أمر طبيعي في الحياة؛ لأنَّ الطفل حين يتعلم ينقل هذا العلم الذي تعلمه إلى زمن آخر غير الزمن الذي تعلم فيه، وهكذا ينقل العلم والمعرفة من جيل لآخر.

إنَّ مرحلة تربية الطفل تبدأ عند "بداية ولادة الطفل وعلاقته بالوالدين، وصلاح الوالدين، والتوافق بينهم على الخير، لهما تأثير كبير في تكوين شخصية الطفل المسلم، وميوله، وأهمية نشأته في كنف والديه، وتلقينه القيم الإسلامية في مراحل تنشئته، وتربيته الفكرية بالاستفادة من السنة النبوية المطهرة، وتعاليم وقيم الإسلام" (266).

إذا لابد أن نبدأ بداية صحيحة في بناء شخصية أطفالنا كما أرادها الإسلام؛ لأنَّهم القدوات في المستقبل، ولذلك قام الشاعر في إنشاء ديوان خاص بالأطفال أسماه (أغاريد المسلم الصغير، وديوان أهازيج المسلم الصغير) وكيفية تنشئتهم التنشئة الصحيحة قال تعالى في محكم كتابه المنزل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (267).

إذا من هذا المنطلق ينطلق فهمنا الإسلامي لأدب الطفل المسلم وكيفية تنشئته "فرب الأسرة يحرص على أداء الأمانة الملقاة على عاتقه في تنشئة أطفاله وتربية بنيه" (268)، وكما حدثنا رسول الله (عليه الصلاة والسلام) في الحديث الشريف قال: "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته" (269)، وقال تعالى في محكم كتابه المنزل قال: (فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (270)، ولا

(265) محمد نور عبد الحفيظ سويد، منهج التربية النبوية للطفل، (مكة المكرمة: دار طيبة، 2000)، 7.

(266) سويد، منهج التربية النبوية للطفل، 7.

(267) التحريم، 6/66

(268) حكمت صالح جرجيس، ديوان أغاريد المسلم الصغير، (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1994) ط1،

ص11

(269) البخاري، "كتاب العتق" 19.

(270) الفتح، 26/48

يشترط على رب الأسرة أن يكون أديبا أو شاعرا لكي يؤدي هذه الأمانة التربوية الملقاة على عاتقه؛ بل يجب عليه متابعة أبنائه في مرحلتهم التعليمية، ومن بعد ذلك يأتي دور المعلم في التعليم، ولجنة وضع المناهج التعليمية للأطفال لكي؛ نبني شخصية قوية، وللشاعر دور مهم في ذلك وخصوصا في مادة الأدب والشعر؛ لأنَّ من خلاله يمكن تربية، وتنمية شخصية الأطفال من خلال القصص، والعبر، والأبطال عبر التاريخ، فهذا ينمي عندهم حب الأخلاق الحميدة، والافتداء بالمثل الأعلى والأسمى، وشخصيات الأبطال التاريخية؛ التي كان لها دور مؤثر في العالم⁽²⁷¹⁾، ولا ننسى أجهزة الإعلام المرئية، والسمعية، والمؤسسات الثقافية؛ فإنَّها تؤثر تأثيرا مباشرا في بناء شخصية الطفل المسلم، إذا ما وجهته التوجيه الصحيح، إذا يجب علينا أن نبدأ من الطفولة لتنشئة جيل قوي الشخصية يحمل القيم والأخلاق الإسلامية، مقتديا بالشخصيات الإسلامية القدوة عبر التاريخ.

تناول الشاعر (حكمت صالح) في أشعاره بناء شخصية الطفل المسلم، وتوجيهه توجيهها إسلاميا، وغرس في نفسه حب الدين، والأخلاق الحميدة من خلال أشعاره الموجه للأطفال وهو يتطلع إلى عيون الطفولة الطافحة بالبراءة، "عسى أن تكمل الشوط، وتضيء طريق المجد الذي اختطه، وهو بذلك التطلع يتوق إلى الانبعاث، والتجدد الأرضي برتق حاجر الزمان، ويصل زمنه بزمن نريته أو يحن إلى مرافئ الطفولة.. وصفاء زمنها.. وعذوبة تيار الحياة في رافدها، متخلصا من كثافة الزمن الحاضر وبؤسه وكدره"⁽²⁷²⁾، فيقول:

وشاخَ عَذَارَى
فَأَحْنَيْتُ ظَهْرِي لِسُوطِ الزَّمانِ
وَبَسْمُهُ تَغْرِي تَشْعُ سَنًا
أَرَى أَمَلِي وَالْأَمَانِي الْكَثَارَ
بِأَعْيُنِكُمْ يَا صِغارَ

⁽²⁷¹⁾ ينظر حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، ص12

⁽²⁷²⁾ محمد رشدي عبيد، محاور من شعر حكمت صالح، 73

لِنَلْتَقِيَ شَيْخُوحَتِي بِرَأْفِدِ الطُّفُولَةِ (273).

إذا يتطلع الشاعر إلى الجيل الصاعد ويبنى آماله عليه وهو بدوره يقدم لهم النصيح، والإرشاد من خلال شعره؛ محاولاً بناءهم بناء صحيحاً يؤتي ثماره في المستقبل.

"إنَّ تنشئة الطفل وتهذيبه وتثقيفه، قضية إسلامية حضارية لها الأولوية.. لأنها قضية بناء الإنسان؛ ولأنَّ أمتنا تستشرف مستقبلها وسط صراع وتنافس عالميين، والطفولة الواعية الواعدة في أي أمة هي قوة المستقبل الواعد، وعن طريق الأدب نبدأ بتعبيد الطريق المؤدية إلى خارطة المستقبل المشرق لأطفالنا ونريد بناء المسلم الجديد الواعد الذي يجمع بين الإيمان والعلم" (274).

ويقول الشاعر أنَّ مصطلح الطفل المسلم "يختص بمرحلة الدراسة الابتدائية وما قبلها، وفيما تتسع دلالة مصطلح المسلم الصغير لتشمل أيضاً مرحلة الطالب في مرحلة المتوسطة، والإعدادية؛ أي إلى حد الثامنة عشرة، وبعد مرحلة المسلم الصغير تليها مرحلة الشباب التي تؤهل الشباب للدراسة الجامعية، أو الخدمة العسكرية، وقال (حكمت صالح) لكل مرحلة لغتها، وخطابها، وأسلوبها، ولكل سن مستواه في أشعاره في ديوان (أغاريد المسلم الصغير) وقد يتضمن الخطاب توجيهها تربوياً لتحويله سلوكاً عملياً، وعقدياً ضمن السن الموجه إليه ذلك الخطاب من خلال أشعاره" (275)، ولكن الإسلام كان له رأي آخر وحدد سن الطفولة بأربع عشرة سنة لقول ابن عمر عن النبي (عليه الصلاة والسلام) قال: "إنَّ النبي (عليه الصلاة والسلام) عرضته يوم أحد ابن أربعة عشرة سنة فلم يجزني، ثم عرضني يوم الخندق وأنا ابن خمسة عشرة سنة فأجازني، قال نافع: قدمت إلى عمر بن عبد العزيز وهو خليفة فحدثته الحديث فقال: إنَّ هذا الحد بين الصغير والكبير وكتب إلى عماله أن يفرضوا لمن بلغ خمسة عشرة" (276).

ويحاول الشاعر بناء تلك الشخصية المهمة من كل جوانبها، وخاصة الجانب العقدي؛ لأنَّه من أهم جوانب البناء، ويجب أن يكون أساسه قوياً؛ لذلك يجب البدء بالأساس لكي يستقيم البناء عليه في المستقبل، ولكي لا ينهار، ونلاحظ الشاعر في قصائده الموجهة للأطفال، ومن خلال البناء العقدي لشخصية المسلم الصغير يقول:

كُونْ أَجْمَلُ مَا فِيهِ إِتْقَانُ بُنَاهُ
مَنْ مَدَّ الْأَرْضَ وَزَيَّنَ بِالنَّجْمِ سَمَاهُ

(273) حكمت صالح جرجيس، "صلوات في محاريب الطفولة"، جريدة الثورة 1056، (1972)، 6.
(274) علياء دربك، "أدب الطفل المسلم في مواجهة العولمة"، مجلة الأدب الإسلامي 40، (2004)، 50.
(275) حكمت صالح جرجيس، أهانيزج المسلم الصغير، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2008)، 4.
(276) مسلم "الإمارة" 33.

فَأَجَابَ فُؤَادِي قَبْلَهُمَا: اللَّهُ.. اللَّهُ
قُلْ فِي السِّرِّ: مَا أَرَوَعُهُ
قُلْ فِي الْجَهْرِ: مَنْ أَبْدَعُهُ
اللَّهُ.. اللَّهُ.. اللَّهُ.. (277).

ويبدو أَنَّ الشاعر يؤكد على ترسيخ العقيدة الصحيحة في نفوس الأطفال، ويعلمهم أَنَّ لهذا الكون صانعا وموجدا، وقد أتقنى الصانع صنعه في خلق هذا الكون العظيم "إذا يجب توجيه الطفل إلى المسؤولية الملقاة عليه والعناية به وتوجيهه إلى ما ينفعه في مستقبله، وإشعاره بأنَّ هذه المسؤولية واجب ملزم" (278).

ومن الراجح ملاحظ العناية الكبيرة في تنشئة الطفولة، وفي بناء شخصياتهم بناء سليما؛ والعالم أدرك أَنَّ الأطفال هم الركائز الأساسية التي تبنى عليه الدول إذا ما أنشأناها نشأة صحيحة، ونلاحظ اليوم الاهتمام بالأطفال والرواج الكبير الذي تتمتع به كتب الأطفال في العالم فقد ظهرت تقاليد جديدة في سوق هذه الكتب، "فقد انتشرت مئات المكتبات المتخصصة ببيع الكتب الخاصة بالأطفال في أمريكا وأوروبا" (279).

ويحاول الشاعر غرس عقيدة التوحيد، وتهذيب النفوس بالذكر، ويورد ألفاظا إسلامية مثل (تسبح، تركع، وتسجد، الذكر) ويقول:

أَطْيَارُ الرِّوَضِ تُسَبِّحُ بِاسْمِكَ فِي الْفَجْرِ
وَسَوَاقِي النَّبْعِ يُرْقِرُهَا حُلُوُّ الذِّكْرِ
وَجَنَانُ اللَّهِ مَطْوَقَةٌ بِشَذَا الْعِطْرِ
وَذَا الْبُلْبُلُ بِاسْمِكَ غَرَّدُ
فَعُصُونُ الْفَلِّ تَرْكَعُ.. تَسْجُدُ
اللَّهُ.. اللَّهُ.. اللَّهُ.. (280)

(277) حكمت، أغاريد المسلم الصغير، 25.

(278) عبد الرزاق قاسم الصفار، "تربية الطفل ورعايته في الإسلام"، مجلة الجامعة 3، (1979)، 15.

(279) إخلاص عبد القادر، "كتب الأطفال الأكثر مبيعا في العالم"، مجلة ألف باء 1042، (1988)، 54.

(280) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 26.

ويبدو أنَّ الشاعر يحاول أن يوصل رسالة إلى الأطفال من خلال أشعاره،
ويريد إظهار عظمة الله، وقدرته على الخلق من خلال هذه الأنشودة التي
يحفظها الأطفال؛ كي تربيهم تربية سليمة، خلقا وعقيدة ويقول:

نورٌ يتدفقُ من قرصِ الشمسِ صَبَاحًا
ويُطَرِّزُ باسمِ اللهِ الآفاقَ وشَاحًا
قُرْبُكَ مِنِّي يجعلُ عيني
في كلِّ مكانٍ ترنو بأمان
أدعُ اللهَ فُرْ برضاه (281)

ويبدو أنَّ الشاعر يريد تقويم سلوك وفكر الطفل منذ نعومة أظفاره؛ لأنَّ

التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.

"وهناك تياران في الفكر الغربي يفسران سلوك الطفل الأول: يمثلُه الفيلسوف البريطاني (جون لوك)، والثاني: يمثلُه المفكر الفرنسي (جان جاك روسو) وإنَّهم نظروا إلى الطفل من جانبين مختلفين الأول: يرى التجربة، والتربية هما أساس النمو النفسي للطفل.. والثاني: يرى أنَّ الموروثة، والفطرة هما الأساس، وأنَّ استجابة الطفل لمؤثرات البيئة من تجربة وتلقين؛ هي عملية إيجابية؛ يتفاعل بها الطفل مع معطيات المحيط" (282).

ومن الواضح أنَّ الشاعر يحاول نزع المفاهيم المغلوطة من عقل الأطفال

التي يحاول الغرب زرعها في نفوسهم من خلال الأفلام الخيالية والكارتونية،

وهو يحاول زرع المفاهيم الصحيحة وزرع مفهوم التوحيد في مواجهة الصنمية

وحضارة التكاثر بالأشياء وتأليه الإنسان.

ويبدو أنَّ الشاعر يعمل جاهدا في كل الاتجاهات وهو يعلم المسلم الصغير

كل ما يحتاجه في مرحلة النمو، فيذكر الأدعية، وتعليم الأطفال صيغة الأدعية،

واللجوء إلى الله في كل الأوقات فيقول:

ليلٌ داكنٌ صمتٌ ساكنٌ
مع ذاك تراه يسجدُ لله
حين ينامُ الناسُ أناجي ربِّي مُحْتَسِبًا
وأحسُّ بأنِّي في هذه الدنيا مُعْتَرِبًا
حَسْبِي بِجِوَارِكِ يَا رَبُّ أَرَى لِي مُنْقَلَبًا

(281) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 26.

(282) إبراهيم كاظم العظماء، النمو النفسي للطفل، (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية، 1984)، 70.

ومعِيَ النَّحْلُ يَتَهَجَّدُ
ومعِيَ النَّمْلُ يَتَعَبَّدُ
أَهْنَاكَ إِلَهَ مَنْ دُونَ اللَّهِ؟!
اللَّهُ..اللَّهُ..اللَّهُ..(283).

ومن خلال هذه الأبيات لاحظنا أنَّ الشاعر يصف حال الليل الداكن الصامت بالعبرة، ويدعو المسلم لعبادة خالقه والاتصال به، ويسجد لله ويدعوه، ويتفكر في خلقه العظيم، ومن خلال ذلك يُعَلِّمُ الأطفال أنَّ أفضل وقت للمناجاة هو الليل لما فيه من سكينة وهدوء، وأنَّ الله يتجلى على عباده في الثلث الأخير من الليل، ويسأل عباده هل من حاجة أقضيها لكم، فهذا هو الوقت المناسب للدعاء، ويقول أنَّ النحل، والنمل يسبحون الله ويعبدونه، قال تعالى في محكم كتابه المنزل قال: (تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا)⁽²⁸⁴⁾، "إذا هكذا تتم تربية الطفل المسلم تربية صحيحة، وكذلك توعية الآباء، والأمهات إلى تهيئة الجو المناسب في تربية الأطفال بما توفره لهم من أسلوب الاعتدال، والحكمة في حياة الأسرة"⁽²⁸⁵⁾؛ لذلك تكون المسؤولية مشتركة وتقع على عاتق الجميع.

ويشير الشاعر إلى المضامين الأساسية في ديوان أغاريد المسلم الصغير وذلك من خلال تحديده للسياقات الرئيسية لقصائده في التأكيد على قدرة الخالق تبارك وتعالى، وإبداعه في الخلق من خلال منظور كوني، وزرع الإيمان في نفوسهم من خلال الترغيب والترهيب وتذكيرهم بما عند الله، وتخويفهم من عقابه، وتمجيد البطولات لأبطال الإسلام من خلال الرموز التاريخية⁽²⁸⁶⁾.

⁽²⁸³⁾ حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 27.

⁽²⁸⁴⁾ الإسراء، 44/17.

⁽²⁸⁵⁾ الصغار، تربية الطفل ورعايته في الإسلام، 25.

⁽²⁸⁶⁾ شوقي يوسف، فارس الأحلام الداخلي قراءات نفسية في شعر حكمت صالح، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2004)، 33.

ويذكر الشاعر في قصائده حسن السلوك وكيف يُقوم السلوك عند الطفل؛ لكي يكون في المستقبل رجل المرحلة الذي يعتمد عليه، ومحاولا بناء شخصيته من كل الجوانب ويقول:

حُسْنُ سُلُوكِي وَبِهِ أَنْعَمَ
دُونِ شُكُوكِ خُلُقِي أَقْوَمَ
إِنْ أَعْجَبْتُ؛ فَمِنْ الرَّجُلِ الْعَاقِلِ إِذْ يَجْحَدُ
وَمِنْ الْجَانِي وَالْمُجْرِمِ إِنْ عَاشَ وَأَفْسَدُ
كَيْفَ تَرَاهُ بِشَقَاوَتِهِ يَوْمًا يَسْعَدُ
يَا مَنْ تَظْلَمَ عُدُّ لَهِ
نَفْسَكَ فَارْحَمْ وَابْغِ رِضَاَهُ
الله..الله..الله (287).

ومن النصائح التي يقدمها الشاعر يعلمه حسن الخلق، والسلوك الحسن، وهو الأهم في التربية، وهو الشيء المفضل عند الله، والناس، وهو يعتقد اعتقادا صحيحا دون أي شك أنَّ خُلُقَ المسلم هي الأقوم؛ لأنَّه يستمد خلقه من الكتاب، والسنة النبوية.

والشاعر يعجب من بعض الممارسات غير الصحيحة، ومن خلالها يحاول تقويم شخصية الطفل المسلم ويبين له حال الجاحد في الله وإثها من أعجب العجائب أنَّ يجحد الإنسان إذ يقول: أعجب! يستخدم فعل التعجب، وهو يتعجب من ذاك الذي يجحد، وهل هناك مَنْ يجحد؟ يستفهم الشاعر ويتعجب من أولئك الذين يجحدون نِعَمَ الله، وَخَلَقَهُ الْعَظِيمِ، وكذلك من المجرم إِنْ عَاشَ وَأَفْسَدَ، فهل يمكن لهؤلاء أَنْ يستمروا بالعبث، والفساد، والجحود؟ الجواب كلا، فلا بد أن يأتي اليوم الذي يصحو فيه الضمير ويعود العابث، والجاحد، والمفسد لله، فينصح الشاعر هؤلاء، ومن خلال هذا النصح يعلم الأطفال أنَّ هذا الطريق غير صحيح، وقصير، وإنَّ الله لا يرضاه فيقول (يا من تظلم عُدُّ لَهِ) و(نفسك فأرحم

(287) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 27.

وابغ رضاه)، إذا ها هو يعلمهم بوجوب العودة إلى الخالق العظيم، ويجب أن نرحم أنفسنا ونرجو رضا الله وعفوه وغفرانه.

وينتقل الشاعر مع الأطفال من سن إلى سن، محاولاً أن يوجه كل عمر بما يناسبه من نصح وإرشاد، فكل عمر توجيهاته الخاصة به "ففي سن التاسعة نجد تحولاً من الخيال إلى الواقع، وهنا يشجّع الأطفال على قراءة الأدب الواقعي، وعادة ما يكون قد بلغ الطفل هذا الطور من القدرة الجيدة على القراءة" (288)، ويبدو أن الطفل بعد سن التاسعة يبدأ عنده النمو العقلي (أي يصبح لديه نضوج فكري) فهو يدرك الأشياء من حوله ويتفهم الأشياء على حقيقتها بعد أن تعلّم القراءة والكتابة، وكما يقول علم نفس النمو، إنّ أعضاء الجسم تنمو حسب الحاجة إليها فكل مرحلة تحتاج إلى نمو أحد أعضاء الجسم، وعلى سبيل المثال أنّ الطفل لا يحتاج العضو التناسلي إلا بعد بلوغه سن الثانية عشرة وما بعدها وهذا النمو يختلف حسب المناطق في العالم.

"وقد قام الدين- في كل مكان- بدور مهم في تشجيع الفن الروائي؛ لأنّ العقلية الدينية قد حاولت أن تتفهم البدايات، وراحت- لعدة أجيال- تحكي قصص الكائنات المقدسة" (289).

والراجح أنّ الطفل يمتلك حساً مرهفاً، وعاطفة جياشة، وخيالاً خصباً يرى من خلاله الأشياء، ونراه يطرب من أول ما يسمع الموسيقى، والشعر كما هو معروف عنه؛ إنّ كلمات متناغمة وبعد سماعها يحولها إلى سلوك يبني به شخصيته.

ونلاحظ عند الشاعر التوظيف القرآني واضحاً وحاضراً في شعره فهو يستخدم السياق القرآني، والألفاظ القرآنية في بعض أشعاره وإنّ دل هذا على شيء؛ فإنّه يدل على خلفية الشاعر الدينية، وتوجهه الإسلامي فهذا واضح من خلال أشعاره فهو يحاول تطعيم شعره بهذه الألفاظ النورانية، والروحانية؛ والتي

(288) محمد حسن الخفاجي، سيكولوجية ميول الأطفال القرآنية، (بغداد: دائرة الشؤون الثقافية، 1984) 23.

(289) عبد التواب يوسف، الطفل والموروث الشعبي، (بغداد: وزارة الثقافة والعلام، 1989) 66.

يستمدّها من كتاب الله العزيز ومن هذه الألفاظ (كتاب الله، من الظلمات إلى النور، وأشتاتا) وفي نشيد (كتاب الله) يقول الشاعر:

كتابُ اللهِ أخرجنا من الظلماتِ لِلنُّورِ
وَكُنَّا قَبْلُ أَشْتَاتاً
نَعِيشُ بِدُونِ تَفْكِيرِ
يُحَارِبُ بَعْضُنَا بَعْضاً
وَنَأْبَى أَيَّ تَغْيِيرِ

فلا الأيَّامُ تُنصِفُنَا ولا مِنْ حُسْنِ تدبيرِ⁽²⁹⁰⁾.

ومن الواضح أنَّ الشاعر قد استخدم لفظة (من الظلمات إلى النور) وهي من تراكيب القرآن الكريم، ومن خلالها يعلم الأطفال كيف كنا قبل بعثة النبي (عليه الصلاة والسلام)، كنا نعيش على الهامش ويقتل بعضنا بعضاً، ولم يكن هناك أي دستور يحكم الناس ولكن كان هناك دستور القوة، والقوي يأكل الضعيف، وبعد أن جاء الإسلام أضاء الدنيا ونقلها من الظلمات إلى النور، وهنا يحاول الشاعر

"تأصيل الإيمان بالعالم الآخر، وتحبيب الجنة، وأجوائها إلى الطفل المسلم؛ وذلك بالاستفادة من التصوير القرآني لها"⁽²⁹¹⁾، والهدف الأساسي للأشعار التي يقدمها الشاعر لتكون دليلاً ومرشداً للأبناء؛ في تفاصيل حياتهم اليومية ضمن التصور العقائدي الذي ينشؤون على أسسه.

واقترح الشاعر عالم الطفولة من أوسع الأبواب وأخطرها؛ محاولاً أن يرسم للأجيال طريقاً معبداً خالياً من المطبات، والتركيز على التفاصيل التي ينبغي أن يعيشها المسلم في ممارساته التعبديّة في طفولته المبكرة، والمتأخرة على السواء، ويقول الشاعر في النشيد نفسه:

إذا بالله يَهْدِينَا سَبِيلاً مِنْهُ يُدْنِينَا
يُعَافِينَا... وَيَشْفِينَا
فَيَحْدُو (المصطفى) فِينَا

⁽²⁹⁰⁾ حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 28.

⁽²⁹¹⁾ شوقي يوسف، فارس الأحلام الداخلي، قراءات نفسية في شعر حكمت صالح، 23.

فَإِنْ وَافَاهُ تَنْزِيلُ

يُعَلِّمُنَا الْعِلْمَ دِينًا

وَقُرْآنًا يُوجِدُنَا فَرْهَبٌ مِّنْ يُعَادِينَا⁽²⁹²⁾.

والواضح من كلام الشاعر أَنَّهُ يوضح للطفل المسلم فضل النبي (عليه الصلاة والسلام) على البشرية؛ فقد أرسله الله لأمة الثقلين يبين لهم أمر دينهم. يقول تعالى في محكم كتابه المنزل: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)⁽²⁹³⁾، وقال تعالى في محكم التنزيل: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطُّغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)⁽²⁹⁴⁾، أي نصيرهم وظهيرهم، ويتولاهم بعونه وتوفيقه ويخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، واستعارة الظلمات للكفر؛ لأنَّ الظلمات حاجبة للأبصار تحجب حقيقة الأشياء، والكفر يحجب أبصار القلوب على إدراك حقيقة الإيمان، واستعار لفظة النور للإيمان؛ والذي بدوره يجلي الظلام، ويوضح رؤية حقيقة الأشياء، ولقد تعلمنا من رسولنا الكريم كل ما جاء به الوحي، فهذه الآيات توحدنا وتعلمنا؛ لما فيها من معاني، وحكم وعبر فترهب بها من يعادينا، ومن خلال تعظيم كتاب الله يحاول الشاعر إيصال رسالة للأطفال مفادها توضيح عظمة الله، وكتابه، ورسوله، وخلقه لأمة الثقلين لكي يتعضوا مما يرويه من عظمة في كتاب الله المعجز فيقول الشاعر:

كِتَابُ اللَّهِ إِذْ يُتْلَى تَحَدَّى الْإِنْسَ وَالْجِنَّا

فَلَمْ يَأْتُوا بِهِ شَكْلًا

وَلَمْ يَأْتُوا بِهِ مَعْنَى

فَقَرُّوا يَا بَنِي الْإِسْلَامِ

بِنُورِ كِتَابِكُمْ عَيْنًا

⁽²⁹²⁾ حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 28.

⁽²⁹³⁾ سبأ، 28/34.

⁽²⁹⁴⁾ البقرة، 257/2.

تَعِيشُوا عُمْرَكُمْ بِسَلَامٍ وَتَلَقُّوا عِنْدَهُ الْأَمَنَةَ (295).

والشاعر يحاول أن يبين قدرة الله تعالى وعظمته في تحدي كل المخلوقات من الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن أو بسورة من مثله يقول تعالى: (قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) (296)، فالشاعر يستلهم المعاني من القرآن الكريم ويوظفها في شعره فيقول: قروا عيونكم بني الإسلام بهذا الكتاب العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فهو محفوظ بإذن الله يقول تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (297)، ويسترسل الشاعر في ذكر كتاب الله ويبين (للطفل المسلم) بأن هذا الكتاب الذي بين أيدينا؛ جعله الله دستوراً نعمل به في حياتنا، وهو ليس كباقي الدساتير التي وضعها الإنسان، فدستور الله أعظم الدساتير، يقول تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (298)، وإذا ما واجهتك أي مشكلة في حياتك فعد إلى كتاب الله تجد فيه مبتغاك فيقول الشاعر عن كتاب الله فيه: (تفسير، حلول مقنعة، موثقة بتبرير) أي منزلة من الله الواحد الأحد، وتجد فيها كل شيء فيقول الشاعر:

كِتَابُ اللَّهِ دَسْتُورٌ وَلَيْسَ كَكُلِّ دَسْتُورٍ
إِذَا اعْتَرَضَتْكَ مُعْضَلَةٌ
عَلَيْكَ إِذْنٌ بِتَفْسِيرِ
حُلُولٍ فِيهِ مُقْنَعَةٌ
مُوثَقَةٌ بِتَبْرِيرِ
وَيَكْفِي مِنْ عِبَادَتِنَا أَنْ امْتَأَزْتَ بِتَفْكِيرِ (299).

(295) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 29

(296) الإسراء، 88/17.

(297) الحجر، 9/15.

(298) ق، 16/50.

(299) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 29.

ومن خلال معركة الإنسان مع الشيطان يقرب إلى الأطفال فكرة الصراع الأبدية بين الخير والشر، والإيمان والكفر، ويمكن لصورة شعرية "أن ترسم لنا الساحة على امتدادها، والحركة التي توجب الصراع بين الجانبين، فتمنحنا القناعة أن على الإنسان المؤمن أن يكون مفتوح العينين؛ وألا يغفل لحظة في معركة أبدية متصلة الحلقات، كان الشيطان يحلم عبرها بالبطولة؛ لكي يمحق الخير، والحق، ويظهر الفساد في الأرض" (300). فيقول الشاعر:

الحربُ سَجَالُ
ومَعَارِكُنَا تَنْزَى

الشيطانُ الأكبرُ يحلُمُ باللقبِ الأسمى (301).

والواضح أن الشاعر يؤكد أهمية المعركة الأبدية بين الخير، والشر وإن الإنسان لا محال منتصر إذا ما تمسك بكتاب الله وعمل به فهو نور يقتدى به في الظلمات، وفي صورة أخرى يطرح الشاعر واحدة من هذه الصراعات الأبدية بين الخير، والشر فيقول بلغة الشعر إن علينا أن ننتبه أكثر إلى خصمنا لأنه موجود في كل مكان وزمان ويمكن أن يظهر لنا في أي وقت في الليل، أو النهار؛ لأنه يتربص بنا الدوائر ويحاول أن يوقعنا في الخطأ؛ وكل ذلك بسبب معصيته لله، وغيخته، وحسده، لبني البشر لأن الله عندما أمرهم بالسجود لآدم سجد الملائكة، ولكن إبليس أبى السجود، ولكن الشاعر يقول إن العبرة بالنتيجة إذا عرفنا كيف نستكمل الأسباب فيقول:

مابِينُ الفَيْتَةِ والأُخْرَى
يُشْعَلُ من تَحْتِ الأَرْكَانِ
فُتِلَ الفِتْنَةُ والإِجْرَامُ
لَكِنَّ النَّصْرَ المَحْنُومُ

للراية.. يخفُّ فيها اسمُ الرحمان (302).

(300) عماد الدين خليل، "مدخل إلى ديوان حي على الفلاح"، مجلة المشكاة 9، (1988)، 65.

(301) حكمت صالح جرجيس، "ديوان حي على الفلاح"، مجلة فلسطين المسلمة 9، (1993)، 59.

(302) حكمت، ديوان حي على الفلاح، 59.

والراية التي يخفق فيها اسم الرحمن، كلمة (يخفق) هذه؛ على وجه التحديد يتوقف القارئ قبالة المعركة الإيمانية، "إنَّها معركة يخفق فيها اسم الله، ليس على الراية فحسب، بل في القلوب، والعقول، والوجدان، وفي العيون التي تبحث عن الخصم، والأيدي التي تضرب عنقه، في سيول المجاهدين التي تخرج في كل زمان، ومكان؛ حاملة الراية التي تخفق منتظرة إحدى الحسنين: النصر أو الجنة" (303)، يشير الشاعر إلى المعركة بين معسكر الرحمن، ومعسكر الشيطان، والخلود الأبدي للمؤمنين؛ الذين يضحون بأنفسهم في سبيل الله، ويستحضر كلام المجاهد في سبيل الله (أبو محجن) في معركة القادسية ويرسل على لسانه "رسالة لكل مأسور، ومسجون، ومكفوف عن الفعالية الجهادية، ويوظف هذا الحدث التاريخي توظيفاً معاصراً" (304)، ويقول في قصيدة صرخات (الشوق إلى الموت) ويقول:

أُطْلِقْنِي
كَيْ أَرَى مِنْ خِلَالِ الْمَوْتِ وَجُوهًا لِلْحَيَاةِ
إِنَّ عَصْرًا؛ لَوْ خَلَا مِنْ صَرَخَاتِ
خَلَدَتِهَا ذِمَّةُ التَّارِيخِ يُلْقَى
فِي سَلَالِ الْمُهِمَلَاتِ (305).

وفي قصيدة الشهيد المجهول تتجلى الرغبة المكبوتة في الشهادة، ويشبه الشاعر الشهيد بالنجم الذي يحرس الأمة، "ويقتبس لصورته الفنية معاني قرآنية؛ فالنجوم في الرؤية القرآنية تؤدي دوراً كونياً.. غيبياً حين تقذف الشياطين بالشهب، والشواظ لتصددها" (306). ويقول:

هُنَاكَ هَوَى
هُنَاكَ دَوَى
خَبَا فِي رَحْبَةٍ مِّنْ عَالَمِ الْإِثَارِ

(303) عماد الدين خليل، "مدخل إلى ديوان حي على الفلاح"، 66.

(304) محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 38.

(305) حكمت صالح جرجيس، "صرخات الشوق إلى الموت"، مجلة التربية الإسلامية 10، (1986)،

64.

(306) محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 39.

مَجْهُولَ الْهَوِيَّةِ
تَنَاءَى فِي رَحَابِ الْخُلْدِ أَنْوَارُ
أَهَازِيجًا.. تَلَقَّنَهَا الْحَمَامُ
فَرَاخَ يَشْدُوهَا
وَبَعْضُ مَنْ تَرَانِيمَ الْحَمَامِ فَمُ
يُذَكِّرُنَا بِزَيْتُونَاتِ مَرْعَانَا
تَعَرَّتْ عَنْ وَرِيقَاتِ اخْضِرَارٍ
عَنْ جِرَاحٍ
طَالَمَا صَاخَ الْجِرَاحُ
أَجَابَ مُعْتَصِمُ
أَلَا لَبَّيْكَ (بَيْسَانُ)
أَلَا لَبَّيْكَ (نَابُلُسُ)
أَتَاكَ.. أَتَاكَ (مُعْتَصِمُ) (307).

ويبدو من كلام الشاعر أنَّ الجندي المجهول لم يفن وإنَّه قد استقر في ملكوت الغيب؛ لأنَّه ضحى بروحه من أجل القيم والمبادئ ويقول: (ربنا اتمم علينا نورنا)، "وبينما ظلت ذكره متعلقة بذكريات البشر المتطلعين إلى الحياة الكريمة، يثيرها شدو الحمام الحزين؛ الذي يحيل الشاعر إلى زمن الخصب والخضرة الدائمة فكانت قافلة الشهداء هي أوراق الزيتون الأخضر التي تساقطت" (308)، ولعل الشاعر يشبه قافلة الشهداء بأوراق الزيتون؛ التي تساقطت من الشجر؛ لتطلق صيحات الأخذ بالثأر والانتقام من الأعداء وتنادي على المعتصم بالله.

والواضح أيضا أنَّ الشاعر يوظف في قصيدته الشهيد المجهول، وكلام تلك المرأة التي استنجدت بالمعتصم وقالت (وامعتصماه) فالشاعر يحاول ربط الأحداث من الماضي بالحاضر، ومن خلاله يوجه نفسية القارئ إلى المستقبل الأفضل.

(307) حكمت صالح جرجيس، "الشهيد المجهول"، جريدة الثورة 483، (1970)، 10.

(308) محمد رشدي عبيد، محاور من الشعر الإسلامي المعاصر، 40.

ويبدو أنَّ الشاعر متأثر جدا بالأحداث التاريخية، ويعود سبب ذلك إلى؛ خلفيته الدينية والقيم والمبادئ التي تشربها من الإسلام وكانت هذه الخلفية؛ هي الدافع الأقوى في انفتاح قريحته الشعرية، وهو يرى أرض الإسلام تُسلب، وأنَّ الناس قد ابتعدوا كثيرا عن الدين فهو يحاول أن يغرس روح التضحية، والفداء، وبذل الأرواح رخيصة في سبيل الله، وهو يرى أنَّ الشهادة هي الحل الأمثل في الدفاع عن المقدسات؛ لذلك من خلال أشعاره يحاول أن يزرع في نفس الطفل المسلم؛ حب الجهاد في سبيل الله، وأن نستخلص الدروس والعبر من الشهداء الذين بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله، ونقتدي بالشخصيات الإسلامية القدوة الذين ضحوا بأرواحهم من أجل دين الله ونشر الدعوة، ولا ننسى أنَّ التوجهات الدينية تعد مصدرا مهما ومقدسا للشعوب الإسلامية، وهذا التوجه يجعلهم يميلون إلى الحق، والعدل، ويقبلونها بكل رحابة صدر، ويهتمون بها اهتماما بالغا؛ لأنَّها من صميم عقيدتهم .

ويعود الشاعر مرة أخرى بعد أن أخذ ملف الشهادة بعيدا وهو يحاول أن يزرع التضحية، والجهاد في نفوس الأطفال، ويعود إلى ديوان أغاريد المسلم الصغير، ويوظف التراكيب الدينية المستوحاة من كتاب الله وسنة نبيه (عليه الصلاة والسلام) فهي أقرب إلى نفوس الأطفال؛ خصوصا إذا ما تربوا على العقيدة الصافية، القيم، والأخلاق الحميدة فيقول:

يُرِيدُ الْكَافِرُونَ لِيُطْفِئُوا نُورًا بِأَفْوَاهِ
وَيَأْبَى النُّورُ إِلَّا أَنْ
يُتِمَّ سَنَاءُ اللَّهِ
وَلَوْ كَرِهُوا، فَذَلِكَ شَأْنُ
مَنْ يَأْتِي بِإِكْرَاهِ

وكيف الحق لا يَهْوِي بصره رُكْنُهُ واهي (309)

وأراد الشاعر أن يوصل رسالة؛ مفادها أن إرادة الله هي المنتصرة مهما فعل الكافرون؛ فلا بد أن ينتصر الحق في النهاية، ومهما حاولوا إطفاء نور الله،

(309) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 30.

وتغيب الحقيقة؛ إلا أن الله متم نوره ولو كره الكافرون، وهذه هي مشيئة الله في خلقه، وهو يقول كيف الحق لا ينتصر ويهوي ذلك الصرح الواهي المبني على أرض هشة.

ويحاول الشاعر من خلال تنظيمه لهذه الأشعار أن يغرس في نفس الطفل المسلم حب الله، وكتابه، والعمل بما أَراده الله، ويجب أن نترجمها إلى أفعال وليست أقوالاً فقط؛ لأنَّ المحبة إتباع وليست أقوالاً فقط؛ أي إنَّك إن أحببت نبيا؛ فعليك إتباعه بالقول، والفعل، إذا يجب العمل بالدستور الذي أنزله الله لنا، ونتدبر آياته المحكمات، ونتبع نبيه، فيقول الشاعر:

عُدُوبَةُ هَذِهِ الْآيَاتِ أَنْ تُتْلَى مَعَ الْفَجْرِ

وَأَرْوَعُ أَنْ تُتَرْجِمُهَا
سُلُوكًا طِيلَةَ الْعُمُرِ
نُضِيفُ إِلَى تَعَامُلُنَا
بِهَا دُخْرًا إِلَى دُخْرِ

فَنَلْقَى اللَّهَ فِي فَرَحٍ هُنَاكَ بِرَحْمَةِ الْحَشْرِ (310).

وهنا يشير الشاعر إلى وقت الدعاء لأنها أوقات استجابة الله وخصها بوقت (الفجر)، ويجب أن نترجم آيات الله وتعاليمه إلى عمل طيلة العمر؛ حتى لا نحيد عن الحق؛ ولكي نلقى الله يوم الحشر بوجه أبيض، مطمئنين، آمنين من عذابه، مستبشرين بجنّته، ونعيمه، قال تعالى: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (311).

ويقول الشاعر إنَّ كتاب الله يشرفنا ويجعلنا أفضل الأمم بإتباعه والعمل بمحتواه ولذا نجد بأنَّ كتاب الله يعود مرة تلو المرة لكي يتحدث عن إبداعية الله سبحانه في خلقه، وبين لحظة وأخرى يغادر الشاعر من أجل التنويع الفني

(310) حكمت ، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 31.

(311) الشعراء، 88/26.

ويعود إلى التجريدات والمعاني، ولكن بالمستوى الذي يتناسب مع عقلية
ووجدان الأطفال وقدرتهم على استيعاب الكلام⁽³¹²⁾. ويقول:

كِتَابُ اللَّهِ شَرَّفَنَا فَصَرْنَا أَحْسِنَ الْأَمَمِ

سَلُوا عَنْهُ صَحَارَانَا

وَجِيرَانًا بِذِي سَلَمٍ

نُفَاخِرُ فِيهِ مَنْ مَرَجُوا

عُصَارَةَ فِكْرِهِمْ بِدَمٍ

فَلَمْ يَصِلُوا لِمَا وَصَلْتُ مَعًا لَيْنًا مِنَ الْقِيمِ⁽³¹³⁾

ومن خلال هذه الأبيات يبين الشاعر للمسلم الصغير؛ أنه لامناص من العمل
بكتاب الله؛ فهو شرف لنا وعلينا إتباعه، ونفاخر به الذين مزجوا عصارة فكرهم
بدم، فلم يصلوا لما وصلنا نحن إليه؛ بإتباعنا ما أمرنا الله به، وهذا كله يبني من
خلال العقيدة، فالشاعر يركز على الجانب العقدي دائماً؛ لأنَّ العقيدة الصحيحة
تنجي صاحبها من الهلاك، "وبالتالي ترجمة تلك التعاليم إلى واقع يومي مع
تركيز الشاعر على حالة التطلع التي يود الشاعر أن يزرعها في وجدان الطفل
بغية التماهي بروح الجماعة والدفاع والجهاد في سبيل الله المبادئ والتعاليم التي
تحملها"⁽³¹⁴⁾، والراجح أنَّ الشاعر يؤكد كثيراً على بناء شخصية الطفل،
محاولاً إنشاء جيل قوي يعتمد عليه بالملامات، وغرس حب النبي(عليه الصلاة
والسلام) في نفوسهم فيقول الشاعر:

أَكْتُبُ اسْمَ نَبِيِّ الْأَكْرَمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مِمْ..حَاءٌ..مِمْ..دَالُ

اسْمُ تَكْتُبُهُ الْأَجْيَالُ

فَوْقَ جَبِينِ الشَّمْسِ نَدِيًّا

وَالْفَرَحَةُ مِنْهُ تَنْهَالُ

⁽³¹²⁾ عماد الدين خليل، "مدخل إلى ديوان أغاريد المسلم الصغير"، مجلة الأدب الإسلامي 14، (1997)،

40.

⁽³¹³⁾ حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 31.

⁽³¹⁴⁾ شوقي يوسف، فارس الأحلام الداخلي، قراءات نفسية في شعر حكمت صالح، 30

ففي نشيد النبي الأكرم (عليه الصلاة والسلام) "نجد شيئاً آخر؛ قد يدهش الأطفال ويثير إعجابهم؛ لأنه يعرف كيف يعتمد التقطيع الحرفي⁽³¹⁵⁾، يحاول الشاعر أن يداعب أحاسيس الأطفال، ويزرع في نفوسهم حب النبي الأكرم "ونلفت الانتباه هاهنا كلمة (لمحمدنا) بضمير الجمع المضاف إلى اسم الرسول (عليه الصلاة والسلام)؛ هذا يجعل الأطفال يتلقون إحساساً فريداً مترعاً بالاغتراز، أن النبي هو نبيهم، وأن محمداً (عليه الصلاة والسلام) هو محمدهم"⁽³¹⁶⁾ فيتابع الشاعر بسرد النشيد ويقول:

ميمٌ.. حاءٌ.. ميمٌ.. دالٌ
يشدُّ القلبُ بصوتِ عالٍ
لِمُحَمَّدِنَا نُنشِدُ: هَيَّا
نَضْرِبُ لِلْمَجْدِ الْأَمْثَالَ
ميمٌ.. حاءٌ.. ميمٌ.. دالٌ
نُورٌ يَرْفُلُ فِي إِجْلَالٍ
ميمٌ.. حاءٌ.. ميمٌ.. دالٌ
الْحَقُّ وَمَا بَعْدُ ضَلَالٌ
لَا يَجْمَعُ مَنْ كَانَ نَقِيًّا
مَابَيْنَ حَرَامٍ وَحَلَالٍ
ميمٌ.. حاءٌ.. ميمٌ.. دالٌ
رَمَزُ لَجَمِيعِ الْأَبْطَالِ
يَهْدِي لِلْخَيْرِ الْأَجْيَالِ⁽³¹⁷⁾

والواضح من كلام الشاعر أنه قد جمع معاني كثيرة في هذا النشيد، وصفات النبي الذي نضرب به الأمثال، ونفتخر به، فهو النور الذي أرسله الله لنا ليخرجنا من الظلمات إلى النور، "فيوجز الشاعر في هذه الكلمات القلائل ما

⁽³¹⁵⁾ عماد الدين خليل، سبع مداخل إلى عالم الشعر الإسلامي المعاصر، (الموصل: منشورات البراق الثقافية، 2003)، 108.

⁽³¹⁶⁾ خليل، سبع مداخل إلى عالم الشعر الإسلامي المعاصر، 109.

⁽³¹⁷⁾ حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 33.

تقوله الكتب والبحوث في عشرات الصفحات، وتمنحه للأطفال بصيغة مقبولة،
ومؤثرة قد تجري مجرى الأمثال" (318)، ويقول:

ميمٌ.. حاءٌ.. ميمٌ.. دالٌ
كُنَّا نرْسِفُ في الأَغْلَالِ
إِذْ أَرْسَلَهُ اللهُ نَبِيًّا
فَحَدَا مَوْكِبَنَا الْأَمَالَ
ميمٌ.. حاءٌ.. ميمٌ.. دالٌ
صَدَا يُقْبَعُ في الْأَقْفَالِ
فَتَأْمَلُ في ذَاكَ مَلِيًّا
يَنْفَكُ عَلَى آيَةٍ حَالٍ (319)

إذا لاسبيل لنا في إزالة ذلك الصدا الذي قبع على القلوب؛ إلا باتباع سنة
النبي الأكرم (عليه الصلاة والسلام) فإن كل الصدا سوف يزول بإذن الله؛ لأنَّ
المؤمن ينظر بنور الله، والشاعر يحبب الأطفال بالجهاد، ويغرس في نفوسهم
العمل في سبيل الله؛ لأنَّه لا عز لنا إلا بالجهاد في سبيل نشر دين الله فيقول
الشاعر في قصيدة النبي الأكرم:

ميمٌ.. حاءٌ.. ميمٌ.. دالٌ
في الصَّوْلَةِ نَحْنُ الْأَشْبَالُ
لَا نَخْشَى في الْحَقِّ شَقِيًّا
وَبَدَا نَجْتَازُ الْأَهْوََالَ

ولعل الشاعر يريد أن يصل مع الطفل المسلم إلى نتيجة حتمية؛ أنَّه لاسبيل
لنا إلا في بذل الأرواح رخيصة في سبيل الله في الصولة على الأعداء في سوح
الوغى، ويربي الأطفال على ألا يخشوا في الحق لومة لائم، وأن يبذلوا أرواحهم
رخيصة في الأهوال في سبيل الحق كما بذلها أجدادنا في نشر دين الله،
ويسترسل الشاعر ويقول:

ميمٌ.. حاءٌ.. ميمٌ.. دالٌ
لِلشَّرِّ مُؤَشِّرُهُ الدَّالُ

(318) خليل، سبع مداخل إلى الشعر الإسلامي المعاصر، 109.

(319) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 34.

لَمْ يَبْقَ لِطَاغُوتٍ بُقْيَا
سُلْطَانُ الْبَاطِلِ قَدْ زَالَ⁽³²⁰⁾.

والواضح أَنَّ الشاعر انتقل مرة أخرى إلى موضوع آخر، وهو أَنَّ الشر لا يدوم طويلا، ولا بد أَنْ يأتي يوم ويزول فيه الطواغيت، فيذكرهم أين الطواغيت؟ فهم زائلون لا محالة بإذن الله الواحد الأحد ويبقى الحق شامخا إلى قيام الساعة ويقول تعالى في محكم التنزيل: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ)⁽³²¹⁾، ومن بعد أَنْ استرسل الشاعر في مسائل العقيدة، وبين للطفل المسلم، والأجيال الصاعدة حب الله ورسوله، وحببيهم بالجهاد في سبيل الله، وتعليمهم العبادات، والذكر، والتسبيح، والصلاة، يسترسل وينتقل بنا إلى موضوع آخر ويدخل مدخلا جديدا وهو الترغيب فيما عند الله من جنان وما ينتظرهم من خير، ونعيم مقيم في الجنة؛ التي أعدها الله للمتقين، فهنا يحاول الشاعر توضيح الجنة للأطفال، ووصفها لهم لكي يبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله، وَأَنْ يعمل العبد لله خوفا من عذابه، وطمعا بما عند الله من نعيم مقيم للمتقين يوم القيامة فيقول:

أَجْمَلُ مَا يُتَصَوَّرُ فِكْرًا	مَا جَاءَ عَنِ الدَّارِ الْآخِرَى
مَنْ يَتَمَنَّى الْجَنَّةَ أَجْرًا	يَصْنَعُ مِنْ دُنْيَانَا جِسْرًا
أَنْعِمَ بِالْجَنَّةِ مِنْ بُشْرَى	مَادَامَ عَدُوٌّ يُعْقَبُ أَمْرًا ⁽³²²⁾

ويبدو من خلال كلام الشاعر أَنَّهُ يريد بناء الأجيال الصاعدة بناء فكريا صحيحا، ويقول أجمل ما يتصور فكرا ما جاء عن الدار الآخرة، وما فيها من نعيم مقيم للمتقين، وَأَنَّ طريق الجنة محفوف بالمخاطر، ويجب أَنْ يكون المؤمن جسرا يعبر عليه إخوانه المسلمون، فيضحي من أجلهم؛ لكي ينال شرف الدخول إلى الجنة، وهم يعبرون إلى بر الأمان فهذا هو الحب الحقيقي الذي يكنه المسلم لأخيه المسلم يضحى من أجله ابتغاء الثواب من عند الله إذا ما أراد دخول الجنة

⁽³²⁰⁾ حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 34.

⁽³²¹⁾ الرعد، 17 / 13.

⁽³²²⁾ حكمت، أغاريد المسلم الصغير، 36.

فثمن الجنة باهظ جدا، ويصورها لهم بصورة مبسطة؛ لكي تكون الصورة واضحة عندهم فلا بد أن يورد الألفاظ البسيطة السلسة لكي يفهمها الأطفال فيقول:

فَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ.. بِكُؤُوسٍ أُرِيحُ
كُلُّ يَنْعُمٍ بِالرَّضْوَانِ.. فَالْعَيْشُ بِهِيْجُ
تَمْتَدُّ سُهُوبٌ وَمُرُوجٌ فِي الْجَنَّةِ
الْعَيْشُ سَعِيدٌ وَبِهِيْجُ فِي الْجَنَّةِ
أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَرْفُلُ بِالشَّهْدِ
في الجنة.... تجري الأنهار خمراً وعسل
في الجنة.... تَشْدُو الْأَطْيَارُ سَجْعاً وَزَجْلُ
في الجنة.... تَزْهُو الْأَزْهَارُ حُلِيّاً وَحُلْلُ
في الجنة.... يَدْعُو الْأَبْرَارُ مِنْ غَيْرِ مَلَلٍ
بِمَشَاعِرِ خُضِرٍ كَالرَّفْرِفِ (323)

فهذه هي حال الجنة للمتقين وما أعده الله لهم، وللشهداء ففيها من الولدان المخلدين الذين يطوفون على المؤمنين، والشهداء؛ بكؤوس من نعيم فهناك العيش البهيج يتنعم به مَنْ صلح عمله، ورضي عليه ربه، وأدخله جنته فهو لاء المؤمنون سعداء بما آتاهم الله من نعيم مقيم في الجنة، التي فيها أنهار من عسل مصفى، وخمر، والطيور تغرد على الأشجار، وتصيح، وتسبح لخالقها، والأزهار متفتحة تضيء جمالا على جمال، وتفوح منها رائحة زكية طيبة تشفي النفوس، وسماهم الشاعر الأبرار الذين فازوا بما عند الله من نعم فيدعون ربهم من دون ملل، أو كلال، لما آتاهم من فضله فيقول الشاعر:

فِي الْجَنَّةِ يَجْمَعُنَا الْمَوْلَى
يَنْزَعُ مِنْ رِئْتَيْنَا الْغَلَا
لَا فَرْقَ هُنَاكَ.. لَا فَضْلًا
سَنَرَى الْحَقَّ مَعَنَا وَالْعَدْلَا
لَا لَغْوَ هُنَاكَ.. لَا جَدَلَا
سَنُجَدِّدُ فِي اللَّهِ الْأَمَلَا

(323) حكمت، أغاريد المسلم الصغير، 37.

فِي حَيْثُ يُكْرَمُ مَنْ نَزَلَ
قَدْ جَمَعَ الْمَغْرِبَ بِالْمَشْرِقِ
تَشْفَعُ لِلأُمَّةِ

لَا زَيْفَ هُنَالِكَ.. لَا دَجَلَ
لَأَبِي الْقَاسِمِ فِيهِمْ بَيَّرَقَ
حَاشِيَةً فِيهِ؛ إِنْ تَخَفَقَ

كَيْ تُعْتَقَ (324)

وفي الجنة يجمع الله المؤمنين مع مَنْ يحبون وينزع الله من قلوبهم الغلّ ويقول تعالى: (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) (325)، ويبين الشاعر للأجيال أنّه لا يوجد فرق بين أبيض، أو اسود، ولا عربي، وأعجمي إلّا بالتقوى (فَإِذَا تُفَخَّ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) (326)، ويذكر الشاعر مناقب النبي (عليه الصلاة والسلام) وهو صاحب الشفاعة، وصاحب المقام المحمود، ويرفع بريق لا إله إلّا الله محمد رسول الله؛ الذي تستظل تحت ظله الخلائق من المشرق والمغرب؛ لأنّه ليس هناك فرق بينهم إلّا بالتقوى، ويذكرهم بشفاعة النبي (عليه الصلاة والسلام) وهو يشفع للأمة كي يعتقها من النار قال تعالى: (وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ) (327)، ويقول الشاعر سوف نرى حال الأبرار، والأشرار يوم القيامة فيقول:

سَنَرَى الْأَبْرَارَ وَنَرَى الْأَخْيَارَ
وَسَنَرَى فِي الْفِرْدَوْسِ الرُّسُلَا
كُلٌّ فِي رُتْبَتِهِ احْتِفَالًا
تَحُلُو فِي شِدْوِهِمُ الْأَذْكَارُ
سَنَرَى النُّوَّارَ
ضِدَّ الْأَشْرَارُ

لَا يَخْشَى خَوْضَ

الْمُؤْمِنُ رَمَزُ الْأَحْرَارِ

الْأَخْطَارُ (328)

(324) حكمت، أغاريد المسلم الصغير، 39.

(325) الحجر، 15 / 47.

(326) المؤمنون، 23 / 101.

(327) الضحى، 93 / 5.

(328) حكمت، أغاريد المسلم الصغير، 39.

وهنا يبين الشاعر للأجيال من خلال أشعاره حال أهل الجنة من الأنبياء، والمؤمنين، والشهداء، فمن خلال كلام الشاعر يتضح أنَّ يوم القيامة تسقط الأقنعة، وتظهر الوجوه على حقيقتها فيظهر الإنسان بمظهره الحقيقي من دون تزييف كما كانوا في الدنيا يُظهرون الوجوه الأخرى المزيفة، فيقول الشاعر سنرى الأبرار، ونرى الأخيار، ومنازلهم في الجنة لأنَّه لكل مسلم درجة في الجنة حسب أعماله على عكس النار، فهي دركات إذا لكل واحد منا درجة يحصل عليها يوم القيامة، ويسترسل الشاعر ويقول سنرى ونعلم حال الثوار الذين ثاروا ضد الباطل وبذلوا أرواحه رخيصة في سبيل الله، ويشير إلى الشهداء الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الله، وسنرى الأشرار وما عملوه في الدنيا ضد إخوانهم من المؤمنين المظلومين، وحاربوا الحق، ففي الجنة يكون الثوار، وفي النار يكون الأشرار، والمؤمن رمز للحرية والأحرار في العالم ولا يخشى الأخطار؛ لأنَّه مؤمن بالقضاء والقدر، وهذه كلها أقدار مقدرة من عند الله فلا تخشى الموت؛ لأنَّها من الغيبيات يقول تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)⁽³²⁹⁾، وينتقل الشاعر إلى الدنيا، وأحوالها، ومصير من عاشوا على ظهرها، ويبين أنَّ الجنة أحلى؛ لأنَّها الدار الآخرة ويعيش بها المؤمن إلى الأبد متنعمًا بنعم الله ويقول:

أَجْمَلُ مَا يُتَخَيَّلُ عَقْلاً لَيْسَ سِوَى الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى
الْجَنَّةُ أَحْلَى الْجَنَّةِ أَعْلَى
غُرَبَاءُ نَحْنُ بِذِي الدُّنْيَا سَنَمُوتُ إِذَنْ مَهْمَا نَحْيَا
الْجَنَّةُ مَوْطِنُنَا الْأَوَّلُ
فَهِيَ الْأَحْلَى وَهِيَ الْأَجْمَلُ
عَنْهَا الْمُؤْمِنُ لَنْ يَتَحَوَّلَ⁽³³⁰⁾ .

⁽³²⁹⁾ لقمان، 34/31.
⁽³³⁰⁾ حكمت، أغاريد المسلم الصغير، 41

والراجح أنَّ الشاعر يريد توصيل رسالة إلى الطفل المسلم، ويرسخ في عقله أنَّ الجنة هي أفضل المساكن، ولاسيما الفردوس الأعلى؛ لأنها أعلى المنازل، وأعظم الدرجات، ويسترسل ويقول إنَّ هذه الدنيا لن تدوم طويلاً؛ لأننا في النهاية صائرون إلى الموت لا محالة؛ فهذا هو مبتغانا ولا نرضى بغير الجنة منزلة.

والشاعر كما قلنا ينتقل من مرحلة إلى أخرى في توجيه المسلم الصغير، ويجب على المسلم الاقتداء بالمتلى الأعلى، والقوة الحسنة، ويتبع القادة العظام من الشخصيات الإسلامية الفذة، ويقتدي بهم؛ لأنهم أجدادنا الذين نشروا الإسلام في كل بقاع العالم، وضحوا بالغالي، والنفيس من أجل مرضاة الله، كيف لا وهم مَنْ رفع راية الإسلام عالية خفاقة، ورفعوا من شأن الإسلام فيقول الشاعر:

جَدُّنَا خَالِدٌ جَدُّنَا ابْنُ الْوَلِيدِ
سَيِّفٌ صَامِدٌ عَزْمُهُ مِنْ حَدِيدٍ

سَلَّمَ اللَّهُ مَنْ غَمَدِهِ
مَنْ سَيِّفُورٍ عَلَى رَدِّهِ
قَائِدٌ صَالٍ فِي جُنْدِهِ
كَبَّرَ النَّصْرُ مِنْ بَعْدِهِ

مَجْدُهُ خَالِدٌ طَارِفٌ وَتَلِيدٌ
كَاسِمُهُ خَالِدٌ فِي سِجْلِ الْوُجُودِ⁽³³¹⁾

وفي نشيد (خالد بن الوليد) تأكيد على قيم البطولة التي سطرها القائد البطل خالد بن الوليد "سوف يكتب الشاعر فيما بعد رباعيات يرسم من خلالها حشوداً من النماذج البشرية التي يحاول بواسطتها أن يقدم البطولة الإسلامية في مستوياتها المختلفة"⁽³³²⁾، والشاعر أثار موضوعاً مهماً كيف نربي أطفالنا على البطولة والشجاعة؛ لأنَّ الأسلوب العام في تربيتنا هو الذل والخضوع، ويبدو أنَّ هذا القائد العظيم يمنح الأطفال الاعتزاز به وهو خير قدوة يُقتدى بها؛ لأنَّ

⁽³³¹⁾ حكمت صالح جرجيس، ديوان أغاريد المسلم الصغير، (عمان: مؤسسة دار البشير، 1994)، 43.

⁽³³²⁾ خليل، سبعة مدخل إلى الشعر الإسلامي المعاصر، 109.

البطولة محط أنظار الصغار، وأنَّ الأطفال تجد في البطولة مبتغاها، وتشبع في نفوسهم أكثر من حاجة.

والواضح من أسلوب (حكمت صالح) في عرضه لأشعاره، ومعالجة القضايا التي يركز عليها، هو أسلوب التدرج في معالجة القضايا التي تهم تنشئة الأطفال، وبناء شخصياتهم فهو يستهدف الموضوعات الإسلامية؛ التي تثير رغبات الطفل المسلم، وهذا يعود إلى خلفيته الدينية الغزيرة، والنشأة التي نشأ عليها في مقتبل عمره، فهو يبدأ بالموضوعات الأساسية ويبدأ برب العزة، ومن ثم ينتقل إلى القرآن الكريم، ومن ثم النبي الأكرم (عليه الصلاة والسلام)، ومن ثم أصحابه، وأهل الجنة وأحوالهم، ومن ثم يذكر بعض الشخصيات الإسلامية القدوة، التي يدعو من خلالها الأجيال إلى الاقتداء بها، أمثال خالد بن الوليد رمز البطولة في الإسلام الذي سطر الملاحم، والانتصارات فهو خير مثل يُقتدى به؛ فهذا يزرع عند الأطفال محبة القادة المسلمين والتأسي بهم⁽³³³⁾ 'ويبدو أنَّ الشاعر لم ينسى فرحة الأطفال في العيد، وإنَّ هذا الاحتفال الذي يثبت في الذاكرة قيما ومثلا؛ "يجعل الطفل في حالة توق، واشتياق من جهة، وما يقوم به الطفل من نشاطات، وفعاليات في العيد من جهة أخرى، فإنَّ للأعياد آجالها المؤقتة، ولم تكن على مدار السنة فإنَّ محاولة الشاعر في البحث عن بديل يتصف بديمومة، وإدخال السرور على نفس الطفل المسلم"⁽³³⁴⁾.

فيقول الشاعر: أقبل العيد الذي يحاول من خلاله رسم الفرحة على وجوه الأطفال وله فيها أهداف أخرى أبعد؛ وهي ترسيخ مفهوم الإيمان في قلوبهم؛ أنَّ الله هو خالق كل شيء ويقول:

أَقْبَلِ الْعِيدُ، فَحَفُوا يَا صَغَارَ
مَوْكِبِ الْعِيدِ بِإِكْلِيلِ النَّصَارِ

⁽³³³⁾ خليل، سبعة مدخل إلى الشعر الإسلامي المعاصر، 110.
⁽³³⁴⁾ شوقي يوسف، فارس الأحلام الداخلي، قراءات نفسية في شعر حكمت صالح، 30.

وانثروا الأفراح في حقل النهار
واحضنوا الشمس إذا دار
المدار

أَنْ هَذَا مُلْكُ رَبِّ الْعَالَمِينَ
فَتَعَنُوا أَيُّهَا النَّشْءُ الْجَدِيدُ
كُلُّ يَوْمٍ فِيهِ نَدْعُو اللَّهَ عِيدُ
فاشْكروا لله رَبَّ الْعَالَمِينَ⁽³³⁵⁾

يؤكد الشاعر كثيراً على مسألة العقيدة الإسلامية؛ لأنها هي الأساس في تربية الجيل الصاعد ويجب أن تكون عقيدتهم سليمة؛ ولذلك نراه يعلم المسلم الصغير أن الله خالق كل شيء، ويجب علينا أن ندعوه في كل وقت وحين؛ لأنه وهب لنا الحياة؛ لكي نذكره ونعبده قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)⁽³³⁶⁾، وكل يوم ندعو الله فيه هو عيد لنا؛ لأنه فضّلنا على كثير من خلقه، ووهبنا الحياة لكي؛ نحمده، وندعوه، ونسبحه، ونعبده فهذا فضل ما بعده فضل، ويقول الشاعر ناصحاً الأطفال:

أَنْتُمْ الْمُسْتَقْبَلُ الْمُبْتَسِمُ
كَلِمًا أَزْهَرَ مِنْهَا بُرْعَمُ
يا رياحيناً سَقَنَهَا الْهَمَمُ
هَذِهِ شَمْسُنَا وَالْأَنْجُمُ

سَاجِداً لله رَبِّ الْعَالَمِينَ
إِنَّ فِي الْإِسْلَامِ عِزّاً لَا يُدَانِي
وَبِهِ أَكْرَمَنَا اللَّهُ الْجِنَانَا
فاشْكروا لله رَبِّ الْعَالَمِينَ

وطني الأكبرُ يَدْعُوكُمْ غَدَا
يَرْتَقُ الْفَجْرَ وَيَمْضِي كَالرَّذَى
يا وميضاً في السماء ارتعدَا
ثُمَّ يَهْوِي كَشَهَابٍ أُرْصِدَا

فِي سَبِيلِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
أَنْنَعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا بِالشَّهَادَةِ
وَبِهَا نَرَشَفُ مِنْ كَأْسِ السَّعَادَةِ
فاشْكروا لله رَبِّ الْعَالَمِينَ⁽³³⁷⁾.

⁽³³⁵⁾ حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 56.

⁽³³⁶⁾ الذاريات، 56/51.

⁽³³⁷⁾ حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 57.

وفي هذه الأبيات يُذكر الشاعر الأطفال أنَّ الوطن يناديهم وهو بحاجة إليهم للدفاع عنه، وحمايته من كيد الأعداء، ويدعوهم للشهادة، والاستبسال في سبيل الله، ومن أجل الوطن، ثم يشبه الشهيد بالنجم الذي هوى من السماء، فهو في منزلة رفيعة عالية؛ لأنَّه ضحَّى بنفسه من أجل القيم والمبادئ والدين، "إنَّ الذي يهم الشاعر الإسلامي كيفية استنباط المغزى الإيماني من الأشعار وهنا يؤدي الذكاء المتوقد، والخيال، والثقافة العميقة دورا في الإقناع من أجل ترسيخ القيم العقائدية في تفكير ومخيلة الطفل" (338).

ويُذكر الشاعر الطفل المسلم بالشكر لله على النعم التي أنعمها الله علينا، ويحاول زرع المحبة في قلوبهم قال تعالى: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا⁽³³⁹⁾)، فنعم الله علينا كثيرة لا تعد ولا تحصى وحتى القرآن من نعم الله علينا؛ لأنَّه يحصننا، ويصوننا من الأخطاء إذا ما اتبعناه، وعملنا به، وأخذنا بأحكامه؛ وبالتالي يدخلنا جنة رب العالمين، فيقول:

مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى فِيكَ الْهَنَأَ
مُعَبَّقًا بِالذِّكْرِيَّاتِ
وَمُفَعَّمًا بِالْأُمْنِيَّاتِ
فَكُنْ كَمَا نَزَجُو فَأَنْتَ قُرَّةُ لِعَيْنَيْنَا
إِذَا ابْتَغَيْتَ مَطْلَبَنَا
أَنْعِمْ بِذَلِكَ مَارَبَا

ويحث الأطفال على الأخلاق الحميدة، وألا نصاحب إلا مَنْ أخلاقه حسنة، وتربى على القيم، والمبادئ الإسلامية، والذي قصدهم الشاعر هم أصحاب الحق؛ إنَّ صحبتهم تظفر بالجنة ويقول:

وَاصْحَبْ مِنْ الْإِخْوَانِ مَنْ تَصَفُّو بِهِ مَشَارِبَا
فَهَمَّ إِلَى الْحَقِّ دُعَاةً
بِالْحِلْمِ إِنْ أَوْ بِالْأَنَانَةِ

(338) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 21.

(339) النحل، 18/16.

واتخذِ الأخلاقَ أُمًّا أن تبرَّ، أو أبًا
أنعم بتلك من أداة
تجمع للشمل الشتات (340).

ويتدرج معهم بالوصايا في بناء شخصياتهم بناءً صحيحاً، فالشاعر يستهدف
المواضيع الأساسية في الدين، ويذكرهم بضرورة إتباع كتاب الله، وما فيه من
أحكام، وعبر، وقصص، ودروس، نتعلم منها، وإتباع النبي(عليه الصلاة
والسلام)وفضله على الأمة ويقول:

يا فرات الخير ذخراً لبني الإسلام دُم
العروة الوثقى الصلاة
بصقها تقوى الصلوات
بصحبة الإيمان – إن تضافرت – تسمو الهمم
الكل للركب حداة
والكل للحمى حمة
تغور في الثرى جذوراً للتحدي راسخات
نشيدنا تهجد
يحدو بنا التوحيد
ولم نلن يوماً لعصف الرياح أو نخشى الطغاة
وكُلُّنا نُريدُ
يا ثقلان اشهدوا (341)

وقصد الشاعر (بيا فرات الخير) القرآن الكريم؛ الذي فيه عزنا وأن يدوم
بالعطاء، ويكون ذخراً لبني الإسلام، وهو يقول لبني الإسلام إنَّ الحبل المتين
هو؛ إقامة الصلاة، التي وصفها بالعروة الوثقى، وإنَّ الهم لا تسمو إلا بصحبة
المؤمنين؛ أي لا تصاحبوا إلا أهل التقوى، والصالح؛ لكي تسمو الهمم، وبالتالي
الكل يحمي الحمى ولا يتقاعسوا، ويصفهم في التحدي بالمعارك والجهاد
مرابطين على الثغور صلبين في التحدي مثل الجذور الراسخة في الرمال إلى
الأعماق فعزمهم لا يلين أبداً، كيف لا وهم المؤمنون الصادقون، كلامهم تهجد،

(340) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 50.

(341) حكمت، ديوان أغاريد المسلم الصغير، 51.

ودعاء، وتوحيد الله عقيدتهم، فهم لم يلينوا يوما أبدا لعصف الرياح، ويصفهم بأنهم ثابتون لا تهزهم الرياح العاتية، فهم متسلحون بالإيمان، والتوحيد، والقوة، ولا يهابون الأعداء، ويدعون الإنس والجن (يا ثقلان اشهدوا) أن تشهدوا علينا بما سنفعله بالطغاة ونذيقهم الويلات.

وتبين من المبحث الثاني من الفصل الثالث أن الشاعر عرض لشخصية الطفل المسلم، وكيفية بنائها بناء صحيحا على أسس إسلامية، وكيفية إنشاء جيل قوي ممكن الاعتماد عليه، يحمل قيما إسلامية وأخلاقا حميدة يستمدها من الكتاب والسنة المطهرة، وتكون عقيدته سليمة ذات أبعاد إسلامية، أذا لابد أن نبدأ بداية صحيحة في تربية الطفل كما أرادها الله ورسوله، لأنهم قادة المستقبل؛ لذلك نرى الشاعر قد أفرد لهم ديوانان، أغاريد المسلم الصغير، وأهازيج المسلم الصغير.

وتبين أن الشاعر يوجه الطفل المسلم التوجه الصحيح، ويغرس في نفسه حب الدين والعمل الصالح من خلال الأشعار الموجهة إليه، وتبين أنه اعتنى ببناء شخصيته من الجانب العقدي في تفاصيل حياتهم اليومية الذي ينشئون على أسسها، وكان هدفه الأساسي من تلك الأشعار؛ لتكون دليلا ومرشدا لهم في البناء، ويعلمهم أن لهذا الكون صانعا وموجدا، وقد أتقنى الصانع صنعه في خلق هذا الكون العظيم، والواضح من أسلوبه التدرج في معالجة القضايا التي تهم تنشئة الأطفال، وبناء شخصياتهم ويحاول أن يرسم للأجيال طريقا معبدا خاليا من المطبات ويركز على التفاصيل التي ينبغي أن يعيشها الطفل المسلم في ممارساته اليومية؛ لينشأ قويا يمكن الاعتماد عليه في المستقبل، وتبين أنه كان يريد بناء الأجيال الصاعدة بناء فكريا صحيحا قائما على أسس إسلامية يستمدها من دينه، ومن اقتدائه بالشخصية الإسلامية القدوة.

وتبين أنه كان يطمح إلى تقويم سلوك الأطفال منذ نعومة أظفارهم، لأن التعليم في الصغر كالنقش على الحجر، ويركز في قصائده على حسن السلوك

وكيف يُقوم السلوك عند الطفل؛ ليكون في المستقبل رجل المرحلة الذي يعتمد عليه.

والواضح أنه كان ينتقل مع الأطفال من سن إلى آخر كما يتناسب مع الأعمار التي يخاطبها ويوجه لكل عمر ما يناسبه من نصح وإرشاد، فكل عمر توجيهاته الخاصة، ويتدرج معهم بالوصايا فالشاعر يهدف إلى المواضيع الأساسية في الدين، ويذكرهم بضرورة اتباع كتاب الله، وما فيه من أحكام، وعبر، وقصص، ودروس، نتعلم منها، واتباع النبي(عليه الصلاة والسلام)وفضله على الأمة.

وكما نلاحظ أنَّ التوظيف القرآني كان واضحاً وحاضراً في شعره من خلال الآيات القرآنية، وتعظيم كتاب الله، وكان يحاول إيصال رسالة للطفل المسلم مفادها إظهار عظمة الله وقدرته وفضله على الناس، واستخدم الموضوعات الإسلامية؛ التي تثير رغبات الطفل المسلم، فينتقل بالتدرج ويبدأ برب العزة، ثم ينتقل إلى القرآن الكريم، ومن ثم النبي الأكرم (عليه الصلاة والسلام)، ومن ثم أصحابه، وأهل الجنة وأحوالهم، والشهداء في سبيل الله، ومن ثم يذكر بعض الشخصيات الإسلامية القدوة، التي يدعو من خلالها الأجيال إلى الاقتداء بها، أمثال خالد بن الوليد فهو خير مثل يُقتدى به؛ فهذا يزرع عند الأطفال محبة القادة المسلمين والاقتداء بهم.

والواضح أنَّ الغزو الفكري قد اجتاحت الحضارات في العالم بعامة، والعالم الإسلامي بخاصة؛ لأنَّه المستهدف من ذلك الغزو، إذا يجب أن نحكم البناء إحكاماً جيداً، منيعاً، وأن نبدأ ببناء شخصية الطفل المسلم بناء صحيحاً قائماً على أسس ومفاهيم إسلامية يستمدّها من العقيدة الإسلامية الصحيحة، فهذا أهم ما يؤثر في بناء الشخصية للطفل، فكان للتوجه الإسلامي دور مهم في تنشئة الأجيال على مفاهيم، وقيم إسلامية مصدرها كتاب الله وسنة نبيه (عليه الصلاة والسلام).

إذا نستخلص من كلام الشاعر أنه كتب هذه الأشعار واعتنى بالمراحل -
مراحل نمو الطفل- التي يمر بها الأطفال بوضعه الأدوات اللازمة، والخاصة،
وطرائق التوجيه لكل مرحلة ما يناسبها من توجيهات، وكذلك اللغة البسيطة
المفهومة الخالية من الألفاظ الصعبة، التي تناسب مفهوم الطفل، وهذه من
الأدوات المهمة في بناء شخصية المسلم من البداية.



الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث المتواضع؛ لايسعني إلا أن أحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، خير البشر أجمعين، وشفيعنا يوم الكرب العظيم؛ مَنْ علَّم البشرية مكارم الأخلاق، وها هي القطرات الأخيرة في مشوار كتابة البحث، الذي تكلم فيه الباحث عن (أثر القدوة في بناء الشخصية الإسلامية من خلال شعر حكمت صالح)، وبذل الباحث جهداً كبيراً؛ لكي يخرج بهذا الشكل، ويرجو من الله التوفيق والسداد ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، فإنَّ وُفق فمن الله عز وجل وإنَّ أخفق فمن نفسه، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آل وصحبه الطيبين الطاهرين.

النتائج:

1. أفاد الشاعر من خلفيته الدينية، فكانت النزعة الدينية ظاهرة في شعره، في استخدامه لألفاظ إسلامية، وصور من خلال خلفيته التاريخية الأحداث التاريخية التي مرَّ بها العرب عند ظهور الإسلام، وما أحدثه من تغيير وانقلاب في أحوالهم.

2. إفادة من معرفته واطلاعه على التاريخ الإسلامي في تصويره للشخصيات الإسلامية الفذة، وما تمتعت به من الصفات والأخلاق، التي تميزها عن غيرها من الشخصيات، حيث شكلت شخصية النبي (عليه الصلاة والسلام) منبعاً يستقي منه الشاعر إلهامه.

3. أنَّ الشاعر قارن من خلال شعره، بين عصرين مختلفين عصر صدر الإسلام، وعصر التكنولوجيا، بين ما أحدثه الإسلام من تغيير في حياة العرب آنذاك، وبين الانهيار الحضاري الذي يشهده العالم، فصور الأحداث التي غيرت مجرى العالم، على شكل مقطوعات شعرية، استحضر من خلالها كل المراحل المهمة

التي مر بها ذلك العصر من حياة العرب، فكان شعره وثيقة تاريخية وثق من خلالها الأحداث الجسام.

4. وثق الممارسات غير الإنسانية وغير الأخلاقية للقوى العظمى في تعاملها مع الفقراء في العالم، واستغلال ثرواتهم وفضح تلك الممارسات، وإنَّ تلك الممارسات تتعارض مع ما ينادي به الغرب من حرية وديمقراطية، فتبين أنَّها شعارات فقط، كما وثق التمييز العنصري في العالم وعالجه في أشعاره فاضحا تلك الأساليب الوحشية ضد الفقراء السود في إفريقيا واستغلال ثرواتهم الطبيعية.

5. كان أسلوب الشاعر بسيطاً في عرضه للمسائل العقائدية في شعره وخاصة الموجه للأطفال، فكان شعره عبارة عن رسائل إيمانية خاطب من خلالها الطفل المسلم، ليوجهه التوجه الصحيح كما أراده الإسلام ويغرس فيه حب الدين والعمل الصالح في سبيل الله، واهتم الشاعر ببناء شخصية الطفل من كل جوانبها، وأكد على الجانب العقدي، وحثها على الاقتداء بالشخصية الإسلامية القدوة.

المصادر

- القران الكريم.
- أبو صالح، عبد القدوس، "نحو منهج إسلامي لأدب الطفل"، مجلة الأدب الإسلامي 40، 2004م.
- أحمد الأشهب، "وحدة النزيف في القصيدة الإسلامية المعاصرة"، مجلة المشكاة 21 – 22، 1995م.
- أحمد عبد الخالق، الأبعاد الأساسية للشخصية، تقديم الدكتور هانز إيزنك، القاهرة، دار المعرفة الجامعية، 1989م.
- أندرو ويست، لسوسيولوجية التنمية، ترجمة حمدي يوسف، بغداد، سلسلة المائة كتاب، 1986م.
- إخلاص عبد القادر، "كتب الأطفال الأكثر مبيعا في العالم"، مجلة ألف باء 1042، 1988م.
- إسماعيل سراج الدين، ويوسف محسن، الفقر والأزمة الاقتصادية، الإسكندرية، دار الأمين للنشر، 1989م.
- آغا، أحمد إبراهيم آل خميس، دراسات نقدية في ديوان الإبحار في ماء الوضوء، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2011م.
- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق أحمد أبو ملح، وعلي نجيب عطوي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1985م.
- ابن الصلاح، عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، المدينة المنورة، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، 1966م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد، لسان العرب، لبنان، دار صادر، 1949م.

ابن منظور، جمال الدين محمد الأنصاري، لسان العرب، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دت.

البابا، عمر محمد، عبد الرحمن بن عوف، حلب، دار ربيع للنشر، دت.
الباشا، عبد الرحمن رافت، صور من حياة الصحابييات، القاهرة، دار الأدب الإسلامي، 1996م.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، بيروت، دار ابن كثير، 1987م.

البرشة، محمود أحمد، منهل المؤمنين ومورد الخطباء، دمشق، دار الشيخ أحمد كفتارو للطباعة والنشر، 1999م.

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، تعليق زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، 1971م.

البكري، طارق، مجلات الأطفال ودورها في بناء الشخصية الإسلامية، د، ب، جامعة الإمام الأوزاعي، رسالة دكتوراه، 1999م.

تغريد أحمد صلاح، سمات الشخصية الإسلامية في منهاج التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية في فلسطين، فلسطين، جامعة القدس، رسالة ماجستير، 2009م.

الجب، نافذ سليمان، "مقومات الشخصية الإسلامية في الفكر التربوي للإمام الشافعي"، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، جامعة الأقصى في فلسطين 24، 2016م.

الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق محمد محمد تامر، وأنس محمد الشامي، القاهرة، دار الحديث، 2009م.

حامد نهير طبيل الجبوري، حكمت صالح سيرته ومرجعيات شعره، جامعة الموصل كلية التربية الأساسية، رسالة ماجستير، 2012م.

حكمت صالح جرجيس، نحو آفاق شعر إسلامي معاصر، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1988م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2009م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان الإبحار في ماء الوضوء، اليمن، دار حضرموت للطباعة والنشر، 2003م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان حي على الفلاح، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 1996م.

حكمت صالح جرجيس، أحفاد الرسول، الموصل، جامعة الموصل، دار الكتب، 1999م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان الفرار إلى الله، الموصل، مكتب كشكول للطباعة، 2000م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان الفرار إلى الله، المغرب، منشورات الدفاع المدني، 2000م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان نفق تحت سنانك البراق، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2011م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان الأمطار السوداء، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2003م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان على عتبة الجنة السمراء، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2000م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان أغاريد المسلم الصغير، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م.

حكمت صالح جرجيس، ديوان أغاريد المسلم الصغير، عمان، مؤسسة دار البشير، 1994م.

- حكمت صالح جرجيس، *ديوان أهازيج المسلم الصغير*، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2008م.
- حكمت صالح جرجيس، *ما بعد النص*، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2008م.
- حكمت صالح جرجيس، *اليوميات في سفر الفاقة*، مجلة المشكاة المغربية 21-22، 1995م.
- حكمت صالح جرجيس، *خطوات على الطريق*، مجلة المشكاة المغربية 2، 1983م.
- حكمت صالح جرجيس، *ديوان حي على الفلاح*، مجلة فلسطين المسلمة 9، 1993م.
- حكمت صالح جرجيس، *شعرنا الإسلامي كما نريده*، مجلة الايمان 48، 2012م.
- حكمت صالح جرجيس، *شعرنا الإسلامي كما نريده*، مجلة البراق 1، 2004م.
- حكمت صالح جرجيس، *صرخات الشوق إلى الموت*، مجلة التربية الإسلامية 10، 1986م.
- حكمت صالح جرجيس، *أبو زر وجيوش الجائعين*، مجلة الجامعة 6، 1974م.
- حكمت صالح جرجيس، *هجرة المشاعل والهداية*، جريدة الحدياء 662، 1995م.
- حكمت صالح جرجيس، *خطوات على الطريق*، جريدة الحدياء 736، 1996م.
- حكمت صالح جرجيس، *ثنيات الوداع* جريدة الحدياء 631، 1994م.

- حكمت صالح جرجيس، "صلوات في محاريب الطفولة" جريدة الثورة 1056، 1972م.
- حكمت صالح جرجيس، "الشهيد المجهول"، جريدة الثورة 483، 1970م.
- حكمت صالح جرجيس، "الطب في مدينتي"، جريدة الثورة 508، 1970م.
- حكمت صالح جرجيس، "فاصلة بين الثروة والثورة"، جريدة الثورة 1640، 1974م.
- حكمت صالح جرجيس، "هموم العمل الوظيفي"، جريدة الراية المغربية 30، 1998م.
- خالد خالد محمد، رجال حول الرسول، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2000م.
- الخفاجي، محمد حسن، سيكولوجية ميول الأطفال القرآنية، بغداد: دائرة الشؤون الثقافية، 1984م.
- خليل الموسى، بنية القصيدة العربية المعاصرة، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2003م.
- شوقي يوسف، فارس الأحلام الداخلي قراءات نفسية في شعر حكمت صالح، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2004م.
- سويد، محمد نور عبد الحفيظ، منهج التربية النبوية للطفل، مكة المكرمة، دار طيبة، 2000م.
- شيخو أحمد سعيد غلادنت، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، مصر، دار المعارف بمصر، 1982م.
- الشيبياني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد، بيروت، مؤسسة الرسالة للنشر، 2001م.
- الشيبياني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل الصحابة، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، السعودية، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، 1999م.

صفي الرحمن المبارك فوري، الرحيق المختوم، د،ب، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، 2007م.

صالح آدم بيلو، "أولى خصائص الأدب الإسلامي"، مجلة الأمة 25، 1982م.

الصفار، عبد الرزاق قاسم، تربية الطفل ورعايته في الإسلام، مجلة الجامعة 3، 1979م.

الصلابي، علي محمد محمد، السيرة النبوية، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 2005م.

الصلابي، علي محمد محمد، السيرة النبوية، بيروت، دار ابن كثير، بيروت، 2019م.

الصلابي، علي محمد محمد، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بيروت، دار ابن كثير، 2019م.

الصلابي، علي محمد محمد، الانشراح ورفع الضيق في سيرة أبي بكر الصديق، دمشق، دار ابن كثير، 2019م.

الصلابي، علي محمد محمد، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، بيروت، دار ابن كثير، 2019م.

الصلابي، علي محمد محمد، تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، بيروت، دار ابن كثير، 2019م.

الصلابي، علي محمد محمد، خامس الخلفاء الراشدين أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب، بيروت، دار ابن كثير، 2019م.

عائشة عبد الرحمن، الشخصية الإسلامية دراسة قرآنية، بيروت، دار العلم للملايين، 1986م.

عامر سلطان، "حكمت صالح والهيام الصوفي بالعبادات، بين الاغتراب والحس الجمعي"، جريدة نينوى الموصلية 146، 2003م.

عبد التواب يوسف، *الطفل والموروث الشعبي*، بغداد، وزارة الثقافة والعلام، دار ثقافة الأطفال، 1989م.

عبد الرحمن عيسى، *أدب الخطابة الدينية*، حلب، نشر وتوزيع المكتبة العربية بحلب، د.ت.

عبد الرحمن عيسوي، *مشكلات الطفولة والمراهقة*، بيروت، دار العلوم العربية للطباعة والنشر، 1993م.

عبد الله الظاهر، *ترنيمات حاملة في إطار الفن الشعري*، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2007م.

عبد الرحمن عبد الله فاضل، *التربية الإسلامية وتحديات العصر*، (مكة المكرمة، كلية التربية جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، 1427هـ).

عبد الرزاق الفارس، *الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي*، بيروت، مركز دراسات الواحة العربية، 2001م.

عروي، محمد إقبال، *جمالية الأدب الإسلامي*، الدار البيضاء، المكتبة السلفية، 1986م.

عروي، محمد إقبال، *"إيقاع الانهيار والشمس المرتقبة"*، مجلة المسلم المعاصر 44، 1985م.

عروي، محمد إقبال، *انهيار الحضارات والشمس المرتقبة*، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2011م.

العظماوي، إبراهيم كاظم، *النمو النفسي للطفل*، بغداد، دائرة الشؤون الثقافية، 1984م.

العقاد، عباس محمود، *عبقريّة عمر*، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2006م.

العقاد، عباس محمود، *عبقريّة الصديق*، مصر، نهضة مصر للطباعة والنشر، 2005م.

العقاد، عباس محمود، عبقرية محمد، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، د، ت.

علي عشري زاده، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر، د، ت.

علياء دربك، "أدب الطفل المسلم في مواجهة العولمة"، مجلة الأدب الإسلامي، 40، 2004م.

عماد الدين خليل، سبعة مداخل إلى الشعر الإسلامي المعاصر شعر حكمت صالح نمونجا، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2003م.

عماد الدين خليل، "مدخل إلى ديوان أغاريد المسلم الصغير"، مجلة الأدب الإسلامي، 14، 1997م.

عماد الدين خليل، سبع مداخل إلى عالم الشعر الإسلامي المعاصر، شعر حكمت صالح نمونجا، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2003م.

عماد الدين خليل، "مدخل إلى ديوان على عتبات الجنة السمراء"، مجلة الفرقان، 11، 1408هـ.

عماد الدين خليل، "مدخل إلى ديوان حي على الفلاح"، مجلة المشكاة، 9، 1988م.

عماد الدين خليل، "قراءة في ديوان شعر إسلامي"، مجلة المشكاة، 1، 1983م.

عمر محمد الطالب، الاتجاه الإسلامي في ديوان الإبحار في ماء الوضوء، العراق، الملتقى النقدي رابطة العلماء فرع نينوى، 2001م.

غانم سعيد حسن، "الحس الديني في شعر حكمت صالح"، مجلة موصليات، 10، 2005م.

غانم محمد محمود، العبودية والانعتاق بين بلال الأمس وبلال اليوم، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2009م.

الغروي، محمد، *الفقراء في ظل الرأسمالية والماركسية والإسلام*، بيروت، دار المعارف للمطبوعات، 1981م.

الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، *فقه السيرة للغزالي*، تحقيق محمد ناصر الألباني، القاهرة، دار الكتب الحديثة، 1965م.

فاخر عاقل، معجم علم النفس، بيروت، دار العلم للملايين، د.ت.

فليح، جليل رشيد، *المسجد في الشعر الإسلامي المعاصر*، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2003م.

القيسي، نوري حمودي، *الشعر والتاريخ*، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، 1980م.

الكبيسي، عمران خضير حميد، *لغة الشعر العراقي المعاصر*، الكويت، وكالة المطبوعات، 1982م.

الكيلاني، ماجد عرسان، *مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح*، قطر، المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، 1991م.

الكيلاني، نجيب، *أدب الأطفال في ضوء الإسلام*، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1986م.

كولين ليجوم ، *الجامعة الإفريقية دليل سياسي موجز*، ترجمة أحمد محمود سليمان، القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م.

مجمع اللغة العربية، *المعجم الوسيط*، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.

مجدي فتحي السيد ، *سيرة وحياة الصديق*، مصر، دار الصحابة للتراث، 1996م.

محمد علي الرباوي ، "الأدب الإسلامي أدب غير ملتزم" ، مجلة المنعطف 2، 1992م.

محمد رشدي عبيد، "محاوّر من الشعر الإسلامي المعاصر"، مجلة المنعطف 11، 1995م.

محمد رشدي عبيد، "محاوّر من الشعر الإسلامي المعاصر"، مجلة الإيمان 17-18، 2004م.

محمد رشدي عبيد، محاوّر من الشعر الإسلامي المعاصر، الموصل، منشورات البراق الثقافية، 2008م.

محمد صالح عوض، العشرة المبشرون بالجنة، القاهرة، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، 1999م.

محمد ناصر، الفكر التربوي العربي الإسلامي، بيروت دار المعارف للطبوعات، 1988م.

محمود حسين ، الأسرة ومشكلاتها، دب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981م.

الندوي، سليمان، الثّر الثمين في سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين، بغداد، إعداد مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الوقف السني، 2010م.

نضال عبد اللطيف الشمالي، العوامل الخمسة للشخصية، غزة، الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير 2015م.

النمر، عبد المنعم، شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام، القاهرة، مؤسسة مختار للنشر، 1987م.

النقيب، عبد الرحمن، والهندي، جمال محمد، قراءات في التربية الإسلامية، الرياض، مكتبة الرشد، 2004م.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، بيروت دار الجيل، دب.

ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، 1977م.

السيرة الذاتية للباحث

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]

[Redacted text block]